غابة الحليب والفحم

أشعار

محمد آدم

مكتبة جزيرة الورد

بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : غابة الحليب والفحم (شعر)

المــــــؤلف : الشاعر : محمد آدم

رقـم الإيداع :

الناشر : مكتبة جزيرة الورد

٤ ميدان حليم ـ خلف بنك فيصل الرئيسي ـ شارع ٢٦ يوليو
من ميدان الأوبرا . ت: ٠٢/٢٧٨٧٧٥٧٤

الطبعة الأولى ٢٠١٠

محمول : ٠١٠٠١٠٤١١٥ - ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

القاهرة ـ ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل ـ

شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا

٠٢٢٧٨٧٧٥٧٤ - ٠١٠٠١٠٤١١٥

٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ - ٠١٢٩٩٦١٦٣٥

كل تلك المقابر التي تملأ الهواء

ديوان المراثي

طرق ضاله

السماء بمرمرها الأثيم
الأرض برائحة كفلها
النجوم بحدقة عينيها المخفوقتينِ بالرمادِ
والشوكْ
العشب بانتمائه المرنّ للندى
اليقظة بأحلامها العذبة
السلام كفكرةٍ منبثقةْ
النهار باستطراداتهِ المهلكةْ
الليل بأغنياتهِ المخضبة بالدمْ
الطرق اللامعة للعتمة
الحروف بحدسها المشع
اللغة بانصياعها المطلق للكلمة
الكلمة بانصهارها الفوضوى
فى العالم
لكل ذلك
كان يتعين على الليل أن يكتب بملعقته الكبيرة
أنا قنصاص نهائى لإسمك
أيها الجسد المضّللُ !!



أجاممنون !!

أنا لا أطلب اعترافًا من أحد ولا حتى غفرانًا لأى شئ
اليد التى تعمل مع الآخرين
هى
نفس اليد التى تعمل ضد الآخرين
يتساقط الكل فى الزمن
وما الليل والنهار
إلا شرك منصوب يضاف إلى كل تلك الأشراك
التى تعترض سبيلنا فى الحياة
سلام الروح الضاله
سلام الأرض العميانه !!
ليس هناك من معرفة أكيدة
يمكن أن يضمها الزمن
إلى تلك المعرفة التى للموت
يد تنسج الثوب
وأخرى تمزقه
ورقة تسقط
وأخرى تنبت مكانها
الزمن حصّاد وأعمى
لا يأبه إلا لآلته الميكانيكية التى تعملُ !!　　　　٢٠٠٦/١١/٢٤

علم الروم

حقًا

هل كان الرومان هنا بالفعل ؟

وهل جاء الإسكندر

بفيالقه الجرّارةِ

كى يصطاد من الأبيض لؤلؤةً للفاتنةِ

المصريةِ

كليوباترا ؟!

كيف انفتح البحران على بعضهما

كليوباترا

والمتوسط ؟!



سماء مطروح

تهبط الأيدى الإلهية وببطءٍ
على سماء مطروح
لتلمس شعرها الذى يشبه حدقة البحر
عجيبة !!
علم الروم
الأبيّض
شاطئ روميل
ليس ثمة ما يشغل الروح
سوى قوقعة الروح
المتوسط ينهض فاردًا ذراعيهِ
ومحتضنًا صخرةَ العشاقِ
إلى أن يصل إلى شاطئِ الغرامِ
مما يذكّرك
بليلى مراد
وهى تسحب المتوسط خلف ركبتيها
وتلتقط بشفتيها الفيروزيتين
أغنيَّة
دامعًة
لساكنى مطروح !!

جبل الموتى

إلى روح الكاهن بات – حوت

حوالى ٤٠٠ ق . م

هنا
حيث يلتقى الآب بالإبن
والسماء بالأرض
وتقف الروح شامخةً وعلى قيد ذراعٍ
من الأبديةِ
هنا ..
وفوق جبل الموتى
حيث يقعد السيد مع ملائكتهِ
وشياطينه
بين معادنه الثمينةِ
وأساطيرهِ
بين سندياناته الهائلةِ
ومطارقهِ الجمّةِ
على طاولةٍ من خشب وحناناتْ
تستطيع أن تلمس النجوم بشفتيكَ
ويمكنك – كذلك – أن تسهرَ حتى
مع الكاهن بات – حوت
وكافة الأنبياء والمقدسين
فى غرفة الدفن هذه !!
ولا يمكن لكل تلك السماءِ الواطئةِ
إلا أن تنزل على سلالم الروحِ
الخربة
خطوة

خطوة
لتجلس على ركبتيك
وتنامَ فى حجرك الذى يمتلئ بالعتمةِ
والشكِّ
وبلا ضغينة واحدةٍ
تتجوّل بحريةٍ وأبّهةٍ بين إصبعين
من أصابعك الخمس
بينما تواصل أحلامها اللاوردية بثباتٍ
كما يمكنك وفى الآن نفسه
أن تمدّد رجليك فى الفضاءِ الغويطِ
ولا تعود تعبأ بالزمانِ
والمكان
لأنه لم يكن للشمس من ليل آخر لتقيمَ فيهِ
- وعبر كل هاتيك السنوات -
سوى المؤاخاةِ
والضحك
ومع ذلك
تظل الأرض عريانَةً
فى حانة العبث
هذه
هنا
وهنا فقط .. !!
وفوق جيل الموتى
يمكنك أن تكلم الله وبلا واسطةٍ من أحدٍ
وذلك عبر شبكاته الضوئيةِ
وخيوط الماء التى تنهمرْ

مثل قبلةٍ
كثيفةٍ
من الدمع
والهواء المشبعِ
باليقظةِ !!

سيوه
جبل الموتى
٢٠٠٦/١٠/٢٦

كلام

هكذا تقول أختى الشجرةْ

الضوء !

كلام لا يفقهه سوى الندى

هكذا تقول سيدتى الغيمة !

المطرْ

دموع السماء التى تتساقط على العشب

والعشبْ

كلمات الأرضِ

التى تبكىَ لوحدها

هكذا يقول الموت الحطّابْ !

بمناجلى هذه

سوف أحصد رقبةَ الهواء

وأجزّ ضحكةَ الأرضِ

الرنّانةِ !!



أفيون !!

سوف نواصل الحياة بنفس التعب واليأسْ
اللذين ربيناهما صغاراً تحت أسرتنا الملونةِ
وأسقف بيوتنا الواطئة
فلم يكن ثمة ما نفعله فى الحياة
سوى الحياة ذاتها !!
وسوف نمتثلُ للموت
مثل نبتةٍ
وكرسالةٍ أخيرةٍ فى سلة الزمنِ
لا لكى نقرأها بتمعن وعمق
وإنما لنمضغها كقطعةٍ أخيرةٍ من الأفيون الحارّ
وسوف نختار كذلك
أن ننحاز إلى تلك المصائر المجهولةِ
والكلمات المتقاطعة
التى تتوارى بعيدًا عن الخيبة والنسيان
خلف الجدران المتهالكة لكل هذا العالم
كل ذلك
ودون أن ننحاز – ولو لدقيقة واحدة –
إلى ذلك الكائن المهمل تحت عبء ضربات القدر اللعينةِ
وصرخاتنا الخشنة المالحة
إلى أن نسير فى تلك الشوارع المطهمة بالجنونِ
والغفلةِ
والتى يتركُ عليها الزمن آثاره المبقعة بالدم
والرطوبةِ

وسوف نترك –هنا وعلى الأرض– القليل من الذكريات المشققةِ
والكثيرِ من الأحلام البائدةِ
تلك الأحلام
التى ترغب بعينين جارحتينِ
وأجنحةٍ
كليلةٍ!!

الثلاثاء ٢٠٠٦/١٠/١٠

نوافذ

مضى
لا يتذكر أى شئ
سوى أعمال الهدم والبناء التى تتم بداخلهِ
كان ثمت نافذة
وكان ثمت بيت
الآن
رحلت النافذة
ولم يتبق من البيت
سوى ذكرياته التى تقيم فوق أصابعهِ وشوارعهِ
عندما داهمته هذه الفكرة
أومأ لكافة النوافذ أن تتوافد عليهِ
وركب طائراته الورقية وأوهامَه ومضى
تاركًا للنهر أن يتأمل خيباته اللانهائية
وطوفاناته
ثمت ليال كثيرة لم يتذوق فيها طعم النوم
سوى هاتيك الأحلام التى برزت فجأة
عبر الشبابيك
والغبارْ
وها هو ذا يسندها بيديه المكبلتين
حتى لا تقع فى هاويةٍ ما
من هاوياتهِ
التى أخذت ترتفع !!

٢٠٠٧/٢/١٣

عن النظر
وانعدام النظر !!

إلى عبد الوهاب البياتى

أكتب
عن النظر
وانعدام النظر !!
عن المرأة التى تجلس فى حقل مجاور
لتفلِّى رأسها من الأحلام
عن الأرض
التى تقرفص منكسرةً فوق مقعد خشبى
لتنظر إلى السماء
المتواطئة
بطيورها الليلية
والتى تعرف أنها لن تعود منها أبدًا
عن الرجل
الذى ينام فى خلفيّة رأسى
ويحلم رافعًا مؤخرته
التى تشبه حبة التين الشوكى
وفى إحدى يديه يمسك بكرةِ الزجاج الملونةِ
وبالأخرى
يمسك بقواقع الواقع الهرمةِ
والعدم
- وكلما هممت أن ... -
يضحك بملء كفيه
ويقهقه غارزًا مهاميزه البنكرياسيةَ
فى قصبة صدرى التى تنفغْر

ولا يدع ولو فرصةً واحدة لكافة كوابيسى الليلية أن تهدأ
أو حتى تتوقف لتلتقط أنفاسها
التى تشبه المسامير
والحجرْ
أكتب
عن الحزن الذى يمدّ خراطيمه البلاستيكيةَ
ويفتح شفتيه الجهنميتين
بينما يجلس بجانبى
وعلى نفس المقعد هازئـًا
ومطرقعًا أصابعه الخمس
كأنما ليتأمل السماء
وهى تتفكّك
أكتب
عن السماء التى تخلع ثوبها الأنثوى
فى عز الظهيرة
وتتعرّى بوحشية – ودونما خشيةٍ من أحد –
حتى لا تقع فى التناقض
أو الشك
بينما يتكوم النهار خائرًا مثل قنفذٍ
على زجاج نافذة !!
أكتب
عن الأرض
التى تنقبض وتنبسط مثل لبؤة !!
عن الصحراوات التى لا تتناهى بداخلى أبدًا
عن الأمل
الذى يضحك كثيرًا من اليأس

بملء إرادتهِ
وعن اليأس الذى ينتظر فى كل لحظةٍ
على قارعة الأمل
مثل حقلٍ بكلاّباتٍ
وخفافيش !
عن الرّوث الإنسانى الذى يتسع
ليشمل العالم الحىّ
والعالم الميت
على حدٍ سواء
عن الوجود الإنسانى المضمحلْ
الذى يتكرمش مثل ورقة كرنبْ
أكتب
عن الشمعدانات التى تنطفئ أسفل المائدة
بينما تسعل وتتثاءب
وهى تبحث فى حقيبتها الكرتونية
عن عجلة الرياح !!
عن القمر الذى ينطفئ بيأس كامل
وهو فى كامل الهيئة
عن النجمة التى تعوى فى العراء
ودون أن يسمع عواءها أحد
عن الحديقة التى ترفض أن تقيم فى النظر
عن النظر
وإنعدام النظر
فى حديقة الآلهة الجافة
وعلى بوّابات الجحيم
المتشققةِ

أكتب
عن مدرسة الذباب الأعمى
التى تئن بالأفكار المدروسةِ
وغير المدروسةِ
عن النسبية
والكوانتم
وما بعد الحداثةِ
أكتب
عن الديكتاتوريات المباشرة
وغير المباشرة للدولة العصرية
عن الديمقراطيات
المكللة بالرعب
والدم
عن حقيقة الحكمة فى أكاديمية الخراتيت هذه
أكتب
عن البحر الذى يغتسل من الدّرنِ
والسُّلِ
وهو يبحث لنفسه عن بحر آخر
ليقيم فيه
عن الشجرة
التى لا تعرف شيئًا عن حكمة الغناء
أو الرنين المغناطيس
وأشعة إكس
والعلاج الكيماوى
وجراحة القلب المفتوح
وسرطان الرئة
وحرب النجوم

والرأسماليةِ المتوحشةِ
والعولمةِ
واقتصاد السوق
وتفكُّك الإمبراطورياتْ
وإعادة تصنيع الله
فى المصانع الورقيةِ !!
أكتب
عن الوردة التى لا تعرف شيئًا عن فتنة الخلاصِ
وأحلام اليقظةِ
عن الأنا
والأنا الأعلى
وفلسفة نيتشة
والكوجيتو الديكارتىْ
ووحدة الوجود عند محى الدين بن عربىْ
وطواسين الحلاج
ونظرية الحلول
والاتحاد
عن البراجماتية وأثرها الحاسم فى لعبة التاريخ
والجغرافيا
أكتب
عن بلاغة اللغة فوق حنجرة فراشةٍ
وتعطل الضوء
على شفتىْ امرأة !!
أكتب
عن العدالة
التى نسيها الربّ

فى سنترال عمومى
وذلك بعد أن أخذ كافة
المفاتيح والأقفال
وترك الأطفال
يرجمونها بالحجارة
ويطاردونها بالأحذية والمسامير
ويقذفوها بالبصلِ
والطماطم !!
أكتب
عن قوات الطوارئ الدولية
وقوات الأمن المركزى
وقوانين الطوارئ
والقوانين الاستثنائية
ومجلس الأمن
وصكوك الغفران
والعالم أحادى القطبية
عن أمريكا المتوحشة
اللبؤة
وجنرالاتها الكلابْ
وهم يعتصرون العالم بين أسنانهم الشرهة
كما يعتصرون حبات الطماطم والفاصوليا
تقربًا
إلى كافة رؤسائهم القتلة
من ساكنى البيت الأبيض
ووكالة المخابرات الأمريكية
وعملاء الـ CIA

أولئك الحفنة من الخراتيت

المخنثون

الذين يحكمون العالم من خلف ظهر الله

بلا منازعٍ

أو قوةٍ!!

أكتب

عن العنف

والعنف المضاد !!

أكتب

عن الثالوث المقدس

وحكمة الموت

والعشاء الأخير للمسيحِ

وحقيقة المناولةِ

عن الجسدِ

الذى تحول إلى خبزٍ

والخبز الذى تحول إلى خمر

والخمرِ التى تحولت إلى علفٍ

من عقائدَ

وأيديولوجياتْ !!

أكتب

عن القديس يوحنا المعمدان

الذى يهمل صلواته الأربع

من أجل إصلاح فردتىْ حذاء

على مذبح الربْ

بينما تركع السماء الراسخةُ

إلى جواره

وفى كوب مائه الذى يندلق !!
أكتب
عن أحجار الكنيسة المعلقة
والتى لا تعرف شيئًا عن السيدة مريم العذراء
ويهوذا الاسخريوطى
وبيلاطس البنطى
ومريم المجدلية
ويوسف النجار
وحكاية الثلاثين فضة هذه
والإغواء الأخير للمسيح
للسيد كاز نتزاكس
أكتب
عن الهواء الذى يقف عاريًا ووحيداً
- وعلى عكازٍ وأعمى -
فى منطقةٍ ما
بين الشهيق والزفيرِ
ليتنفس ببطءٍ
وإنسانيةٍ
على كتفىْ امرأةٍ
تنام شبه عاشقةٍ !!
أكتب
عن الشيطان نفسه
الذى يقف فى نهاية النفق المظلم للممر الإنسانى
ممسكًا
ببلطته المقدسة
لكى يقطِّع الرؤوس

ويفقأ العيون
ويمزق كل تلك الأرواح الإنسانية
المتسخة
ويحيل كافة العوالم
- المرئية
واللامرئية –
إلى أشلاءٍ
وجزاراتٍ
ويلقى بها فى نهاية الأمر
إلى صندوق قمامته الضخم
والذى يعرف عادَةً بالجحيمْ المنقعرْ
أنا الإنسان الغائب عن الوعى
والواعى بنصف عينْ
أكتب
عن موت العالم
والإنسان معًا !!

٢٠٠٦/٧/١٤

عن محمد آدم
وهاملت !!

إلى محسن إطيمش

أن تكون أولا تكونْ ليست هذه هى المشكلة
أن تنغرس فى قلب الشر الكامل
وأنت تبحث عن الخير المحض
أن تمتلئ يدك بالظلمة
وأن يمتلك فمك حكمة الحجرْ !!
أن تجلس على حافـّة السرير
أعزلَ
وبلا يقين واحدٍ
لتراقب فراشة ضاله
أن تعترف وأنت على فراش الموت
أن العالم لا شئ
وأن الوجود بلا هدف أكيد
ماذا يفعل كل أولئك القديسين الخونة
بأرديتهم الطويلة
وكلماتهم التى تشبه المخاطْ ؟!!
آه
لقد كان هذا الليل حالكًا
ولم نجد وقتـًا كافيًا لنركض فيه إلى النهارْ
لقد كان هذا النهار قصيرًا جدًا
ولا يكفى لفقمةٍ أن تبتلع ريقها
قدرى قدرُ السمكةِ فى الشصِّ
وروحى

حقل أشواك

وغواياتٍ

فلنقف دقيقة واحدة وتشبه الحداد

على العالم الميتِ

والعالم الحىّ على السواءْ

وأنتِ يا روحى الدبقه

لكِ السلام

لكِ السلامْ

لم يكن يعرف أن الرّب يتربص بهْ

فسار وحيدًا فى الظلمةِ

ومفتشًا

عن لغة الربّ الواضحةِ

السهلةِ !!

أيقن أن كل عشبة إنما هى لغة بعينها

- وتختلف من عشبة إلى عشبة -

ولكن كيف له أن يعرف

كيف له أن يتكلم مع العشبِ

والحجرْ

فى آنٍ واحد

كيف له أن يعقد صداقةً غاوية مع البحر والملح

بصورة كافيةٍ

كيف له أن يجلس مع الضوء

على أريكةٍ واحدة

وليقذفا الليل بحصى الوحدة

وليقولا له

إلى الجحيم أيها الليل

لتأكل قلبك الظلمةْ !!
كيف له وهو العائش فى الشك دائمًا
أن يخترع لغة تفصح عن شكل الوردةِ
كيف له
أن يعرف سر الكلمةْ
الكلمة التى تُنطق
أولا تنطِق
وفى كل يومٍ يخرج باحثًا عن الرّب
- فى الشتاء مثلما فى الصيف
فى النهار مثلما فى الليل -
لمَ لا يكون الرب نفسه مختبئًا خلف هذه السحابة
أو وراء تلك الصخرة
لمَ لا يكون فى جوف هذا البحر
أو هناك
فى قلب تلك الظلمةِ
لمَ لا تكون كل هذه السموات الشاسعةِ
ترابًا لرجليه الذهبيتينِ
ولمَ لا يكون كل هذا القمر الزاهى
أرجوحًة لنعليه
الكريمتينِ
كم من السنوات يتعين علىّ أن أقطعها
حتى أصل إلى بوابتهِ الضخمةِ
ذات الأقفال الهائلةِ
والرتاجات ؟!!
أقدامى كلّت من السير

نفسى تعبت من الشك
تفتتت عظام روحى
وأنا
أبحث عنك فى السكك
لا لم يكن الرّب بكل هذه القسوةِ فى يومْ
لا
ولم تكن ملائكته الرّنانةُ
بكل هذه الغلظة أو القسوة ؟!
من الذى اخترعَ الضوء وجعله يسيرُ كالقططْ
قولى لى يا روحى الجريحة
كيف تكوّن النور فى اليوم الأول للعالمِ
ومن الذى اخترع الكلام فى اللغةِ
واللغة فى الحرف ..
حقًا !!
حقا
من الذى اخترع الفكرة
الفكرة الحسنة
والفكرة السيئة على السواء !!
سنواتى التى أضعتها كأحد الكلاب الجريحةِ
باحثًا عن الرب لم تسفر عن أى شئْ
ولا حتى عن أمل كاذبٍ
فى الخلاص نفسه
أو حتى نعمة النسيان
الخالص
محظوظون أنتم يا كل أولئك الكلاب الذين يعيشون
بلا أفكارٍ

أو حتى كلمات كالمحاريث !!
الكلمات
حيواناتٌ شرسة
والأفكار
سموات بأنيابٍ
وخطاطيفْ
أنا ملطخ بالعارْ
مثلما أنا ملطخُ ُ بالفجيعةِ
أعرف أنّ حياتى
مثل عربةٍ
معطوبةٍ
ومحملة بالأوساخ
وبلاكرّاكاتْ تعمل أو طوحينَ ترنُّ
مزيّت
وبشوارعَ محشوةٍ
بالخيانات
والحصى !!
كثيرًا ما راودتنى مثل هذه الأفكارْ
أن أعيد ترتيب السموات مثلما أودُّ
أن أفرش كل هذه النجوم الزاهيةِ
تحت قدمىّ
وأنا أسير فى السكك
أن أتمشى تحت ظهيرةٍ واطئةٍ
ولا يشغلنى الموت فى شئ
وليس فى فمى سوى أغنية جافةٍ

وبضع كلمات تقينى عبء الليل كله
كثيرًا
ما انسحبتُ من الليل فى الليل
لكى أطارد الأحلام
الضالة
والكوابيس المؤجلةَ التى تتربص بىْ
- فى كل شهيق
أو زفير -
روحى التى تفحّمت من السؤالِ الشكّ
كثيرًا
ما كنت أشبكها فى حبل غسيلٍ
وتحت حوائط العزلةِ
والضغينةِ المسننةِ هذه
أتركها لتجف
- على بوّابة مستنقعٍ -
وأمام عربة الزمن المعطوبة هذه أجلس
مثل ملكٍ
بخساراتٍ
وبلا تيجانٍ
أيها الزمنُ الحطّاب ذو الأيد !!
دع يدك التى تعمل وبلا رحمةٍ واحدة
واجلس على صخرةِ اليأس
المبجلة هذه
مثل حشرةٍ
قارضةٍ

وتحت سماء بسكاكين قويةٍ
وكلاّباتٍ
واترك لروحك المصنوعة من صلصالٍ كالفخّار
أن تنام على ساحل الأبدِ
وبلا تواطؤٍ
أنا شجرة النسيانِ العالقةُ فى اللاشئ
الشمس
ليست بهذه الفكرةِ
أو تلك دائمًا
البحر على مسيرةِ يوم واحدٍ من الأبديةِ
والسماء
أرجوحةُ الزمن
الواطئة
على جدران القلاع القويةِ دائمًا
ما يكتب الطغاة أخطاءهمَ
بينما
يزينون الجسور التى يعبرون عليها
بملايين العظام الجافة
والأرواح التى تتطلعُ إلى العدالةِ
على شجرة اليأسِ
الصلبةِ
ثمة صلواتٌ للنهارْ
بدموعِ من حصى !!

٢٠٠١/١٠/٢٤
(مجلة (ض) العدد الأول)

أسلاك شائكه

عن فتحى عامر الذى ذهب إلى البحر ولم يعد

أن تمتد يدك إلى الفكره
أن تحصل على قليلٍ من الماء لكى تتجرّع سحابه
أن تجلس إلى المائدةِ ليلا
لتراقب فراشة ضاله
أن تعلق شمسًا شاسعة على أنبوبة غاز
أن تذهب إلى الحرب
بقليل من الأصدقاء
وكثير من الخيباتْ
أن تقول للربْ
وأنت تفتح نافذة بيتك الوحيدة
عم صباحًا أيها الرّب
أن تكتب على الأسلاك الشائكة قصيدة حب
لا مرأة
لا تبادلك الرغبه
أن تنام عاريًا
وشبه أعزلٍ
حتى من فكرة الموت هذه
أن تجلس إلى جوار أحلامك
مثل الدببة الجائعة
والسحالى الصّخابةِ
أن لا تهتم بكل أفكار الفلاسفة
وكافة مزيفى النقود
ومخترعى الأسلحة الجرثومية

وآلاف الحروب الصغيرةِ التى تحدث فى العالم
والتى يسفك فيها الدم للرُّكب
- وكل ذلك -
من أجل الفقراء
أن تطأ بقدميك المعوجّتين
ظلك الذى يتبعك
مثل كلب
أن تتخفف من كل أكاذبيك اليومية الصغيرةِ
بقليل من اللامبالاةِ
والضحك
أن تنزل النهر مرتين
فى نفس الوقت
وأن تجفف قدميك
حتى من السمك الميت
أن تغمص عينيك قليلاً
وتحدق جيدًا
فى السماء التى تنسحب إلى الواقع
أن
تفكّك حياتك
مثل عربةٍ
وتقف بها على الأرصفةِ
لتبيعها كقطعة خردة !!
أن تبول على كل مالا يعجبك فى هذا العالم
بدءًا من الساسةِ
والروساءِ
وانتهاءً

بكل رؤساء الأحزاب الخونةِ
أن تصلى صلاة مودعٍ
وتترك العالم خلف ظهرك
مثل بيضة فاسده !
أن تضحك بملء فمك وتقول
فليذهب إلى الجحيم
كل مشعلى الحرائق
وسارقى أقوات الشعب
أن لا يكون لك هدف
آخر فى حياتك
فى ظل الظروف الدولية الراهنةِ
حتى ولو كان الذهاب
إلى المرحاض !!
أن تسند رأسك إلى ظلك
مثل فكرةٍ تالفةٍ
وتضع إحدى قدميك
على الأخرى
ولا تعود تعبأ بما كان وما سيكون
أن تضع فى سلة مهملات
كافة القديسين
المجدفى الأفواه
وكل الأنبياء الكَذَبَة
وتكومهم فى حجرةٍ متربةٍ
وتغلق عليهم بالأقفال
أن تأخذ معك البحر فى نزهةٍ
خلوية

وبعيدًا عن سياسة المد

والجزر هذه

أن تقبض على العدم من رقبته

وتدقه بالمدقات

فلا يعود يطاردك

أو حتى يؤرقك

مثل حشرةٍ بآلاف الأنياب والأجنحة

أن تسخر وبضراوةٍ بالغةٍ

من فكرة الزمانِ

والمكانِ

وتعتبرهما غير معقولتينِ

ولا إنسانيتين

أن تضع الحياة فى جيبك

كشئ زائد عن الحاجة تماماً

وتتبرع بها لأول عابر سبيلْ

أن تتوقف

عن صنع أوهامك اللامجدية

عن الخير

والشر

والإمام العادلِ

وسلطة الجماهير

عن الخير فى ذاتهِ

والعدم المحض

وكافة أكاذيبك المدمرة عن السلام

والحب

أن تقول عن حياتك

إنها تشبه إطار سيارةٍ فارغ
أو عربة روبابيكيا
أن تجتث من رأسك كافة الأفكار الزائفة
عن العالم الآخر
وأساطيره اللامجديةِ
عن الجنة
والجحيم
والعود الأبدى
وتناسخ الأرواح
بينما الناس يتضورون جوعًا
فى الشوارع
ويبحثون عن لقمة واحدةٍ فى صناديق القمامةِ
كالخنازيرْ
أن توقف رئيس الدولة
فى إحدى الطرق الجانبية
لتسأله
عن فكرته الواضحة
عن العدل
والحريةِ
تلك هى على الأقل
حياة شاقةْ
لشاعرٍ عظيم !!

٢٠٠٥/٥/١

جريدة العربى الناصرى

عن محمد مستجاب
وزوربا اليونانى

لنسهر الليلة فوق جبل جلعادْ
أنت تدخن الحشيش
والماريجوانا
وأنا أتلقف حليب الزرقةِ الغاويةِ
لا تبتئس أيها السيد محمد مستجابْ
فليس للزمن وجود
وليس للمكان من معنى آخر
سوى تلك الروح القلقة
التى تتلفها وراءك
مثل سلة من المحارْ
أو تلك الفكرة التى تقيم عليها مقبرتك
وبعيدًا عن مدار الجاذبية
تحت قبة السماء التى تغويك
وليس ثمة شئ يمكن ليدك العليلة هذه أن تكتبه
سوى تلك النثارات الصغيرة
من السيرة الذاتية لبطلك المفضل
نعمان عبد الحافظ
لا !!
لن تمر عليك أوائل النسيم
وكما كانت تفعل من قبلُ
لا ولن تخطفك بنات القمر المسحور
لتلف بك على جمل أعرج
فى ليالى الحصاد
والصيف

وسوف تتوقف بمفردك – ولمرةٍ استثنائيةٍ –
عند حقل من الفلِّ البلدى
والذرة العويجة
لتجمع القليل من الحطب البارد
والحشائش الذابلة
لزوم ما يلزم
وما لا يلزم
أعرف
أنك فى الفجر سوف تغادر هذه القرية اللعينةَ
ديروط الشريف
وسوف تركب حصانك الخشبى
وتحمل فوق ظهرك بقجتك الخالية
كصياد لضفادعَ بريةٍ
وسحالىْ
وتخرج إلى الغيطان المغبشة بالجوعِ
والسُّل
لتتأمل قطرًة صغيرةً من الندى الجارحِ
تقف شاردًة
على ذؤابة شجرة التوت التى أطعمتك
لبنها الحاف
وآوتك فى حضنها الرحيم لبضع سنين
وها أنت ذا
تقاتل الزمن كأحد البدو الرّحل
أو المتسولين العتاةِ
وهو يقترب منك بأسنانه الفرّاسةِ
ونواجذه الصدئةِ
ربما

يقترب الفجر منك
وأنت فى حالتك هذه تدعك عينك المعطوبة
بعصير النومِ
والتوتياءِ
لتتأمل كم هى جميلةٌ كل هذه النجمةْ
وكم هو فاتن كل هذا العالم !!
ولم يكن يشغلك الأخوة كرامازوف فى شئ
ولم تفكر لمرة واحدة فى مصير راسكولينكوف
الإستثنائى
بل على العكس من ذلك تمامًا
كنت كشجرة سروٍ ضريرةٍ
على كافة السكك التى تسكنها فى الليل
وتحمل فى جيب بنطالك المرقع
قصة تشيكوف الأثيرة لديك
- موت موظف -
إلا أنك وفى الحقيقةِ
وكما صرحت بذلك أكثر من مرّةٍ
كنت مفتونًا بشخصية واحدةٍ على الأقل
هى زوربا اليونانىّ
ذلك العدمى الرائعُ
المفتونُ بالعالم
والساخرُ الفذ َمن كل شئ فى هذا العالم
بدءًا من الموت
وانتهاًء بالوجود ذاتهِ
مما جعلك تركب كافة القطارات المتعاكسة
فى نفس الوقت

لتطل على العالم
من شرفته الساخرة
المليئة بالحكايات المرة
والأكاذيب السوداء
الأمر الذى كلفك ثلاثة مليمات ونصف
دفعتها عن طيب خاطرٍ
لقاء تلك الرحلة المقدسة
التى بدأت من ديروط الشريف
وانتهت
على عتبة الرب الرّنانة
بضحكةٍ ساخره
وها أنت ذا
تحمل بقجتك الأثيرة لديك
والتي تمتلئ بالضفادعِ
البريةِ
والسحالى العملاقةِ
لتقف بمفردك تحت تلك السماء الواطئة بنصف عين
كأحد القراصنة القدامى
فى انتظار أن تفتح لك السماءُ
أبوابها الواسعة
ودون أن تعطلك
ولو لدقيقة واحدة !!

أخبار الأدب
٢٠٠٧/٤/١

يوسف الصائغ

ولأنك أكثر من شاعر
سأعلق قمرًا أخيرًا على باب بيتك
ولا أدع العتمة تتسلل إليك أبدًا
أنت أيها الضلِّيل الذى لا يلعب إلا مع النجوم دائمًا
ولا ينام إلا فى بيت الطاعةِ
سنواتك العارية التى أنفقتهاَ بمفردك
وعبر زنزانات الوطن
لم تكن سوى حقل حناناتٍ
وأودية ماس !!
بماذا تفكّر الأن يا صديقى اليسوعى
وعلى أى دكةٍ خشبيةٍ تجلس فى شارع السعدون ؟!
ربما
تجلس تحت قدمى أبى نؤاس
ذلك القابع فى ركن الذاكرة الخربةِ
كتمثال لأحد الأنبياء القدامى
أو ربما أحد مقاتلى جيش على بن محمد !!
هل تبنى نفقًا فى الأرض
لكى تصعد إلى السماء خطوةً خطوةً
أم تقف وحيدًا على جسر الحريةِ
لكى تجمع الدماء التى تتساقط من تمثال بدر شاكر السيابْ
وقصائد عبد الوهاب البياتى
وحنجرة سركون بولص
ومن سروال قديم لجان دمّو
سقط فجأة

تحت سنابك الخيلِ المغولى
لكى ترفع مذكرة إلى السماء
التى تتهمها فيه وبعمق
بالانحياز الكامل إلى قواتِ التحالفِ
لا تبتئس
أيها الولد المحب !!
لا تبتئس
فلأنك أكثر من شاعرٍ
وأكبر من خطيئةٍ
مقدسةٍ
سوف تأخذك الشفقة قليلاً على ماء دجلةَ
الذى صار بلون الدمِ
وسوف تقعد على الرصيف الموازى لفندق الرشيد
والذى صار مركزًا لقيادة قوات التحالف
بعدما كان يتجمع فيه كوكبة من الكرادلة الشعراء
ومحبى الوطن
بعيدًا عن أعين الديكتاتور
لتجمع ألف جمجمةٍ
وجمجمةٍ إلى جوار ألف نجمةٍ ونجمةٍ !
وسوف تخرج فى الليل كالضلـِّيلِ تماماً
وكما يفعلُ آخرُ قط برىٍ
لتضع – كذلك – ألف رأس مقطوعةٍ
كتذكار أخيرٍ على الحرية
وتضعها فى سلة من النخيل
والقصب العراقى

بينما تُدخلُ يدك فى جيبك الذى صار مثقوبًا
مثل وطنك
تمامًا
- بفعل الرصاص
والخناجر المدببة
وطائرات الأباتشى
ونظارات الرؤية الليلية –
لتُخرج مليارات الأحلام التى سقطت على الأرض
فجأة
وداستها الأقدام المتوحشة لجنود اليانكى
وأحذية المجنزرات الثقيلة
والتى نسيها أصحابها فى لحظات الجحيم
والقصف
ولتتناول وجبة من الخبز
والزيتون
مع صديقتك الحرية
على كرسيٍّ بائس
فى مقهى شعبى من مقاهى الكرادةِ شرقْ
أو سوق الشورجة
كل ذلك
وبعد أن تكون قد استيقظت تمامًا
فى العاشرة صباحًا – كما هى عادتك دائمًا – كوعلٍ
وأعمى
لتبحث عن نجمةِ الفجر
التى أفلتت !!

ومثل جنرال الجيش الميت فى رواية إسماعيل كاداريه
سوف تظل تبحث عن أسماء الشوارع التى اختفت
من على الخريطة تمامًا
ونهائيًا
وكذلك عن عددٍ من نياشين أصدقائك القدامى
التى دفنوها
في المقابر التي تملأ الهواء
ولا تظهر إلا عبر شاشات التلفاز
بينما يظهر السيد جورج بوش كأحد رعاة البقر
فى صحراء السماوة
أو على حدود الربع الخالى !!
هل تفتش عن الكلمات الأخيرة لكناسى الشوارع
وبائعى المرطبات
والجيمر
وقبل القصف الأمريكى للمدينة بثلاثِ دقائق
ونصف ثانية على الأقل ؟!
صديقي يوسف الصائغ
أيها اليسوعى
ليست الشوارعُ التى نعرفها بسيماها فقط هى التى اختفتْ
وإنما الشعراءُ كذلك
أولئك الغواة الذين قرّروا فى لحظةٍ واحدةٍ
أن يهجروا المدينة – مرةً –
وإلى الأبد
بلا قصيدة شعر واحدة
أو حتى تفعيلة رجز أخيرة

مما أجبر المدينة الحزينة أن تمشى وراءهم
وهى بملابس الحداد
وكما يليق بشعراء غادروا المدينة
ودون أن يذرف أحدهم دمعة واحدة
على بوابةِ بغداد
أو البصرة
أو تحت تمثال بدر شاكر السياب
على شط العرب
وإنما أخذوا يكوّمون أوجاعهم
والتى تشبه حويصلات الطير
فى أنبوباتٍ اسطوانيةٍ
حتى لا يتعرف عليها أحد
أو يسألهم رجال الجوازات عن مصدر تلك الأحزانْ
والتى نجحوا فى تهريبها أخيرًا
وبعد صعوبات جمة وبعيدًا عن السلطاتِ
التى أخذت تصوب بنادقها
نحو قلوبهم
التى تحمل خرائطَ سريةً لأوطانهمْ
تلك التى أخذت تنمو من جديدٍ
مثل فطرٍ
على رئةِ البحرْ.

جريدة القدس العربى

٢٠٠٥/٨/١٧

إبرة الحظّ

بمعاولنا الصدئة هذه
سوف نكنس حجارة السماء الواطئة
ونتوقف قليلاً على إبرة
الحظْ
لا
لكى نحكى عن سمكة الروح الشريرةِ
أو حتى نفتش عن القوة الدافعة
للتطور الخلاق
لهذا العالمِ
أو ذاك
بل
لنتوقف بإزاء حياة عابرة
لا تلبث أن تزول
أو حتى تختفى
تحت أول بلطةٍ
لعابرِ سبيلْ !!
وسوف نطوى السماء العليمةَ كذلك
بيدين عابرتين
وخاليتين تمامًا
من الفوضى !!
حتى إذا ما وصلنا إلى الطرف الأقصى من هذا العالمِ
ودققنا النظرَ
فى كل تلك الفجوات العميقة لثقوب السماء السوداء
أدركنا على الفور

أننا دخلنا غابةً متفحمةً

من التصوراتِ

والرؤى

والتى لا تلبث أن تتلاشى

وأن الزمن ما هو إلا ساعةُ ُ ميكانيكيةُ ُ

تعمل وببطءٍ

وفق الإرادة العمياءِ لكل هذا الكونْ

وأن ما كنا نحسبه هو الصواب بعينه

كان هو الخطأ الفادح

فى نفس الوقت !!

فإذا ما بحثنا هناك بحرية وعمق عن الله

ذلك الجالس على عرش العالم

بقدميه الهائلتين

وملائكته الغلاظ

أو حتى

أى أثر من آثاره البطوليةِ المخلوطةِ بالنعاسِ

والزمنِ

أدركنا على الفور أننا

كنا نبحث عن إبرة الحظّ

العاثرةِ !!



حطّاب البهجة

أو ملاك النظرة الأخير

[فى مديح السيدة ج. عبد الحفيظ

المرأة التى بكثافة الملائكة وخفة النسيان !!]

عيناكِ
تخترقان حجب الزمن
والنسيان
وتحطان هنا أو هناك على صخرة الروح
التى تندثر
مثل فكرةٍ بلا خطأ واحدٍ
أو حتى ملاحظةٍ أخيرةٍ من أحدْ !
أيها الزمن !!
أيتها الحشرةُ السامةُ
ويا صانع السرادقاتِ
والعزمِ
كيف حافظتَ وعبر كل هاتيك السنوات
بمهارة لاعب سيرك
وحذق عازف أورج ضريرْ –
على هاتين العينين الواسعتين
الرائعتين
وذلك رغم صخورك التى تنحدر
ولم تقدر يدك المسننة هذه
أن تزيل من على حوائط الذاكرة الدبقة
شكل الضحكة الوحيدةِ
التى برنّة الفراشات
وحيوية جذع أعزل

ولم تعد تعرف كذلك
- حتى ولو لمرة واحدة -
وعبر أنيابك القوية
أن تقتلع من على مرآة الزمن الضحلةِ
هواء تلك المرأة الغامضة التى تسكن الروح
بكثافةِ الملائكةِ
وخفةِ النسيان
تمهل أيها الزمن
تمهل !
ولا تكن مثل بحار وأعمى
فصوت خطواتك العليمة المدربة يتردد عبر كل شئ
بدءًا من الضوء الرّاسخ
وانتهاءً بلحظةِ الموت الرنّان
وحفلاته التنكرية
وذلك
رغم أن نظّاراتك التى تجرى على المحطات
والأرصفةِ
لتمسح كل شيءٍ على الأرضْ
لا تترك سوء بقعٍ من الغبار والدم
على سلم الذاكرةِ المتآكل
أيها الزمن !!
يا حطابَ البهجة
توقف
وأترك – ليْ – تلك الضحكةَ الناعمةَ التى تحتفظ
ببلاغة النسيان الخالص
وفكرة الضوء

ولا تجلس على باب بيتى مثل حدّادٍ
بسندياناتٍ
ومطارقَ
واترك لى قليلاً من الوقت
حتى أتذكر تلك الشفة التى تعمل كمستعمراتٍ نائيةٍ
وقبل أن تتحول إلى قارةٍ
غارقهْ !!
أيها الزمن
يا حطاب الموت
ويا خطاف الزمن
لا تترك لخيولك الصاهلة المتوحشة والمدوية
عبر الأفق
وزنزاناتك الواسعة بحجم الهواءِ
أن تدوس بحوافرها التى تطق بالشرر والحتف
على تلك النظرة اليتيمةِ
الملقاةِ
على قاع الذاكرةِ
كتذكار أكيد لبحارٍ ميت
وعلامةٍ نهائية
على صلابةِ هذا العالمِ
وتماسكِهِ .. !

جريدة التجمع

الشيخ الرئيس

ابن سينا

ترى
لماذا أغمضت عينيك عن طريق الجنة الآن
ووقفت بمفردك على مفازة الجحيمِ
مثل كلبٍ صيد
يتشمم أخطاءه التاريخية
ويلحسُ ذيله الطويل بتمعنٍ
وأنفةٍ
فيما يبحث لنفسه عن مستقرٍ
ومستودعٍ
فى مسلسل العقل المنفعل تارةً
والعقل الفعّال تارةً أخرى !!
وفيما كنت تبحث كذلك عن مراوغة العقل الإنسانىّ
فى كافة الخرائب التى خلفها وراءه الرب
كنت تتشمم الضوء بأذنيك المدربتين جيدًا
على السمعِ والطاعةِ
بينما يقبع فى داخلك ذلك الشيخ المسنّ
الذى يقبض بكلتا يديه
على حشرة الرغبة السامةِ
والصلاة القائمةِ
كما كنت ترى أيها الشيخ المسنّ - وبمجرد النظرِ –
أن الزمنَ مثل حفنةٍ من الغبار
يمكن لك أن تستدرجها أو تختزنها فى أوانى الذاكرة الهَرِمَةِ
ويمكن لك – كذلك – أن تستنبتها فى أصصٍ من العَاجِ
أو البلاستيكِ

كما يمكن لك أن تلمسه أو حتى تدركه بالعين المجردةِ
وتستطيع أن تفعصه ذلك الزمنُ الكلبُ
مثل بعوضةٍ لزجةٍ
حتى لا تتعطل آلة الرؤية الوحيدة التى لديك
أو تشغلك عن مراقبة تلك الطيور السماوية الضالةِ
التي تهبط عليك من الجحيمِ فجأة
أو تتنزل من الغيم
مثل طبق طائرٍ
وها أنت ذا تفركه فى لحظة من العمى
والتعب
الزمنْ !!
بين أصابعك الخمس
لتتخلص منه وبحركة عفويةٍ مثل نغمةٍ نشازٍ
أو كشئ زائدٍ عن الحاجة تمامًا
إذ ليس ثمة معنى لكل هذا العالم
سوى الفوضى !!
هكذا
وكما يفعل السفهاءُ من الناس تمامًا
رحت تجلس على السكك التى تمتلئ بالبعوض والقُمَّلِ والذبابِ
والوحوش المدربة على القنصِ والقتلِ
وكافة الفرائس التى تنهش لحمك الحىّ
وكلاب السلطةِ ذات الرائحة الزنخةِ
لتعرض عليها فى أوقات فراغك
ومعاناتك
بضاعتك المزجاةَ عن العقل المنفعل تارةً
والعقل الفعّال تارة أخرى

ولم تكن وحدها تلك كافة المرايا التى تحملها بين جنبيك
مثل حبةٍ من خردلٍ
أو هى ثمرتك الطازجةُ الوحيدةُ التى تحتفظ بها فى جرَّتك
أو تحت قبو بيتك المزدانِ بالجماجم الفارغةِ
والمجلدات المنقوعةِ فى الماء الآسنِ
والنعاس الحارّ
وإنما تلك الروح المتأنقةُ الشرهةُ
والتي تقف شامخةً
على بوابات الجحيم
وكافة القلاع الصدئة الرّاسخة
للروح التى تهيم دون أن تعبأ أو تهتمّ
بكلّ تلك الطيور السماوية الغريبة ذات الرنينِ
من فصيلة العين الواحدةِ
والتى ترفرف بمناقيرها المعوجة عاليًا
بينما تقف كافة الأفاعى التى هربت من الجحيم فجأةً على مقربة منك
لتلتهم ثمرتك الغضّةَ
التى تفرعت
على كافة الطرقْ.

القدس العربى
٢٠٠٦/١٠/١١

سليم السامّرائى

لماذا يطاردني صوتك أيها الخنزير البرى
مثل مجنزرةٍ على بوّابة أم قصر
ألازلت تأكل - الجيمر - و - السمك المسجوفَ - تحت طهيرة واطئةٍ
وتتحسس خلايا جسمك المعطوبةَ
خلية خلية
لتنقيها من الشطايا العالقة
والدم المغشوش
وطلقات العدو المطاطية
وأنت تتمشى بمفردك على شاطئ الفرات
طيلة ثلاث ليالٍ سويًا
لم تتذوق فيها طعم النومِ ولو لدقيقة واحدةٍ
ولا تكلم الناس إلا رمزًا
خشية أن تصيبك الطائراتُ المغيرةُ بالقنابلِ
الفسفورية
وأرق الصحيان الدائم
بينما تمسك بيدك الأثيمة نجمة الفجر التى لا تطلع أبدًا
وأنت تقف فى الظلام كمتسولٍ وأعمى
- أمام بوابةِ هارون الرشيد -
منتظرًا أن يخرج الحجاج بن يوسف الثقفى
وفى يده مسبحته الكهرمانيةَ
وسيفَه المصنوع من الذهب الخالص الذى يلوّح به على الخوارج دائمًا ؟!
ألازلت تتذكر الإمام على فى خطبة الجمعةِ
وهو يندد بالاحتلال الأمريكى للمدينة المقدسةِ
فى النجف
وكربلاءَ

بينما يقف الدم العراقى ضريرًا
وشبه أخرسٍ
وهو يشاهد جثة الحسين
ورأس الإمام جعفر الصادق وهى
تجرجر فى الشوارع على مرأى ومسمع من العامة
ورجال المخابرات الأمريكية
- كحالةٍ عبثية للتاريخ الإنسانى -
فى نوبة من نوبات ضحكاته الساخرةِ
بينما تحتفظ أنت ومثل تينة معطوبة بين شفتيك المجففتين
بنجمة منطفئةٍ
كنت خبأتها فى زمان الطفولةِ
ونزوات الصبا الجارحة :
يا زمـان الوصل بالأندلـس
جادك الغيث إذا الغيث همـى
لم يكن وصلك إلا حلما ... !!
أيها المعتزلـيُّ الأثيم
ألازلت تتذكر عبد الوهاب البياتى
ببدلته المغسولة بماء السماء
والمصنوعة من القصب العراقي وجمّار النخلِ
فيما كان يخبئ فى جيب بنطاله الكاكى قمرًا عراقيًا
نجح فى تهريبه أخيرًا
من أربيلَ إلى السليمانيةِ
ليستقر فوق جبل قاسيونَ
بينما يجلس على أرصفة دمشق كأحد الدونكشتيين العظام
ليلقى بقصائده التى تشبه الهواء
إلى الهواءِ

ويمسك بكلتا يديه صنّارة الريح
وكثيرًا من الموشحات الأندلسية !!
ألا زال بدر شاكر السياب
يقف بمفرده على شطّ العرب
ويتذكر وفيقةَ وجيكور
أم أن الطيور السماوية التى هربت من القصف المدفعى والصاروخى
لتعبر الفراتَ
ما عادت هى الأخرى تحطّ إلا على بوّابات أبى غريبْ
ومعسكر الرشيد للعراقيات المحْصنات
والنشامى
وتقف مكبلةً أمام جون أبى زيد
والحاكم العسكرى السابق للمدينة السيد برايمر
هذه الطيور التى تقف مكسورةً أمام مكتب الـ un
وقوات التحالف
لتتلقى المعونات اليوميةَ من الخبز والدقيق
وتنظر إلى الحرية باعتبارها أحد التماثيل التى صنعها الديكتاتور
فى أيام مجده
ولتشكل فى نهاية الأمر طبقًا اصطناعيًا
لا يلتقط سوى الإشارات الإلهية للسيدين جورج بوش وتونى بلير
وهما يقفان في شرفة فندق الرشيد
- باعتباره المقر الصيفى لقيادة قوات التحالف الأجنبية -
وها أنت ذا تضحك فى كمك الذى يمتلئ بالأغانىْ
بدءًا من أغنيات القبانجى
وناظم الغزالى
ونازك الملائكة

وانتهاءً بصوت كاظم الساهرِ
وهو يقف على بوّابات بغداد
فى انتظار أن يحصل على تأشيرة الدخول إلى الرصافةِ والكرخِ
- عيون المهابين الرصافة والجسر -
لكى يغنى لكل العصافير التى هربت من بغداد
فى ساعة القصف الرحيم للمدينةِ
وظلت واقفة على الحدودِ
فى انتظار أن يسمحوا لها بالمرور
من بين كل تلك الأسلاك الشائكةِ
وأختام الـ CIA
ما الذى يجعل الهواء جريحًا وإلى هذا الحدْ
ما الذى يجعل الزمن يلبس شارة الحدادِ
وهو يجوب شوارع الأعظمية بحثًا عن جبرا إبراهيم جبرا
وسركون بولص، وسعدى يوسف، وحسب الشيخ جعفر
ويوسف الصائغ، وجان دموّ، وجواد الحطاب
وخزعل الماجدى، ومحمد خضيّرْ فى درجة حرارة ٤٥ مئوية
تحت الصفر
محمد خضيّرْ ذلك الأخضرُ الأخضرُ
القابع فى ركن من أركان البصرة كأحد العشتاريين القدامىْ
ليراقب التاريخ من فوهة غرفته التى تشبه السجنَ
وهو يمرّ تحت شرفتهِ حاملاً فى بقجتهِ
أحذية جانكيز خان وأوسمته
ورايته المصنوعة من جمجمتينِ
وعين منجرحةٍ
فيما يعبر الفرات على كتب اللغة والنحو
وديوان المتنبى

ومخطوط التوحيدى فى الإشارات الالهيةِ
ويدهس بنعليه الثقيلتين
رأس واصل بن عطاء
فيما يبول بتلذذ وأنفةٍ على المنزلة بين المنزلتينِ
ويجرجر وراءه ملايين الجثث
التى حولت ذلك النهر الكبيرَ
إلى دمعةٍ منكسرةٍ
بحجم السماء !!

جريدة التجمع
السبت ١١ نوفمبر ٢٠٠٦

جواد سليم

يدك
التى تنسج من حجارةِ الطريق أنشودةً قويةً
وتشبه السِّل العراقى
لبغداد الجريحةِ
فى ساحة التحرير
يدك هذه
وردة حمراءْ
فوق سترة العمالِ
والموظفين
وبائعى الجيمر
والمرطبات
كنت يا جِواد سليم تعرف كيف تخلط الملاطَ بالسماء
والمشاحيفَ
بجامعى البوص
والسمك الميت
لا لكى تشم هواء الحرية الضخم
عبر اللوحة
وإنما لتقتنص من الضوء خيطًا سميكًا
ويشبه الدم
فى تأوهاتهِ
وأنت تمسك الفرشاةَ
بأصابعك التى تعرف كيف تضع المتنبئْ
بجوار رشدى العامل
وبدر شاكر السياب
إلى جوار الحلاج

والسهروردى
والجيند فى سلةٍ واحدة
مع شيركو بيكه س [١]
وألف ليلة وليلة إلى جوار نهج البلاغةِ
وشرح ابن أبى الحديد
لتجليات الإمام على بن أبى طالبٍ
ولم يكن ينقصك فى تلك اللوحةِ زهوةَ اللون
بقدر ما ينقصها الإطار
وكنت – أنت يا جواد سليم – ككل قصاصى الأثر القدامى
تعرف كيف تتبع طائر القطا من بلدٍ إلى بلدٍ
فى تأرجحاتهِ
عبر صحراء السماوة البالغة القيظ !!
ما الذى ينقص لوحتك الأن يا جواد سليم
أهو اللون الأزرقُ
أم قلم الكحلِ
الذي علقته في رقبة أبى نؤاس
ذلك القابع فى ركن مهملٍ من المتحف الكبير
وهو ينظر من خلف نظّارتيه السميكتينِ
إلى خشفتى جنان المستدقتينِ
وصدرها المُفلِق
كحبتى رمّان آسيويتين
بينما تمسك بكأس الخمرةَ وتمضع بين شفتيك الكهرمانيتين
أغنية القمر العراقى اليتيم
ما الذى ينقصك الأن يا صديقى جواد سليم

(١) شاعر كردى كبير .

أهو القبانجى فى مقام الصَّبا
أم هو ناظم الغزالى
تحت خيمة الحجاز كار ؟!
وهو يصعد السلم الموسيقى بطبقاته المأخوذة طبقةً طبقةً
فوق دجلة الكليمِ دائمًا
هل تنقصك مخطوطات الخليل بن أحمد الفراهيدى
فى علم العروض
أو لسان العرب لابن منظور
أم أغنيات البدو الرّحل
وأناشيد الرعيان الأوائل
فوق جبل حاج عمران
ومندلى
وعلى مشارف زاخو الملآنة بالجوعى من الأكراد
وهم يجمعون فى صفائحهم بَعْرَ الآرام
من فوق حقول الالغام التى زرعتها قوات التحالف
فوق نجمةٍ مرتدةٍ
هناك
بجوار مقبرة الإمام على
وضريح السيدة فاطمة الزهراءِ
بينما
يقف فائق حسن يقدميه الخشبيتينِ
مثل طائر الحجلِ
لكى يرسم حصانًا بريًا
بحجم دمعة الربِّ
الكسيرة !!

الأربعاء ٢٤/١٠/٢٠٠٦

واحدة سيوه

جريدة التجمع

السبت ١١ نوفمبر ٢٠٠٦

صلاة قانا

نحن الذين أتينا في زمن الغزواتِ
والحرب
ولم يكن لنا من حظٍّ لنتوقف قليلاً تحت كل هذا الهواء
وكل هذه الشمس
نحن الذين توضأنا بالدم
فى اليوم والليلة خمسَ مراتٍ على الأقل
نحن الذين صمدنا
ولآلافٍ من السنوات
فوق هذه الأرض
لأنه لم يكن لنا من أرضٍ
غير هذه الأرض
حتى تَحسسْنا الهواء بسواعدنا المكلّلةِ
باليقين
والرغبةِ
نحن الذين أنبتنا ضحكةَ الفجر الرّنانة
وبلباقةٍ
على حافة الليل الكليم
ولم يعد لنا من مبرر خالص وداخل أسوار كل هذا العالم
سوى أن نتوقف بإزاء صلواتنا التى لا تنتهىْ
وكلماتنا التى تشبه الروث الجاف
حتى يغمرنا السلام
وتعمنا
النعمةْ
بدلاً من اليأس
والعمى

نحن الذين أجلسنا النهار حتى على صخرةٍ مبلّلةٍ
وبجوار صرخاتنا المزنرة بالألم !
كنا
نتعلم كيف نمضى أوقاتنا الضحلةَ
بجوار ضحكاتنا التى تشبه الحصى
لا
لن يهزمنا كل هذا النهار
بمراراتهِ
وخيباتهِ التى لا تنتهىْ
لا
لن يهزمنا كل هذا الليل بجيوشهِ الجِرارةِ
وأسلحته التى تشبه القنابل العنقودية
لا
لن نتوقف بإزاء كلمات العدو المطاطيةِ
وضرباته الساحقة
ومعاوله المسننة بالخرابِ
واليأسِ
وسوف نتوقف بإزاء كل هذه الوردةِ
لنتعلم منها معنى الربيع
لا لن نتوقف عن السمع والكلام
ولا حتى عن فطرة النظر
لأننا نعرف كيف تتسع حلوقنا للغناء دائمًا
وكيف تتطلع عيوننا
إلى شرفة الفجر الميّالةِ
سوف نتشبث بالأرضْ

ومثلما نتشبث بالهواء

والحلم

وسوف نقولُ لأطفالنا

أمكثوا قليلاً فوق كل هذه الأرض

إلى أن تطلع نجمة الفجر

يكفيكم كل هذا الندى

يكفيكم كل هذا العشبْ

وتكفيكم كل هذه الأغانىْ

وسوف نقولُ لكم أخيرًا

اغفر لهم يا أبى

ومثلما غفرت للذين من قبلهم

لأننا

ومن فوق هذه الأرض

نعرف كيف نحيّى السلام

بأذرعنا التى تنز بالدم

والشرف !!

الهلال

سبتمبر ٢٠٠٦

لم يكن هناك أحد ليبكى علىَّ

إلى جميله حسن نصر

أمى !!

لم يكن هناك أحد ليبكى علىّ
لقد استتشرت أنفاسى
كانت أوردتى تتطلع إلىّ بضجرٍ وحناناتْ
لقد استتشرت مفاصلى
كانت روحى تتوكأ على عكازٍ
وأعمى
مشوهٌ
أبكمُ
وأصمْ
إلى درجة الفطام
انتظرت ألف سنة وأنا أتابع صراخاتى
التى تشبه جوف القفر
أو تلك الكاتدرائيات المفخّخة
كانت جراحى التى تصّاعد إلى السموات
مثل درّاجة هوائية
وفى فجواتٍ
بحجم الكرة الأرضيةِ
لم يكن هناك أحد ليبكى علىّ
فقط
كانت هناك
ضحكاتي التي تُشبه الأرَضَة
وكلماتى التى تتفوّق على العدم ذاتهِ

لم تكن تلك حياتيٍ التى أريد أن أبتكرها
لقد كانت أحبولةً
وبصدق
الأمر الذى كلفنى أنشوطةً قويةً
لكى أطارد الريحْ
لقد كنت أطارد الأسى
لا الدمعْ
كان الدمع مثل قمٍر متفحمٍ
على عين فراشة منجرحةٍ
وكان الأسى مثل أسد رابضٍ فى الفمْ
وكنت أتلاعب مع الفوضى
بيأسٍ كاملٍ
وعصى بخيباتٍ
وشخاليلْ !!
وها أنذا
أعطّل درّاجاتى الهوائية على شفير الهاويةِ
لأركن حذائى المتسخ بالعالمِ
على رصيف السماء الخالى من المارّة تمامًا
كيف لىْ
وأنا الجالس على فوهة العدم هذه
أن أطأ كل هذا العشب الشوكىّ
والطحالب المسننة
التى تنمو وبغزارةٍ على عشبة الروح المسوَّسَة ؟!
ومن أين لها أن تعرف كل هذه الطحالبْ
ما هو الألم ذو الأنياب والوطءْ

ولا ما هو الزمن ذو السكاكينِ والأيدْ
أو ما هى الروح ذات الصدعِ
والحراشفْ !!
وبأية آلةٍ حادةٍ يمكن لى - أنا الجالس
على سفينة النسيانِ
هذه -
أن أكشط من على هواء الذاكرةِ المالحة
كراهيتى الكاملة
لكل هذا العالمِ
كيف لى أن أقلب كل هذه المائدة من الأساطير والخرافات
التى يجلس عليها الرب
فى مواجهة الشيطانِ
بينما هما فى عراكٍ دائمٍ من الأزلِ للأبدِ
وأنا بينهما مثل كلبٍ وبلا يقين
كيف لى أن أصرخ بملء فمىْ لأقول
أن الجحيم إحدى شراكه القوية
حول روحى التى كلّت من الوطء
والوخذ !!
كيف لى أن أقول أن الوجود الإنسانىّ
فارغ
ومثل حشرة فى دورة الزمن
وأن العنف فى الساعات
سوف أجلس على رصيف الحياة المبجّل
وأتابع تحركاتى إلى أن تحتضرْ الشمس
أو تمور الجبال مورًا
وبلا يأس كامل

أو حتى ندم بليغ
سوف أترك لروحى المتسخة أن تنام
على عجلة الأبديةِ
إلى أن تكتشف هى الأخرى أن الوجود لا شئ
لقد كانت حياتى لعبةً خاسرةً بالأساسْ
أو مسرحية فجة ً على طول الخطِّ
لقد أسرفت فى البكاء لحدّ الضحك
وأسرفت في الضحك لحدّ البكاء
أنتهز هذه الفرصة لأقول
لقد كانت حياتى .. بصلة وبلا شفاء من أحدٍ
أو حتى ربيع وحيد !!
لقد عقدت اتفاقًا نهائيًا مع العالم
أن آكل أمعائى فى الصباح
وفى الظهيرة
أجلس إلى طاولتى الخشبية لأنظفها
من كل تعب النهارْ !!
أن أضع أحلامى وكافة كوابيسى - الليلية
والنهارية – فى درج مكتبىْ
وفى الليل أعود لأعبث بأسنانها التى كالأرانب وأفكّك بنطلوناتها المرقّعةِ
أعرفُ
أعرفُ
أن كل هذه الأحلام التى صنعتها من أكياس البلاستيك
ونفايات النايلون
كثيرًا ما أرصها على أرضية الزمن الرطبة هذه
لكى أعرضها على المارة
بثمن بخسٍ

أوْ لا عدّدَ عليها شكل سنواتى الضالةِ وعددَ خيباتى اللانهائية
أرجوكم
لا تنظروا إلىّ بشفقةٍ
مثل فأرٍ ميت أو خبيزةٍ نادمةٍ
على الأقلّ
لقد حضرت حربين عالميتين
وحفرت الآلاف من الحفر البرميليةِ
وخرجت من كافة الحروب التى دخلتها
بطلاً
وبلا إله واحدٍ
أو حتى أنبياء قدامى
لقد أجهضت الملايين من الأحلام الصغيرةِ
من على مائدتى المتسخة هذه
وعبر هذا الليل الرنّان
انتظرت مشهد الفجرْ
وهو يطلع على عصا الليلِ البردانةِ
لمرةٍ واحدةٍ على الأقل ... !!
شاهدت المسيح وهو يمشى فى الأسواق
بينما يكرزِ بمعمودية الدمْ
بجسده الذي يبك بالألم
وكلماته
التى تشبه الحصىْ
لم يكن هناك من أحد ليبكى علىّ
أنا الذى أسرفت فى البكاء لحدّ الضحك
وأسرفت فى الضحك لحد البكاءْ !!

استنهض الغبار وأقول له

سلامًا

سلامًا أيها الغبارْ الرّاسخ مثل فمْ

لم تكن فى يوم من الأيام بلا قدمين ضالتين

أو حتى عجيزة ضامره

لم تكن بلا أحلامٍ أو حتى إقاماتٍ على الأرضِ

ولم تكن كذلك بلا أسنانٍ

أو حتى أنيابْ !!

كنت تأكل الحشود مثل حشرةٍ

وتنام على مخداتي مثل يرقةٍ

أيها الألم ياأنقاضى المستترة

ويا أجزائى المنبتة من العالم

وأنتِ يا روحى

لم تكونى أبدًا

بنت الطبيعة الحية

أو الميتةِ على السواءَ

كنتِ طبيعةً وكفى

أعرف أن الحياة صعبةً وبلا ميكانزمات

وفى داخل كل هذه الصحراوات التى تضج بالحركة

والتى نسميها أرواحًا

سوف نركِّبُ الموت على سقالاتنا التى

بحجم الكرة الأرضية

ونقول له

أنت حصاد وأعمى

سوف نترك لك بيوضنا التى نسيها الزمن
على رصيف الأبدية الفارغ
فالتقطها
واصنع لنفسك منها أرغفةً على حجم مقاساتك
أيها الهالكُ المهلك
سوف نتركك تعوى على الطرقاتٍ
- مثل كلبٍ
إلى أن تقبض بنفسك على رقبةِ
الحياة
أو تشدها من غلاصمها وتقول لها
أيتها الحياةُ ..
أيها الزمنُ ..
أيتها المقبرةُ الإلهيةُ
ذات الأبهةِ !!

٢٠٠٧/١/١٩

صحارى سيوه

أحلام كرتونيه

سوف نسند قامة هذه السماء العليمة

ببطءٍ

وبيدين فارغتينِ

تمامًا

سوف نجلس إلى رصيف خالٍ من المارّة تمامًا

ومن الآلاء

وسوف نصنع الكثير من الأحلام

ونضعها إلى جوارنا فى قفصٍ مهملٍ من الكرتون

مثل طيورٍ إلهية

ملونة

ربما لكى نحافظ عليها من اليأس

وحتى لا تقتحمها أعين المارّةِ

أو تداهمها ريح عقور !!

فإذا

ما جاعتْ تلك الأحلام

أو حتى أصابها العطبُ من الخوف

وأصبحت على شفا حفرةٍ من الجنونِ

أو الموتِ

سوف نطعمها المزيد من الأحلام البائدةِ

والمقيدةِ بالسلاسلِ

وهناك ...

وفى آخر الليل

سوف نسندها إلى جوار الحوائطِ
المكللةِ بالعتبِ
والرُّشدْ
لا
لكى نشاهد نجمة الفجر التى لا تطلع أبداً
وإنما لنسترق السمعَ كذلك
إلى كل ما يعتور كل هذا الليلَ
من هزائمْ.

مجلة الشعر
٢٠٠٦

استراحة المحارب

لبرهةٍ
سوف نقنع أنفسنا برغباتنا القويةِ
فى البكاء – على الأطلالِ –
مثل حمامةٍ ضالةٍ
أو نجمةٍ مراوغةْ !!
وسوف نقول لشمسنا التى تميل إلى الزوالِ هذه
تحت سراويلنا المرصعة بالخيبةِ
والندمْ
أيتها السموات
ليس ثمة أيادٍ أخرى يمكن لها أن تعمل
أو حتى تعترض طرقنا المتشابكةَ
والمتشابهة فى نفس الوقت
سوى أنهارك التى أخذت تجفُّ
تحت أقدامنا المدرعة بالشقوق
والحراشفِ
وكأننا مجموعة من الغزاةِ والمرابطين
يجرجرون خلفهم أحذيتهم المدبوغة بالأشلاءِ
والتضرّعات
وأسلحتهم الصدئة التى دمرّتها الحروب
ولم نكن فى يوم من الأيام مجموعةً من الملائكةِ
يسحبون خلفهم أرديتهم الطويلة البيضاءْ
وحكاياتهم التى تشبه الأساطيرَ والسلاحفْ
لينزلوا فوق أرضٍ أخرى أقل قسوة
من كل تلك الأرض التى جدّفنا فوقها وبعمق

وتركنا هنالك فوقها أحلامنا المتهالكة
وكلماتنا التى تشبه الروث الجافّ
حتى احترقت عليها كلماتنا التى زرعناها بأيدينا
على حوافّ قلوبنا المهترئة
والتى خدّدها اليأس
من فرط مافكرّنا طويلاً
فى النسيان !!



جحيم بورخيس

لم تشأ الأقدار أن تمد إليك يديها الرخاميتين فى ساعة النحس هذه
ولا أن تمنحك ولو لحظة واحدة من الشجاعة لكى تعلن الخلاص
على صخرة الآلهة المجوفة
التى تتنشف بالزبد المحروق
وكبريتات النحاس
وإنما كانت هناك تلك الآلهة البيضاء
التى فتحت عليك بوابة
الجحيم
لتنظر من خلال بوابتها الواسعة
الضخمة
على كل أولئك العميان
الذين سبقوك إليها بأناة وصبر
فقط
كان هناك ميلتون الذى فقد الذاكرة فى المنفى
من فرط ما تورمت قدماه
وهو يبيع الليف ورقائق الخردة
بحقيبته المجعدة
وشعره المنكوش الأكرت
ويتجول فى ساحاتها الخربة الخاوية
التي اكتظت بالكفرة
والمشعوذين
فيما كان يحمل تحت إبطيه المعروقتين مخطوطاً كاملا
من الفردوس المفقود
وتريزياس !!
ذلك القاحل الضرير

الذى يقف على بوابة أثينا السوداء
ممسكا بعصاه الغليظة من البلوط
فيما كان يكْرِز بيديه الخشبيتين على
تمثال من الرخام الحى
للجميلة أفروديت
وها أنت ذا ياسيدى بورخيس تقف صامدا كأحد الثيران الجريحة
ومن خلال موسوعاتك المتربة
وكتبِ الهرامسةِ
والعَّرافين
والأطالس العملاقة المشبوكة على بكرة الخيط
تقف فى شرفة مكتبتك التى تحتضن المحيط
على زاويتين قائمتين
لتجدف على الرب إلهك الحى
إذ تنظر إلى كل أولئك القراصنة
المكممى الأفواه
والحليقى الرؤوس الذين يمسكون بأيديهم البلط
والفئوس والخناجر اللامعة المدببة
وهم يطأون بأقدامهم أرض وطنك المدرج بالدم
لكى يحتلوا الميناء الشرقى للمدينة الجميلة
بيونس أيرس
ولم تكن ليدك المسرفةفى الغفلة هذه
أن تعرف الطريق إلى اللاتينية القديمة
لكي تتبين حقيقة الأمر
تماما
كما لم تعد تعرف الفرق بين الإستعارة المكنية

وشرطة المراقئ

ولم يكن لكولمبس ذلك المتعجرف العجوز وهو ينظر من خلال آلة اســتطلاعه القديمة داخل قمرته المعتمة على ظهر السفينة العملاقة إيزابيل

أن يقرأ فى عينيك المطفأتين وهو يبحر بين الحيتان المتوحشة

وأسماك القرش الزرقاء

الخريطة المترامية الأطراف لأمريكا الجنوبية

تلك المتوحشة اللبؤة

بأساطيرها المدهشة

ونسائها المتشحات بالجنس

والشهوة

فقط كان البحار العجوز ينظر إلى عينيك المطفأتين كسهلين مقفرين

أو كاسطرلابٍ أخير

على مذبح الرب

الآن

وقد سبق السيف العزل

واختارتك السماء السوداء

من بين كل أولئك السفاحين والقتلة

لتكتب بيدك العميانة الأسطورة الأخيرةَ

للهندى الأحمر

ذلك المهزوم دائما أمام كتائب الرب

وفيما كنت تتحسسُ جسد امرأتك

بشفتيك المزرورتين

كشجرتى جوز ساقطتين

وفمك الذى يشبه البوغازْ

وتجلس خلف أساطير اليونان السوداء

والآلهة المبجلة لجيل إيثاكا

كانت طيور الرخ العملاقة ترفرف عاليا
فى سقف غرفتك التى تشبه السجن
والموشاة بآلاف المجلدات
والصور
وشرائح الديانات القديمة من
الصابئة
والمجوس والمندائيين والكلدانيين والآشوريين
وكل أنبياء العهد القديم
لكى تعيد رسم خريطة الزمن
على أسطرلابك المذهب
الذى اخترعه أحد جنود قورش العظيم
فيما كان يحاصر مدينة الرب المقدسة
أورشيلم
ولم تشأ بكل ما تحمل من مرارة وكبرياء
أن تفتح فمك لتصطاد فراشاتك الطائشة الخضراء
أو لتلقط أنفاسك المجففة حتى تتمكن من كتابة قصيدتك الأخيرة
التي ترثى
فيها كل أولئك الهنود الحمر
الذين فقدوا أرواحهم
وهياكلهم المقدسة
ومُحرقاتهم هناك على مذبح الرب
فيما كان الرجل الأبيض
ذلك المخَّلص الجديد
يقتلع وبضراوةٍ بالغة كل تلك الأساطير والتماثيل
التى صنعها آباؤك وأجدادك

من أجل أن يقيم ناطحات سحاب عملاقة
وصواريخ عابرة للقارات
وقنابل هيدروجينية
تستطيع أن تعيد توزيع جغرافية العالم
وتقلب التاريخ رأسا على عقب
وذلك بدلا من مملكة ابن الإنسان
ولكن هذه المرة
من بابل التى فقدت صلاحها أمام الرب
لكى تقف مصلوبةً
على بوابة أورشيلم !!
سقطتْ
سقطت بابل العظيمة
ويل !
ويل !
المدينة العظيمة
المدينة القوية
لأنها تقول فى قلبها أنا جالسة ملكة
ولست أرملة
موت وحزن ودموع
تحترق بالنار
لأن الرب الإله الذى يدين قوى
سقطت بابل العظيمة
هللوا يا
هللوايا !!



كزار حنتوش

سوف أدهن السماء بدمعةٍ كبيرة

وبإحدى أغنياتك التى تركتها على حجارة البصرة

وأدعو كافة العصافير التى طارت من ساحة الشهداء أن تحط على قبرك

الذى يشبه حنجرة باكيةً لسركون بولص

أنت أيها السيد كزار حنتوش

يامن قابلتنى فى ليلةٍ عاصفة قرب ميناء البصرة ووقفت على دكتك الخشبية تنظر إلى شط العرب باعتباره معجزةً من معجزات الرب

لم تكن تمسك فى إحدى يديك غير شمسك التى تبحث عن الدفء

هذه الشمس التى أخذت تتكوم تحت قدميك

مثل نبته جافيةٍ

فيما ترفع قميصك المنسوج من الدم والأساطير

وتطوّح به عبر سموات كردستان

هل أخذتك العزة بالإثم وأنت تعرض جروحك على طاولة المفاوضات أمام الحاكم العسكرى للمدينة

بينما يقف على مقربة منك عقيل على وهو

يحاول أن يربط بين دجلة والفرات بمنديل صغير لقروية صغيرةٍ كانت تحلب النوق فوق جبال كردستان ومشارف زاخو

هل كنت تحلم بوطن يشبه المستعمرات دائماً ؟!

كيف أصبحت رئتاك اللتان تورمتا بفعل محبة الوطن مثل نهرين صغيرين من الدم

فيما العلوج الأمريكان يحتسون البيرة المثلجة والفودكا

على الطريق ما بين الرصافة والكرخ

ولم يكن ثمة طريق آخر يسلكه المندائيون

والصابئة

والكلدانيون

وكهان أور

والعبرانيون الأوائل

إلا ذلك الطريق الذى يمرّ بين شرايينك ودمك
ألم تقل ليْ
ونحن على مشارف العمارةِ
أن آزرَ قد بنى خيمةً هائلةً للرب
فيما يسجد للبعل على بّوابات بابلْ
كيف تركت قصيدتك هكذا عارية فى العراء الضحلِ
ودون أن تقيم لها نصباً تذكارياً
أو حتى تنسج لها وبيديك اللتين احترفتا كتابة القصائد
درعاً واقية من القنابل العنقودية
ودبابات ميركافا
التي تجوب شوارع بغداد فيما يعرف الآن بالمنطقة الخضراء لكى تحاصر قصائدك
هل أنهيت قصيدتك التى أخفيتها فى جيب بنطالك الخلفى وبعيداً عن أعين الديكتاتور
وحين سئمت من المطاردة جلست فى حانةٍ من حانات السليمانية
ورحت تبكى على امرأة تشبه شمس أربيلْ
لماذا قررت أن تموت الآن ياكزار حنتوش
وقبل أن ترى الوردة التى
زرعتها فى دمك ؟!



قصائد

إلى شاكر عبد الحميد

(١)

تبتكر لنفسك شكل نافورة جديدة
وتحاول أن تصطاد ولو نجمة واحدة
بينما الأفق كله
معلق بغيوم نظارتك !!

(٢)

ستضحك كثيراً
نعم سوف تضحك كثيراً
من هذه الغيوم التى تحاول أن تحرق أصابعك
ولكنك
وفى نهاية الأمر ستأخذ البحر ناحية الصحراء
لتلقنه أول درس
فى النبل الإنسانى

(٣)

الوحدة
هذه الوحدة اللعينةُ
الطيبةُ
المرحةُ
الشرسةُ
التى تخبئها فى جيب بنطالك الأيسر
دائما
سوف تتبرع بها لأول عابر سبيل
يحاول أن يقتنص من بين أصابعك
كلمه

كلمة واحدة فقط
تعرف كيف تغيَّر من وضع السماء قليلا
وتقترح شكلاً آخر
يليق بالأرض

(٤)

الزمن بغباره
وأشجاره الجافه
وطيوره المملحة
كثيرا ما يحط على شرفة نافذتك
العالية هذه
ليتطلع طويلاً
إلى تلك الشمس الرائعة
التى تربيها بجوار احلامك
وكوابيسك

(٥)

سوف تطلع من النوم كأحد النوارس القديمة
وممسكاً فى يديك بلطه
بلطةً قويةً بحجم السماء التى نحبها بعمق
لكى تنقّى الحديقة
من كافة الأعشاب الضريرة
والأسماك الميتة وربما تجلس ذات يوم
كأحد البوذيين القدامى
على شاطئ النيل لتتناول وجبةً دسمةً
أنت والسماء
على طاولة واحدة !!

(٦)

لماذا
لم تقل لكل هذا الألم الذى يجرى فى الشوارع
وينام على الأفاريز
ويضحك فى داخلك دائماً
أن يتوقف قليلاً
ريثما تغتسل من شمسك الباردة هذه
وأن تتخفف ولو قليلا من كل تلك الأحزان
التى تتناثر على الطرقات مثل حبات المشمش
وربما تجفف بطرف ضحتك الخضراء
دموع عينيك اللتين تتشبثان بتراب مصر
ودموع فقرائها
ومواويل عشاقها
وعديد نسائها المتشحات بالسوادِ دائماً
مثل ممياوات شادى عبد السلام
ودموع محمود المليجى
في الأرض
تلك التى تحولت الى غابةٍ
من نخيل
وكبرياء

(٧)

لا تبتئس
أيها الولد المحب
فسوف نعرف كيف نكنس الزمن بمعاولنا الصدئة هذه
وسوف نتوقف قليلا فى يوم من الأيام على شرفة النسيان الخالص
وعلى بعد مترين فقط من هذه الغيوم التى تتآكل بداخلنا ونعرفها لنتذكر سوياً
كل أولئك الأصدقاء الذين رحلوا فى سنوات الموت والعمى وخلفوا وراءهم صور خيباتهم

وأمنياتهم
التى تتآكل بفعل الإهمال والندمْ
تلك الخيبات التى نسجوها من حرير النسيان
والزمن
وعلقوها على الحوائط المتآكلة لنحاس الذاكرة الخربةِ
فى شوارعَ معتمةٍ
أو شبه خاليةٍ.

(٨)

الألم
هذا الذى نتفحّصهُ بأيدينا
وندحرجه – ليل نهار – تحت أسرتنا كالكمثرى
وينام هادئا
تحت مخداتنا
سوف نمضغه بأسناننا الوقحه هذه مثل علقةٍ
ونتركه ليعوى على الطرقات مثل كلبٍ
وفوق هذه الأرض
سوف نواصل الغناء دائماً
بلا أحلام مؤكدة
أو حتى ضغينة مسننة
إلى أن تطلع نجمة الفجر التى لا تطلع أبداً
وسوف نبتكر للأرض
اسما آخر يليق بالأمل
واليأس

(٩)

أعرف
أعرف

أنك سوف تذهب إلى أمك فى آخر الليل

لتطلب منها رغيفاً من الخبز اليابس المطحون من الذرة العويجه

والشعير المنقوع بضحكات الأطفال

وربما تطلب منها كذلك شيئاً من الصبر

لتستعين به على طول الرحلة

وقلة الزاد

وها أنت ذا تفتح عينيك على وطنك الذى يشـــبه خريطة من اليأس وطنك الذى نهبه اللصـــوص والخونة

وحاصرته الدببة المرنَّة

والثعالى الصخابة

وما عاد بإمكانك أن تجد فيه

مكانا واحداً

حتى لمقبرتك !!

(١٠)

أيها الولد المحب لا تبتئس

ففى ساعات الوحدة الهرمة واليأس الرنان

أرجوك لا تطلب أى شئ أخر سوى تلك الوردة الصغيرة التى ماتت هناك على جدران غرفتك

وفوق المرايا الى تطاردك أينما تذهب

لكى تضعها فى فمك

وذلك بدلا من الكلمات التى أصابها

العمى !!



بئر أيوب

في وحدته جلس أيوب مطأطئاً الرأس
بذهنه طافت أفكار
ومدن
لم يشأ أن يغسل الضوء بأصابعه
أو يجفف السماء بدموعه التى كانت تجرى تحت مخداته كالسيل
تذكر محراثه
وأدوات حصاده
أيام مجده
وعزه
التى كانت تتنطط تحت رجليه كالقطط
ومثل بَركةٍ وحيدة تطلع إلى الشمس
التى كانت تملأ السماءَ
وتتساقط فى حجره كالفراشات
ما زال القمر يملأ السماء بخياشيمة والنجوم
تغسلُ الليل بيدٍ واثقةٍ
تذكر
سنواته التى أنفقتها فى تلك الصحراوات
الشاسعة
باحثاً عن الرب
مثل بقرةٍ !!
تذكر امرأته اللعوبَ التى تركها أمام التنور
وهى تعدّ وجبه العشاء
بينما تسيلُ على جسده كالحليب

فى الليل
تذكر
صحراوات أرض كنعان الحارقة لليل
والطير
وعدَ الرب لآبائه وأجدادة بأرض اللبن والعسل
خيالات سدوم وعمورة
بنات أدوم الأسطوريات
وهنّ يستحممن فى النبع
تحت ضوء النجوم الوهّاجة
ويتنشفن بالقمر الصيفى
آهِ
يالتلك اللذة
ويالتلك الكلمات الرازحة فى الصدر كالندوب
ويالأولئك الشقراوات اللاتى يفقن المقصورات فى الخيام
ويقفن كالبيض المكنون والدرّ
وهن يملأن جرارهنّ الفخارية بضحكاتهن الشفافةِ التى تسيلُ على الطرق – كالمن والسلوى -
أين ذهبن أو تطلعن ويالرقصاتهن التى تشبه حفيف الملائكةِ والجنّ
وغنائهن الذى يتفوق على المزامير
بالدف !!
لم يكن يعرف أن للزمن سكاكين قوية وأنيابْ
ولم يفكر لمرةٍ واحدةٍ فى عظام مفاصله التى تتآكل بفعل الشيوخةِ والنسيان
فقط ، تذكر
سنواته المجرَّحة على الطين والرمل والتى تتناثر على جسده مثل حصوات بحراشف وقناديلْ
تحسس دمامله التى تبقع اللسان والفم
لمَ

لمَ أنا يارب قلْ لى : أأنا ســنبلتك الوحيدة فى حقل الحســك والدمْ هذا ، أأنا النجمة الغريقة فى غيمة العالم هذه والتى تمدّ اليها حبالك القوية لتنتشلها من الغرق فى اليم

لمَ تضع يدك الراسخة تحت رأسى دائما كتذكار

حي على وجودك الذي يزلزل كيانى

ويهدد جدران روحي مثل عاصفةٍ برعوداتٍ

وبروق

لمَ

أخذتنى أنا من بين كل غنمك لكى تغرس سكاكينك

القوية حول روحى وفوق رقبتى ودون أن تحزّ

لمَ

اصطدتنى أنا فى شبكتك الوحيدة

من بين كل سمك البحرْ

لمَ

حولتنى أنا فى الليل إلى فريسةٍ

وفى النهار وضعتنى على ناصية الطرق

كى أكون عبرة

ليس فى جعبتى أى شئ !!

فى يوم من الأيام لم تكن لى حربة أو قوس

لم أسرق من حديقتك نجمة واحدةَ

لتفعل بى ما فعلت

فى وقت حصادى قدمت قرابينى

وعلى مذبحك العالى

أقمت محُرَ قاتىْ

كنت نعمةً فى عينيك

مثلما كنت نعمةً فى عينىّ

ومثلما مشيت فى طرقك بالإستقامة والعدل تفحصت حصاة روحىّ

حتى تفّحمتْ

فلماذا تضعُ يدك القوية على جسمْى
إلى أن تقرّحتُ
وسلطت علىّ ملائكتك
من ذوى الأجنحة
ليضربوا أرض روحى بالسكاكين
والبلطِ
حتى نشفتْ !!
أحصاة أنا
كى تدحرجنى كل هذه الرياحْ
أزهرة أنا كى يخزنى كل هذا الشوك
وتضع كل هذه الشكوك فوق مائدتى وطاولاتىْ
لمَ
تخيرتنى أنا من بين كل هذا العالم
لتختبرنى ؟ !
شفتاى
لم تنطقا بحرف واحد خطأ
ولم تجّدفا بكلمةٍ
عن الشر والإثم حادت نفسى
وما انحرفت قدماى قطُّ
أرض جارى لم أطأ
ومن بئرّ أخى لم أشرب ولو قطرة واحدةً
فلماذا عيناك دائما تخترقانى
وكأنما أنا ثمرتك الوحيدة فى هذا العالم
التى تشتهى أن تفرسها بين أنيابك وتلقى بها كالخرقةِ تحت أظلافِ وحوش البرّ
وفى الليلْ

تضع قوسك وسيفك فوق كتفىّ
وبالنهار ترجنى مثل قشةٍ
أصخرة أنا
حتى تلاحقنى بكل تلك الضربات والعواصف !
أبحرٌ أنا
حتى أحتمل مّدك وجزرك
وغضب أمواجك وطواحينك
وأسماك قرشك الجّراحة
وقاع بحرك المفتوح كالهاوية
والقبرْ
ارفع يدك عنى أيها الآب الإله
فأنا فى غاية الظمأ
شفتاى مترعتان بالغضبِ
والألم
بينما تصر أسنانى على ثمرتك الحجرية هذه
لا !!
لا تتعجل أيها الألم العجوزْ
فهذه المناجل المشرعة للضوء
والشراشف التى تناضل ضد الموت
سوف تتعرف عليك
ودون تفاصيلْ
لا
لست صنواً لك أيها الآب الإله
حتى تحمِّل كل هذا الجسد جزيرة الديدان هذه
وتضع فوق تلك النبتة الصغيرة التى تسمى الروح

كل ثقل الجبال

أنا

وردة بألف جرحْ

أيتها الصخرة

التى تسند العالم !!

اسمع ياأيوب

ماذا تعرف عن كلمة الرب المؤسسة للعالم كما هى السارية فى الطيرِ

والبحرْ

ماذا تعرف عن الريح من أين تنبع

وأين تصب

أو أين تذهب فى آخر الليلْ

من أنت قلْ لىْ

قشةُ صغيرةٌ على وجه الغمُرْ

حصاة ناتئة فوق سفح جبلْ

حرفٌ غارق بين أبجديةٍ

لغة منقرضة

وتاريخُ حياة يوشك أن يضمحلَ أو يزولَ

سوسنةٌ أنت

أم عود ليف

حسَكةٌ أنت أم عامود نار

الزمن يأتى ويعود

الشمس تذهب لتنام وفى الصباح تخرجْ

ماذا يعرف الإنسان أكثر مما أعرف

لقد جبلتك من الطين

وبيدى هاتين سويت معدتك

وأمعاءك
وجعلت لك أنهاراً تجرى فى داخلك لا تعرف
عدد شوارعها
وبحاراً لا تدرك عمق مراسيها
فى داخلك يسكن العالم كله
أما أنت فلست أكثر من حشرةٍ
صنعت لها عينين لتبصر
وقلباً لتحبْ
منحتك النظرة والنظر
فى أرضى أسكنتك أنت وذريتك من بعدك
وجعلت لك الأحلام بالليل
حتى تغتسل من تعب النهار
وبيدى
مسحت على زجاج عينيك
لكى تبصرَ خيط النور والظلّ
أريتك الفجر
وهو يشرق على الجبل
والسهل
وأهديت إليك سمك البحر
كى تأكل وتفرحْ
أسمعتك كلماتى على الأرض
حتى تكونَ نعمة لك فى عينيك
وأنت تقدم مُحرقاتك وقرابينك
ولم أكن فى حاجةٍ لا إلى مُحرقاتك
ولا إلى قرابينك
ألنتُ لك الحديد والصخر

وجعلتك مثل وردة برية
فى جوف الصحراوات المخوفة هذه
سوَّيتك
مثل طير البرِّ
وجعلتك على صورتىْ كى تكون كاملاً أمام عينىّ
قل لي
أأنت أسستَ المسكونةَ حتى تقف أمامى لتسألنى
أأنت شققتَ البحر بمحارثيك
وجعلتَ موجه ظلمات بعضها فوق بعض
أأنت أسست مدارات السحب فى الشتاء والصيف
وحّددتَ مسارات النجوم
وجعلت الكواكب تضوى فى الليل
ماذا تعرف عن الكربون المشع
وحركة الجاذبية
ودوران الأفلاك
ومملكة سدوم
وعموره
وأين كنت قبل الكون وبعد الكونِ
قبلك عصور مضتْ
وأخرى سوف تأتى
ماذا تعرف عن سمك البحر
كيف يأكل فى الليل
وماهى أحلامه

هل تعرف ماهى الأفكار التى راودتنى وأنا أصنع لك حبةَ الرمل هذه
تلك التى عليها تمشى
وتنام
تحلم
وتقيم أوتاد خيمتك
وفى الليل تشعل نيران مُحرقاتك
كى يخافك ذئب البرّ
ووحش الغابْ
أنظر !!
هل تعرف شيئاً عن حكمة الحياة والموت
وأين ستدفق عظامك بين هاتيك الصحراوات
وماذا عن روحك التي بين جنبيك
أين أخبئها
وكيف أحتفظ بها فى صناديقى وماذا أعمل بها فى أوقات فراغىْ
ماذا رأيت أبعد من أنفك يا أيوبْ
انظر إلى وحوش البر
كيف تتغذى
ومن أين تأكل
ومن جعل لها مخالب
وضّراساتْ
لماذا تركت الشيطان يتسلل إلى عظم روحك
ويغرس فى قلبك ثمرة الشك هذه
اسقط مع الأيام
اسقط أيها الشعر!!
سنوك

التى أرهقت نفسك بها لتزرع وتحصد
أين ذهبت وكيف صارت كالبُّرِ
ماذا عن تعب يدك
وآلتك المعطوبة التى بين فخديك
ألك كل هذه الأرضْ
لتبنى عليها مملكتك
ولتغرس بها بذرتك المعطوبة هذه
ألك كل هذا العالم
لتحرثة بمحاريثك الصدئةِ
من صنع يديك؟!
قلت لى
من عمل يدى غرست وأكلتُ
حسناً
ومن عمل يدى كذلك أصنع ما يحلولى
تارةً
أكون عشبةً
وتارة أكون رملةً
تارة أكون قمراً
وتارة
أكون حصَّاداً للعالم
تارة أكون أغنية بين شفتى وردةٍ
وتارة أكون قوساً وسيفاً
تارة أكون برقاً ورعداً
وتارة بنفسجاتٍ وحصى
أيوبْ !!

قطعانك تعرف مراحها فى النهارْ
وفى الليل تلمها إلى حظيرتك
تماماً
ومثلما أعرف عدد قطعانى
وأودية أنهارى
من أين تنبع وإلى أين تصب
أيوب
أخرج من فوق هذه الأرض إن استطعت
قل لملك الموت أن لا يأتى إليك
وأنصب أنت شبكتك للموت
اصنع لك سماءً على مقاسك
كى تعرف عدد نجومها
ومجرّاتها
استملْ إليك الصخرّ
والمطر
إن قدرتْ
لا تمل بقلبك عنى يا أيوب
حدقْ إن استطعت فى الشمس
حدقْ جيداً
سوف تبصر بنفسك العدم ماثلاً من فرط ما رأيت
أنا
هو أنا
لست صخرة كى أنطحك يا أيوب
وأتركك تتفتت فى السيل
لا

ولا بعمل يديك أنظر إليك
أأنت أسست العالم
حتى تقعد لى على الطرق لتسألنى
وعلى رأس كل شارع لتجدف علىّ؟!
أنا خالق الخير والشر
وجعلتهما مثل كبشينِ
متناطحين
لابد من وجود الخير
كى يملأ الشر دلاءهُ
وأوعيته
الخير المحض غير موجود
والشر المحض غير موجودْ
سلاماً
سلاماً
سلاه
لك يا أيوب
كل الأنهار تجرى إلى البحرْ
والبحر نفسه ليس بملآن



مقهى الغبار

(إلى سيد العراقى)

فى هذا المقهى
الكرسى له رأس طاولهْ
والدخان قط أعمى
هذا الغبار يقبض علىّ من هدومىْ
ويزعق فىّ بأعلى صوته
إنه رفيقى الذى يقاسمنى الوحدة
والألم
لم يكن لىْ أن أجلس طيلة النهار هكذا
أحدق فى الشوارع الخالية من المارة
وأن أقبض على العالم من مؤخرته
فى الأركانْ
يأتى الموتى فى آخر الليل
ليتحسسوا ريح العالم
ورغم حدة أصواتهم المزعجة إلا أنهم يضحكون
وبضراوةٍ
يطلقون صرخاتهم التي تشبه الفقاعات
فوق موائد الدخان
والفحمْ هذه
صار الرقم طاولةً مقلوبةً
والأتوبيسات نعوشاً طائرةً
الزمن
نفسه وحده !
سوف نعلقة هو الآخرُ فوق مسمار بجوار عامل المقهى

إلا أنه يجلس على أريكة الليل الفضفاضة ليأكلَ ويشربَ
ليتأمل روحه الهرمة
وأسنانه التى تتساقط على المقاعدِ
هذا الفنجان
شقة مفروشة بغرفةٍ واحدةٍ
ودورة مياه
الشجر يحاول الكلام معى دون جدوى
فينخرطُ فى النحيب فجأة
فى هذا المقهى
الغبار يستعد للجنونْ
الخطأ صوابٌ فادح
والصواب خطأ غير مقصود
الآن
لم يعد لى سوى هذا الفنجان
الملآن باليأس والهزائم
ياله من صديق !!



سرياليه

(١)

سقطت ورقه
من أعلى الشجره
الشجرة صارت بيتاً
والبيت له نوافذ
وأحلام
حلم بحجم الأمس
وحلم بحجم اليوم
حلم بحجم راحة الكف
وحلم بحجم الموت
غير أن كل هذه الأحلام سريعاً ما تغادر البيت
لتستقر فى أرض الشارع
كى توقف المارة
وتكشف لهم عن سيقانها
المنزوعة الأوراق والرغبة

(٢)

سماء بدبابيسْ
ومشابك
هناك نجوم لا تودّ أن ترى
أشرعة مدببة للحزن
أن تستسلم لبخار الروح التى تبقبق فى الخلاء
أن تدفع الجنون أمامك
مثل عربةٍ مكسوره
وتقوده إلى الشوارع مثل ِضّليلٍ
وأعمى

بلا غطاء واحدٍ للرأس
أو حتى ما يستر العوره !!
ثمة حياة لها طعم السلاحف
وحياة أخرى
لها شكل الجعارين
أنا حياتى
تغسل قدميها المشققتين فوق سلالم
الجنون
وتنام تحت عربة روبابيكيا
وأمام خزان مياه
فارغ
تتوقف لتغنى !!



السماء بحبالها الواثقه

السماء

بحبالها الواثقه

تقترب وببطء من قارورة الأرض المهشمة

لا شوارع لكل هذا الزجاج

ولا آنية لكل تلك اللذة

شمس المعدن

تتربع وبضراوة على طاولات النحاس

والفحم

ثمة جزيرة من الأفيال المملحة

ترقد هناك

على حجارة السماء

الراسخة

صلوات غامضة تصعد من جبل الروح

صوب تلك الأرض التى تقف على إبرة الخطأ

بخطا طيفك الملونة أيها النهارْ

توقف بجوار كل تلك الحوائط

حتى لاتفلت حجارة

اللذة

من عين الماء

أميرة زغلول

جسدك بعيد عن جسدى
روحك بعيدة عن روحى
فى الليل
أفتقد حرارة أنفاسك
ويقين جسمك
ضحكتك
كأس فارغة ترن
بين شفتى
صدرك أغنية فى قفص
جسدك
بعيد عن جسدى
وكلماتى فى العاصفة
أه
جسدك بعيد عن جسدى
ياله من جحيم !!
ماذا أفعل فى كل هذا الليل
بدون عينيك
الكوكبيتين ؟!



باسلة أنتِ فى الليل

بأسنانك اللامعة البيضاءْ
سوف تقضمين شجرة الدموع
على أنفك
الذى يشبه برج لبنان الناظر تجاه دمشق
سوف تتوقف فراشاتٌ بصهيلْ
لتتأمل
ربيع أنفاسك
بيديك المعجونتين من الكستناء
والعاجْ
تكتبين على جسدى
آخر كلماتك
باسلة أنت فى الليل
أيتها الضارية في النهار !!



الجهات الأربع

الريح تهبُ من الشرق
ماذا تريد الريح أن تقول
الريح تهب من الغرب
ماذا تريد الريح أن تقول
الريح تهب من الجنوب
ماذا تريد الريح أن تقول
الريح تهب من الشمال
ماذا تريد الريح أن تقول
الريح تتوقف
لمَ لا تقول الريح ؟ !



الأسئله

ماذا تقول الشمس عن هذا الضوء الذى يتسلل من عينيك ؟
ماذا يقول الربيع عن كل تلك الأغنيات التى تخرج من فمك ؟
ماذا يقول النهار عن يديك اللتين تعملان بقوة العاصفة ؟
ماذا يقول الخريف
عن أيامك التى تخلفينها وراءك على الطرقات
فيلمها قمر الغياب دائماً
سنواتك المترعة باليأس
تتذوق بمفردها
عسل ضوئك



عمل شاق

الخبز الأسود
والضحكة العجوزْ
النار التى تتأجج فى الأصابع
والفراشات التى تبحث عن عمل
كلها مؤشرات
لروحك التى تعزف على جبلٍ
من نارٍ
ودخانْ
جاف هو النهار
بدون رغباتك
ميتة
هى الساعات
بدون عمل يديك



عزف

لا
لم يكن الضوء وحده
هو الذى يشاركنى الغرفَ
والسريرَ
الأغطيةَ
والشراشفَ
فقط كان ربيعك القديم
هو الذى يجرى على الطرقات
ويشاركنى العزف
على قيثارةٍ
بحجم السماء !!



مخدات

شمسك تنام على ذراعىْ
قمرك يحدق فى الظلّ الغارق
فيما
عيناك
ترعيان بين الينابيع
والسوسنْ
السكون
والحركة
غابتان ليليتان
ترنان
وببطء
فى كهوف الروح التى تترسّخْ !!



الظل الغارق

حياة جامده
رماد مدفون فى الرماد
سنوات من فحم
وكحلٍ
كان هواء جسدك
الذى يتسلل فى غرفة الظلّ
العارفِ هذه
حياة جامده
وسنوات من فحمْ
كيف أقف وحيداً على قدمين عاريتين
من رصاصٍ
ورغبة ؟ !



فن الشعر

فى سنواته المحملة بالكوابيس والفحمْ
حاول أن يتكلم
كان فمه الذى يشبه خريطة من الإردواز
يقف عائقاً أمام نظرتِهِ
التى تحاول أن تخترع شجره
أى قمر ضال كان هناك
ليشهد ضحكة الفجر الواثق بنفسه ؟!
أى تمتمة لزمردات كانت تملأ هواء الغُرَفْ ؟!
أخذته اللغة إلى حظيرتها الملونة
بالأساطير
والطبوغرافيات
وتركته هناك ليجف
وبانفعال وردةٍ صامتةٍ
وخفةِ كائن أعمى
أخذ يتساءل
هل كان الموت الّرنان
يتربص بالغابة التى تخصّ الرمل ؟!!



أميرة زغلول ثانية

أشجار الجوز
وأوراق الحور والصفصاف
تحمل دائماً رائحة أنفك الأخضر
بأصابعك
المحملة باليقين
والشك
أبدأ الرغبة فى انتهاك الأسوار الشاهقة للزمن حول جسمك
وأدخل فى غايةٍ
ملمعةٍ
من الأساطير
والحكايات
إلى أن أنتهى من عينيك أنت
أيتها السفينة التى ما توقفت قط
تحت أية سموات
أيتها التينة التى تشبه الرحم
والفم
سوف أظل أحفرُ وأحفرُ
حول تلك الجذور التى تبحث دائماً
عن نبعٍ
وشمسْ .

❁ ❁ ❁

ألفت خليفه

عندما تقف سمكةُ الصباح هذه
على بعد خطوتين اثنتين من شفيتك
أنظر إلى ذراعيك الكهرمانيتين والمسبوكتينِ بحليب الآلهة السكران
فيما شمسك التى تتوسد حدائقك
فى عزلة
شبه كاملةٍ
تعرف كيف تقرأ أناشيد الليل
بيد باسلة !!
أى عين منجرحة تلك التى يعزف عليها الزمنْ
بأصابعهِ
وأغنياتهِ
حركة جسمك الواسعة
لك
وحدك
قدرة الزمن على الضحك
فيالجسمك الذى ينسج من حرير الضوء
وحقيقة الماس
كلماتك
التى تعرف كيف تسند يأس العالم !!

مؤاخاه

افتحى كل هذه النوافذ للضوء
اجمعى شمل الليل للسفن
اسمعى شمس العالم الصغرى
وهى تتدفق بحيويةٍ
وطراوةٍ
على كافة الأدويةِ
ومثل قلبك الذى يشبه فراشةً حرون
انظرى
إلى شهوة الطبيعية المندلقة تحت قدميك الحافيتين
مثل نجمتين
متناغمتين
ما الذى يؤاخى بين جسمك
وموسيقى شفتك السفلى ؟!
آهِ من شمسك التى تشهق بأنهارْ .



أغنية يأس وأمل

أشعر باليأس من الأملْ
بعشبة طرية سوف أبنى بيتاً
بكلمةٍ
أجيرةٍ
سوف
أخترع نشيداً
ًبقبلة راسخة
سوف أسّوى جسداً
توقفوا قليلا بإزاء كل هذا النهارْ
اتركوا كل هذا الهواء الجريح
يتسلل خارجاً
لا تلمسوا قيثارة القمرْ
حتى لا تبكى سمكة الريح
الزهرة
والمنجل
فى عناق أجيرْ
السمكة والشط
فى موسم حصادْ
الروح والجسد
مقدمة سفينه
سوف نطبع العالم بقبلاتنا التى تسيّجه .



حركتان

(١)

نجمه

نجمة مثل هذه سوف تتوقف على جبلٍ آخر

لا لتحضنَ كل هذا الليل

وإنما لتتامل وببطء

رائحة الفجر

(٢)

أنطفى

وأضئ

على جدران الجسد

ذلك الجسد الذى يشبه مجاهل الأنهارْ والليل

بقبلةٍ

داكنةٍ

وفم عجوزْ

سوف تهتف الريح

والأرض دائماً تصغى !!



أنقاض

هنا

وفوق تلك الأرض التى تُنبت الحجْر

فى الظل الحارق للندى

حيث تفاجأ الريح بصندلها المعوجّ

يمكن للزمن كذلك

أن يكون أرجوحةً

تتربع عليه مثلثات ظل

وحرائق

يمكن لكل تلك السماء

أمنا العجوز

أن تكون عجاناً

أمام تنوّر الموت

الأعمى !!



حجر السماء

السماء حجرْ
شجرة واطئة تنصببين عليها خيمتك
ومياه بلا أيقونات
أو بَرَكهْ
لا ظلّ لظلك الذى يرشُد
أو يطغى
فقط حياة جامده
يمكن أن نطلق عليها خنجراً أو عكّازاً
ومثل بنات نعشٍ الصغرى
ثمة نجوم مكسَّرة تنام على الأردافِ الرخوة
لحجارة السماء الراسخةِ
بيد الزمن اللاهئة
تبنين عرشك على الماء
أيتها الرصاصية
مثل مدينةٍ
بلا أساطيرٍ أو حكاياتْ.



كبريت العالم

ترفعين طاولة من نحاسٍ إلى نافذة أعلى

من الليلْ

أبكمُ

وأصمُ

كل هذا الهواء الذى يتسَلل بخفةٍ

ترفضين السؤال الفحمْ

وترفضين السؤال الأجيرْ

فيما تمنحين فمك حكمةَ اللذة الضارعةِ

وجسدك الرغبة بكاملها

إذ

لا يمكن لكل هذا الجسد الذى يمّوج الضوء

ويعيد اكتشافه

إلا ان يكون كبريت العالم !!



شمس تترجّح

دائماً

نسير وفى ظلّ خطواتنا قارة غارقة

فى الكلمات التى لا تهدأ إلا على صلابة الوردةِ

واسطوانه الردفينِ

وآنية السرة

يتوقف العالم

ليحكى وينصهرْ

الليل !!

هذا الليل الأجمل من كنسيةٍ

والأبعد حتى من الأرض ذاتها

يعترف بالخطأ

على القبة المجدبة للزمن

أرض رمل

ونبوءات

وعلى التفاحة الزجاجية لشفتيك السهوبيتينِ

ثمت شمس تترجّحْ !!



مدى

ما هذه الريح التى تمرّ من أمام منزلك
ما هذا الربيع الذى يتحصَّنُ تحت نهديكِ
ما هذا الجسد الذى يتذكر دائماً رائحة البحر
فى ثيابك
وفى الليل
يفرّ إلى هضبة السماء العليمة
كلماتك
تشبه البرق والرعد
اللذين يختلجان فوق سرّتك
ويختبئان هناك فى كامل اللذة
تحت ردفيك
الكوكبيتينْ
صوتك يشى بخلو الكمانات
من الرغبة بضحكة صغيرة بيضاء
تبدأين يومك
فيما ينتهى جسدك من عمل حصادهِ وأغنيته الأخيرة
على صخرة المدى .



باب توما

ربما
تتقابل الأزهار
مسرعةً
ذات مساءْ
على رصيف خالٍ من المارةِ تماماً
ولكن النهار الواثق بنفسه
سوف يتوقف على نحلة الغيم هذه
وبعدها
سوف يقف الضوء على باب توما ضريراً
وربما يقلب بعصا الوحدة
الأفاريزَ
والشوارعَ
بحثاً عن بصلةٍ
ناشفةٍ
تشبه عشبة الحقيقةِ
ما الذى يقوله المغنى الضرير
على باب توما
لجيتارٍ يعزف الهاويةَ
بيدين مبصرتين
وفم
أدرد ؟!



أيتها الغيمة واصلى النشيد

لطالما غنيت
مثل كوكب وحيد
ولكن بلا صوت
لطالما
غنيت
مثل نجم
ولكن بلا جناحين أو حتى قفازات
أنا الذى أفتح نوافذ النهار
وفى الليل أنام مثل نافورة بأخطائىْ
وأركن الزمن بأشرعته الهائلة تحت مخداتىْ
لم يكن لى حظ
أنا البحار الأعمى
أن أراقب الريح
وهى تخرج من برزخٍ إلى برزخٍ
ولم يمهلنى الحظ
أن أكتب إسم حبيباتى
على جدران الزمن
بفرشاة من نار ودخانْ
ولم أكن أعرف كيف أقود سفينة العالم
الغارقة هذه لكى أمنح السلام والحب
فقط غنيت
بعينين
ويدين
وقلب !!



الحبة السمْرَه
أو
الكلب فى المقهى

كلب أسودْ

ينام فى المقهى

ينام هادئاً

ومعطلاً أحلامه

ينتقل من مكانٍ

إلى مكانٍ

لا يرقب الزمن

إلا من خلال المطر

والشمس

ولا يسمى أحلامه

سوى خشبة الليل

بينما يرقب العالم

من فوهة مؤخرته !!



ناريمان الفقى

[فى مدرسة تلبنت أبشيش الإبتدائية]

[يولد الفجر أيضًا]

هل كنت تدركين معنى الزمن

وأنت تجلسين فى أول الصف فى ذلك الوقت من العام ١٩٦٤

وتلفين حول عنقك شالاً من الكشمير الأبيض

الذى يشبه حفيف الملائكة

فما شفتك المنداه بحليب العصافير

وحبات التوت الصيفى

لا تكاد تفصح عن كلمة واحدة من ذاتها

خشية أن يفلت الكلام من علبه الملونة

وأشجارهِ

التى تخبئينها فى جيب مريلتك القطنية

وبين دفاترك وأوراقك التى تمتلئ بالطباشير والفراشات التى تهبُّ من صيف تلبنت أبشيش الحارق

لتنام تحت ظلك مثل شجرة من الكمثرى

أنت أيتها الرسولة الخارجة من إطار الزمن

والمتمنعة بقسوة حتى على الزمن نفسه

مثل أيقونة من الذهب الخالص والغناء الفارسى

لا

لم نكن نعلم – أنا وأنت - على الأقل فى ذلك الوقت

أن الزمن هذه الأنشوطة المليئة بالقطارات المتعاكسة والأكاذيب

يمكن له أن يطعم أرواحنا الراسخة بمياهه الكثيفة السوداء

ولم نكن نعلم كذلك أن الزمن ذلك الوحش الضرير

بأصابعه العنكبوتية يمكن أن يقطف من على أشجارنا النيئة تلك الضحكات التى جمعناها معاً من على الندى ليلقى بها كالعليقة فوق أشجاره الشوكية ومياهه الضحلة المؤجلة !!

أيتها الخضراء دائماً

كلما أمرُّ من أمام مدرسة تلبنت أبشيش الإبتدائية المشتركة أكتشف أن قلبى ذلك العابر بنعالٍ من ريح وضحكات لا يزال قابعاً فى تلك الفصول المتراصة فى الذاكرة وعلى نفس المقاعد التى علاها الصدأ والنسيان وأننى ذلك الصغير الذى يكره التاريخ والجغرافيا ومعلم الحساب والنحو فيما ينظر إلى الشمس التى تشع من عينيك بينما صوتك الذى يشبه موسيقى الغرفة لا يزال يقف بمفرده فى طابور الصباح لكى يحييّ النهار مثل صوت أسمهان الجريح فوق صخرة مطروح فيما كافة

العصافير التي تمر بالذاكرة تتوقف لكى ترفع قبعاتها الملونة وأجنحتها المبللة بالدمع لتسمع نشيدك الخالص لشجرة السابوتةِ والتى كنتِ تفضلينها على كافة الأشجار داخل فناء المدرسة

بينما الشمس تلك الأخت الرضيعة لضحكتك الخضراء تتسللُ من الفناء الخلفى للمدرسة لكى تضع كراريسها وأصابع حليها وعلب ألوانها لتتعلم من شفتيك الكهرمانيتين كيف تستقبل الصباح بشكل يليق دائما بالصباح ولتقف وراءك فى طابور الصف الرابع الابتدائى فى انتظارِ أن تسمحى لها بالخروج إلى السكك والشوارع

هل ما زال صوتك الذى يشبه الكمانات دائما يشبه الكمانات دائماً ؟

أم أنك ومن فرط ولعلك الطاغى بالموسيقى قد علَّقتِ كافة السلالم الموسيقية فوق إطار خشبى لصورة الزمن وهو ملفوف بشرائط الحداد التى تعلن أن الغياب هو الشرط الوحيد للوجود

ناريمان !!!

لا شئ يشبهك وأنت فى الصف الرابع الإبتدائى ؟!!



سركون بولص

قطعا
سيسلك هذه الدروب التى انحنت أوراقها على خطواتنا
ولم يكن ليدنا التي تعمل مثل كوكب خرب
أن تعرف الطريق إلى هذه الأرض
ولم يكن لهذا الجسد أن يغسل تراب نوافيره بمناقير الطيور
التى تقف مثل كوابيس مؤجلة على ساحة السماء الراسخة
لتؤسس لموسيقى الرغبة
أما آن لتلك الفراشة أن تنام على سرير الليل
أما آن لهذا النهار
أن يتوقف ولو لدقيقة واحدة
على سن إبرة
قطعا
سيمسك بأصابع البيانو
ليعزف عليها نغمة التراب
ولن يكون هناك سوى الضوء
ذلك العراف الأعمى
لأوركسترا الفراغ !!
توقفى أيتها الفراشات التى تسير على شرنقة العدم
إلى أن ينتهى العالم
على شفا جرف هار
أو على مسافة كافية
من الجحيم
ذاته.

٢٠٠٧/١٠/٢٥

غابة الحليب والفحم

اليد التى تلمس الهواء

اليد التى تلمس الهواء
كان عليها أن تتذكر الجسد وهو يمسك
بين شفتيه الغرينيتين
تلك النظرة الأجيرة
التى تبحث عن غابة اللذة!!
بين الجسد والفم
تستيقظ الرغبة
لاشئ
لاشئ
يمكن أن يمنح الجسد تلك الثقة
التى يكتسبها الضوء
على حواف النسيان
إلا النظرة ؟



الملاك الأزرق

أيها الملاك الأزرق ذو الفم الذهبى
وأنت تمثل – هناك - دورك على المسرح الكبير بمفردك
وتمسك بالبوق بين يديك لتعتصر العالم
مثل حبة طماطم فاسدة
هل أصابك القرف والصدع
من كل تلك الديدان التى يسيل منها الدم
على مائدتك التى تكتظ بالقتلى
وبينما تنفخ أنت بالبوق تسقط البحاروالمحيطات على الأرض
وتنحدر الشمس
إلى تلك الهوة الفاغرة الفم للعالم
لكى تستدير الأرض تحت قدميك كالرحى
الأرض !!
هذه الجوهرة المعصوبة العينين
بالأبخرة والجراثيم
حيث تسقط تحت أقدام الملائكة
والشياطين
أيها الملاك ذو المنقار الذهبى
الكل يمضى
نحو تلك الهاوية المجهولة التى لا يعود منها أحد أبدا
بلا طمأنينة واحدة للروح
أو حتى دليل واحد على سلامة الإياب
ما من شئ يمكن أن يستنقذ الزمن
- تلك الآلة المعطوبة -
من العتمة المدوية التى تحيط بالكل

وتسيطر على الكل فى نفس الوقت
حتى التجاعيد المغضنة للجسد
الذى كان يمتلئ يوما ما بالشهوات الزاهرة
والمجرات
التى ترقد تحت خمائره وعصائره !
الآن
يمكن ليدك المحراثية أيتها الجرافة الكبيرة
أن تكنس كل أوراق اللعب
من على هذه الطاولة التى يتحلق حولها الكافة
ودون شعور واحد بالخسارة
ومن غير أن تسقط من عينيك دمعة واحدة
وتشبه التعزية
على كل أولئك العميان الذين يتحلقون
حول الطاولة !!



المتغضى

إلى شاعر سبعينى

الرجل الكلب
الذى يكتب الشعر فى الصباح ويأكل من لحم امرأته
وفى المساء يذهب إلى المرحاض العمومى
لكى يكتب اسم حبيبته المومس بشفرة حلاقة حادة على الحائط
ثم يقف وهو بالطربوش التركى كالمطران
لكى يلتقط لنفسه صوره التى تجمع مابين الحداثة
وما بعد الحداثة
وماسحى الأحذية
وبائعى الخضار والفاصوليا فى سوق روض الفرج
فى سلة واحدة
لا لشىء إلا لأن المرآة التى يرى نفسه فيها
لايمكن أن تلتقط صورته الرسمية إلا إذا كان يهز ذيله
أو يهر كالقطط
- فى الصحف الحكومية غالبا
وغير الرسمية أحيانا -
وينبح كالكلب
فى انتظار أن تجود عليه السيدة ج.ح
بكلمة تشبه البراز
فى ذيل صحيفة النهار
أو يستقبله الشاعر الفسفورى بالغائط الذى يليق به
لكى يظهر فى الكادر بجوار أمه العاقر
- وكما صرح هو نفسه -

حتى يحسبه الساسه والنخاسة بجبته وقفطانه
أحد الانكشاريين العظام
أو ذلك الطواشى الضخم الذى يخدم فى الحرملك
بأناة
وصبر
حتى يأخذ هيئة الدركى
أو صبغة الشاعر الرسمى
الرجل الكلب
الذى بدأ حياته لوطيا ثم انتهى مقلدا
فى ورشة الخياطة
لقاء ما تجود عليه السيدة (ن)
من صفة رجل
إلى قواد
البواب
النداب
المتغضى
العنين
اليأكل من فرج امرأته طول الوقت
الذى يكتب الشعر فى الصباح
وفى المساء يذهب إلى المرحاض العمومى
لكى يرسم امرأته المومس بالسوتيان والكيلوت
ولكى يلتقط لنفسه صوره التى تجمع ما بين الحداثة
وبائعى الخضار فى سلة واحدة !!



جغرافية الاستعارة

النظرة المنكسرة للزمن
الرؤية المنعكسة للتاريخ
هذه هى اليد
التى تقبض بذاتها على اللاشئ
لم يكن للبحار الأعمى
إلا أن يموت على شرفة المحار
وهو يمسك بين أسنانه ومخالبهِ بالدفة المعوجة للعالم
ورقةً تسقط
وأخرى تطيرها الذاكرة
عبر فضاء النظرة
الثاقبة للأشياء
كيف تنكسف الشمس على رحى المجاز
أيتها الروح التى تصهل
وبضراوة
عبر بوابة الرصاص
والفحم
لم يكن لنا أن نعمل
إلا وفق جغرافية الاستعارة !!
أيها الرفاق
لقد تأخر بنا الوقت كثيرا
والزمن الذى كنا نحسبه يعمل وفق إرادتنا العليمة لهذا الكون
لم يكن غير حفار أعمى
يعمل وفي المكان الخطأ دائما
وبنفس الروح الرنانة
لغابة من الرخام والآجر

وهو يتربع على الجدران
والنوافذ
مثل قط بمخالب
ولا يرقب إلا تلك الحشرة الجهنمية
التى لاتكف عن الدوران والسعى تحت أسرتنا
المغبشة بالكوابيس
والأحلام
تلك الأحلام المعراة عن الواقع
والنعمة
ولا يترك فوق شفاهنا المشققة
إلا كتل الرصاص
والفحم
كتمثال حى
على تلك الملهاة اللاإنسانية
للعالم الحى
والعالم الميت على حد سواء
أيها الرفاق
لقد تأخر بنا الوقت
كثيراً ؟!



القديس أوغسطين

-١-

أأنت تمتلك ساعة الرمل هذه
لا الشجرة التى تعرف
ولا التوتة التى تنام تحت جذعها
وتحلم بإمكانية تغيير العالم
يمكن لها أن تقيم داخل كل هذه الغرفة !!
لا الحمامة
التى ترفرف بجناحين عالياً
ولا تلك العتمة التى للروح
يمكن أن تصلح ساعتك الخربة التى تسير
عكس الزمن
معاً
سوف نسلخ هذه الروح
مثل فأرة عمياء
وسوف نعتصر كل هذا التراب
فى المعاصر
إلى أن تدخل الشمس إلى كهفها الليلى
أو تخرج من دورة المياه العمومية
لتواجه عنف الساعات
أه
أيها السيد الذى يجلس قبالة الله
أى أنقاض سوف تحملها معك إلى القبر
وأنت تصرّ الماء
فى صرةٍ

وتنام تحت جدران كنسيةٍ
مهدمةٍ
أنت
أيها القديس الذى يعرف كيف ينسج على النول
غباره
ومنخفضاته
أية علامة
سوف نكشطها معاً من على وجه الأرض
ليتك تشاركنى
ساعة اليد المعطلة هذة ؟!

-٢-

كم يلزمنا من الهواء
لنقيس عمق الليل
كم يلزمنا من الوقت
لنقف على رصيف الزمن الخائخ
ولنشهد معاً
وفى ليلة بارده
تفكك السماء
معاً سوف نقف على شفا الجحيم
لنقطع أجنحة اليأس
هذه
وبأصابعنا التى ينزّ منها الدم
سوف نحفر بئر الأبدية
الفارغ
آه
كم يلزمنا من الهواء

لنقيس عمق الليل
كم يلزمنا من الليل
لنقيس عمق النهار !!

-٣-

ببساطة
وبلا ندم أجير
سوف تقف هذه النجمة الواثقة على
حريرة الغيم
الواقعى واللاواقعى
حياة أسيره
أية زهرة هذه تلك التى يمكن لها أن تمارس
رغباتها الجنسية
على سنابل الليل
وحدها الفراشات
تعرف عمق النعمة
لأنها تضاهى المتعدد !!



الطائر المنكود الحظ

أيها الطائر المنكود الحظ
ذو المنجل
والبلطه
أعرف
أنك قد لا تصيب برحمتك من تشاء
ولكنك ترقد هناك فى ثيابك المخضبة بالدم
وتضع على صدرك عقودك المدلاة
من الخرز
والعاج
وعلى رأسك تضع صليبك المعقوف ذى النجمة
وفى آخر الليل
تركن عجلاتك الذهبية
ودواليبك
آلات زرعك
وحرثك
أناجيلك
وشموعك المطفأة
فى الطرق الجانبية لكل تلك الشوارع القاحلة
المعرّاه
من الحكمة
والمعرفة الحسنة
لكى تنصب شبكتك الجهنمية هذه
لتصطاد بها من تشاء من أيِّل الجبل
والسهل

أو كل عابر سبيل لا يعرف
عن معنى الحياة أى شئ
كيف يفلت من أنشوطاتك القوية
وجرّافاتك
التى تلفها حول رقبته مثل أخطبوط بحراشف
وكما يفعل آخر جزار فى هذا العالم
أيها الآبق الكلب !!
توقف بجنازيرك العابرة للقارات هذه
وخناجرك المدببة
ولا تلحس بلسانك الفظ
ولعابك الخشن
ذيل جلاليبى
وطاولة أحلامى
ولا تقترب
أيها الآبق الكلب
من كل تلك العتبة التى لا يتوقف عليها سوى الفراشات اللامعة للضوء
واتركها
اترك كل تلك الفراشات
التى تأوى إلى مخدعها فى أخر الليل
لتغنى لك
أغنيتها الوحيدة المرحة
عم صباحاً
أيها الطائرُ الأعمى
يا صائد الفراشاتِ
والحظِّ !!



الزيتونة

إلى محمود درويش

سوف أشاطرك الموت أيها السيد العاطل عن العمل
وأقتسم معك رغيف خبزك الجاف
ولبن أمك
وأنت تشرف هناك على وطنك
الذى سرقه اللصوص
كما يسرقون طنجرة من الماء
ربما
تتربع على طاولة من أرائك وأرجوان
وأنت توزع على اللاجئين من أبناء وطنك الذى استشهد على الحدود
وداخل المعتقلات
والزنازين
الخريطة المتبقية لقريتك البروة
فى حفل توزيع الغنائم تحت غصن شجرة من الزيتون
وهى تبكى مع القمر
فى انتظار أن يعود أهلك مع المساء
لكى يقفوا دقيقة واحدة من الحداد تليق بك
من خلف الرشاشات الآلية
والسلاح الأبيض
دقيقة واحدة من الحداد
وكما يليق بجنرالٍ ميتٍ
سقط بين جنوده
وقواده
إلى أن تتشمم عظامك
رائحة الأرض

التى حملتك فى بطنها مثل أم
فى انتظار أن تلدك فى الربيع القادم
مع أوراقك
وقصائدك
التى أخذت تزهر على الحدود
وتطوف حول وطنك الحى
كالفراشات
التى راحت تتسلل من خلف الأسوار الشائكة
لتلقى نظرة أخيرة عليك
أنت
أيتها الزجسة التى ما لها من مثيل
يا أثر الفراشة الوحيدةِ
على الأرض !!



الجميلة النائمة

(إلى هـ . ن برغم كل شئ)

قومى
أيتها الأميرة واغتسلى من نومك
فسوف يتبعك الفجر الذى ينام تحت ركبتيك
ويرقد متوسداً
حشيشته العالقة
تحت سرتك
وبين فخذيك
انهضى
أيتها الجميلة النائمة
فبعد قليل سوف تشرق الشمس على الأرض
وبعد أن تعلقت طويلاً تحت قبتكِ العالية
لا
لتمد أصابعها البردانة باتجاه شمسك
ونوافذك المغلقة أبداً
وإنما لتتأكد من أن لها حريراً يمشى على الأرض
وينام هادئاً
تحت شفتك السفلى
وأغنياتك
وسوف تعرف كذلك أن أشجار التفاح
والتوت البرى
ما كان لها أن تخضرّ
إلا فوق شفتيك الإلهيتين
قومى
أيتها الجميلة المصنوعة

من عسل الأنهار
وفاكهة الجنات
فلم يعد على الفجر
إلا القليل من الوقت
وبعدها سوف نتوقف قليلاً
لنطأ بأقدامنا المجرّحة
كل هذا العشب الإلهى
الذى يرقد مبهوراً
تحت قبة جسمك
ومرمر فخذيك
الأثيمتين !!



الأشعار

التى لاتخص أحداً سواى

فقط
لو أنعس قليلاً على الورقْ
لو تنام الكلمات تحت يدى كالحيوانات
إذن
لاسترحت من كتابة الأشعار
ولأخذت الحروف مكانها إلى جوارى على الطاولةِ
فغسّلت لها رأسها
وطبطبت على كفلها
وأطعمتها بيدى هاتين
لتنام تحت مخداتى كالحكايات
بدلاً من أن تهرّ كالقطط المتوحشةِ
والكلاب الضالةِ
فقط
لو تنام تحت يدى
إذن
لأطفأت لها المصابيح
وأخذت النجوم تتكلم
والقمر يسهر بجانبى على النافذةِ
ولاسترحت من تعبِ كل هذه الحياة
لقد تعبت من كتابة الأشعار
هذه ...
الأشعار التى لاتخص أحداً سواى !

❁ ❁ ❁

الآب الإله

أعرف أنك لن تتخلى عنى

حينما رفعت سمواتك

وأسست المسكونة

وبقيت أنا

بعينين

مشقوقتين

بالرماد

والملح

أتطلع الى أصابعك القوية التى تعمل كالنول

وهى تنسج العالم قطعة قطعة

وإلى كافة بنائيك العظام الذين يصعدون ويهبطون من السماء

على سقالاتهم الهوائية

لكى يشيدوا المدن

ويؤسسوا التاريخ والعدم

لا

لن أتطلع إلى بوابة الجحيم تلك

لأحصى عدد صرعاك

وكافة أنبيائك الكذبة

أولئك الغواة الذين يخلطون السيمياء القديمة

بالأساطير والسحر

وإنما

لألتقط

جمرةً واحدة سقطت من بين أصابعك

لكى تضئ العالم

الذى تعشش فيه الدببة

والعناكب

ويعلوه الدم !!

أيها الآب الإله

ألم يكن لقابيل طفلك الأول

وجه قاتل ؟؟



أغنية الفجر

ليس لنا أن نرقِّع السماء بأكفنا التى تعبت من الضراعة
والنسيان
ولا أن ننقل الأرض إلى مركز آخر
والسنوات
التى أنفقناها فى المماحكات
والضحك
كل تلك السنوات
لم يعدلها من فكرة أخرى
عن كل ذلك اليأس الممضّ
الذى يكلل العالم
أعرف
أعرف
أننا سوف نتوقف ولمرة أخيرة
كذلك
بإزاء كل تلك الأغنية التى تطلع من الفجر
على سلالم بيوتنا المتآكلة
وأشجارنا المعرّاه عن النعمة
لتنزل إلى الشوارع والأرصفة
كتعبير أخير عن الحرية
التى تمشى على الأرض
بقدمين
فارهتين !!



آثار أقدام جانبية

دع يدك التى تعمل بمفردها على الضوء
وألق بمراسيك على شاطئ الذاكرة
فالقوة الدافعة للنظر هى
هى نفس القوة الدافعة للحجر الخلاق
ولا تستسلم لوهن العقل أبداً
أينما سرت فستجد طريقا يضم رفاتك
وأغنياتك
أينما وجهت نظرك دائما فستجد نفس الأرض
التى مشى عليها آباؤك وأجدادك
تئز من تحت قدميك كالنوارجِ
فيما يستحثك العرق الحى
لكافة الذين سبقوك
لا تقل لهذه الشمس أو تلك أن تتوقف قليلاً على جزر المحار
ولا تقل عن معرفتك إنها ناقصة قط
وغير مكتملة
فقط
اهبط قليلا على القاع
فستجد آثار أقدام
وضحكات
لعلها من قرون مضت
تنظر إليك
بعينين زائغتين
ودون أن يجفّ عنها كل هذا الوهج الإنسانى !!



٥٨٧ ق.م

فى الأول من نيسان ٥٨٧ ق.م
كان الملك المعظم نبوخذ نصر يجلس على سريره الأخاذ فى قصره
الذى بناه على ضفاف دجلةَ بين كبار رجال الدولة
وقواد جنده
هذا السرير المصنوع من خشب الماهوجنى
والمطرز بالجواهر الثمينة واللآلئ والنقوش البابلية
من رؤوس الغزلان والأيائل الصحراوية والأقنعة الإغريقية
فيما كانت تجلس معه على العرش
تلك الغانية اللعوب إيائيل
والتى تمناها الآلاف من شباب بابل وبلاد ما بين النهرين
وكان المهر الذى قدمه لها نبوخذ نصر
عشرة آلاف رأس من رؤوس الأعداء
وكذلك الآلاف من الهكتارات الخصبة من الأرض الواقعة حول نهرى دجلة والفرات
ناهيك عن أكداس الذهب والفضة التى زين بها قصورها
وغرف نومها
وفرشها هناك فى الأفنية والممرات
لتمشى عليها بقدمين ملكيتين
تلك المرأة التى كان كثيرا ما يشبهها بالآلهة البابلية
نظراً لما تتمتع به من جسدٍ ثرٍ لا مثيل له
ومن شفتين كرزيتين
وعينين كرديتين من لهيب الكهرمانات
وفيما كان يستعرض جنده وقواد جيشه
وهم يسيرون فى صفوف متوالية من مشاة وراكبى عجلات حربية
وقاذفى سهام مجوفة
كانوا يشرعون الرماح عاليا

وهم يهتفون باسم الملك المظفر نبوخذ نصر
باعتباره الملك الخالد سليل الآلهة
تلك الآلهة التى كشفت له عن عشبة الخلود
والتى ما منحتها لأحد من قبل
والتى طاف جلجامش العجوز من أجلها كافة الممالك
وخاض الكثير من الأهوال التى لا يمكن أن يصدقها عقل
كما اتبع وفى الآن نفسه نبوءات العرافين والكهنة
وضاربى الودع والرمل وكل قصاصى الأثر فى المدينة
وقدم لذلك الآلاف من الذبائح والقرابين
من أجل الحصول على عشبة الخلود هذه
ولم يكن الجالس على عرش أورشليم آنذاك
- وهو الملك نيقوئيديموس -
يدرك أن تلك المرأة اللعوب إيائيل والتى تمناها الآلاف
من شباب بابل
وبنوا لها الحدائق المعلقة
والزقّورات
وأحضروا لها كافة الهدايا الغريبة والأحصنة الأسطورية
التى تستيطع الوصول إلى عين الشمس
فى أقل من لمح البصر
قد رأت فى أحلامها حلما واحدا متكررا فقط
أن أورشليم بأسوارها
وقلاعها
ومعابدها
سوف تسقط هى الأخرى بين يدى نبوخذ نصر

وسوف يعيد تخطيط شوارعها
وهندسة أبنيتها
ويسن لها ما يشاء من القوانين والتشريعات
نعم
سوف تسقط أورشليم ومثلما سقطت كافة المدائن
التى اجتاحتها جيوشه المنتصرة المظفرة
ومثلما تسقط ورقة الخريف تحت حدوة حصان
وهى التى اجتاحت كافة الممالك المحصنة
وأخضعتها
ولم يقف فى سبيلها أية مدينة
مهما كانت مدججة بالسلاح
والقلاع
الأمر الذى جعله يستغرق فى حصار المدينة المقدسة
ثلاثة أعوام وسبعة أشهر
وثلاثة أيام
وليلة واحدة
وكانت حصيلة الحصار عدة آلاف من القتلى
ناهيك عن الذين فروا من القتل
وقرروا أن يموتوا هناك فى الصحراوات القاسية
وبعيدا عن مدينة الرب المقدسة هذه
وطالما أن الرب نفسه لم يتدخل لهزيمة الأعداء
وإخضاعهم – كما وعدهم فى كتبه المقدسة-
أو فك الحصار عن مدينتهم وهم حاملو أختام الرب
ووصاياه
والمدافعون عن كل تلك الأرض التى منحها لهم الرب

بموجب العهد الذى قطعه على نفسه لآبائهم
إبراهيم وإسحق ويعقوب
بدلاً من كل أولئك الكفرة والمجدفين وعبدة الأصنام من الكنعانيين
والآراميين
- بإعتبار أنهم أصفياء الرب وخلصاؤه الأتقياء -
وهكذا ...
وهكذا
راح الكهنة وضاربو الدفوف والصنوج النحاسية والمغنون
ومدبجو القصائد الخماسية الوزن والحماسية
يتلوون تحت أرجل القوات الظافرة المنتصرة
ويشيدون بالخصائل العظيمة لملك الملوك المظفر نبوخذ نصر
الذى جاء ليحررهم من وصايا الرب الثقيلة
والقرابين التى لا تنتهى من الماعز والأغنام والضأن
وأولئك الكهنة الذين يسومونهم سوء العذاب
من أجل وصايا الرب المقدسة
شئ واحد كان ينقص تلك المرأة اللعوب إيائيل
أن تقف فى قدس الأقداس عارية تماما
لترى حدائق بابل المعلقة
من شرفة منزلها
فى أورشليم !!
فلم يكن يعنيها فى شئ ذهب أورشليم
أو حتى بقرة الرب المقدسة
ولم تسترح للعقود المدلاة على صدور النساء
ولا على خصورهن
ولا بتلك الأوراق المعلقة على جدران الهيكل
من الوصايا العشر

التى استعاروها من المعابد المصرية القديمة
- كبضاعة مزجاة -
ولا بتلك الهندسة الإقليدية التى أتحفهم بها اليونانيون الأوائل
لكى يعرفوا أن الأرض ليست كروية تماماً
وأنها ليست مركز الكون
وأن الثور المجنح الذى يحملها فوق قرنيه الذهبيتين
قد ينتفض فيحدث الزلازل والبراكين
ليهلك كافة الخطاة
والمجدفين
ولم تكن تعبأ لا بالهيكل ولا بهندسة بنائه
ولا بكل تلك المجلدات الرخوة التى أراق فيها الكهنة
عصير أيامهم
وسنواتهم التى تمجد الرب
الذى وعدهم بهذه الأرض
أرض اللبن والعسل
فقط شئ واحد كان يشغل تلك المرأة فى تلك الأيام
أن تقف فى قدس الأقداس
لكى ترى حدائق بابل المعلقة
من شرفة أورشليم العتيقة !!
أورشليم !!
يا مدينة الرب المقدسة
ويا قاتلة الأنبياء
سوف تقفين كاللبؤة وسط البرية وتتلفتين حولك
فلا تجدين أحدا ينظر إليك
أيتها العاهرة الممصوصة ككل زناة الليل

شوارعك ملآنة بالبغاة
والمجدفين
ومياه أنهارك تفيض بالضفادع الميتة
والكلاب النافقة
دموعك تملأ الآفاق وتتجلط فوق خرائبك
مثل روث الخيل
على بنيك تنوحين كل أيام الدهر
وإلى أبد المسكونة
أيتها البومة العمياء
على أرصفتك الملعونة لا يسكن سوى الذباب والقمل
وفى شوارعك لايمشى سوى البرص والعميان
وفى أفنية دورك
دور فدور
لايلعب سوى الوطاويط
والغربان
وكل بنات آوى
صدى نواحك يتردد عبر الزمن
ولا يوجد من يمد لك يد العون
صرخاتك لا تسمع عبر الأودية
ومشاعلك دائما مطفأة
وبدون راع تتسللين إلى أرض الغرباء دائما
ونساؤك لا يعملن سوى بغايا
أيتها المنبوذة بين الأمم
بعمل يديك تسقطين تحت الأنقاض
وبعمل قلبك

سوف تنامين مؤرقةً كورقة ظل كل أيام حياتك
كداعرة تلمين حولك اللصوص
وقطاع الطرق من كل فج
يدك ليست قوية
ولا مستقيمة
قلبك مملوء رجساً
وعينك تفيض بالشر
لمَ فعلت ما فعلت يا أورشليم
هل من أجلك خلق الله العالم
أم من أجل العالم خلقك أنت
يا نهر الورم
والقروح
على شجرة الجسد الإنسانى
لمَ فعلت ما فعلت
أيتها المدينه ال ....
ياندم الرب الأخير!!

أخبار الأدب



ترنيمة

جسمك صيف حارقْ

بحرك بلا أصياف

أنفك لهيب الشهوة الغامض

عينك سيمفونية تعجّ بالتآلفات المتضادة

وغير المتضادة

بطنك علم أجناس الشعوب

ومنجم هجراتْ

هذا الربيع الأجير

له أن يعمل بمفرده كبحارٍ بين سرتك

وبطنك

أما ردفاكِ فخليجان يعجّانِ بالضحايا

وأسماك القرش النهمة

يالغيمك الكظيم فوق جبروت

شمسك

كفلك آية بميزان !!



عناقيد الغضب

نعم
سوف تدوى القنابل
والطائرات المغيرة
والمروحيات
والمجنزرات الثقيلة
وعربات الإسعاف
لتتداعى أبنية الفجر الميالة
وسوف يصعد طائر الموت إلى أعلى البناية
ليصطاد العصافير بالشصّ
ويؤجل قليلاً ما
أغنية الليلك
والفراشاتِ
ريثما يتوغل جنود المظلات وعبر الأسلاك الشائكة
بفوهات بنادقهم
ودباباتهم الـ سنتريوم والـ إم ٩٠
لكى يؤخروا ولو لدقيقةٍ واحدة
آذان الفجر
الذى يصعد – بائساً ومترنحاً – على السطوح
والأنقاض
وهو يلملم جثته المدرجة بالدم
من على درج النهار
الذى يطلع من الحفر
والخنادق !!
إنه الموت

الذى يفرد جناحيه الرصاصيتين عبر السماء المفتوحةِ
والأرضِ
بأصابعه العتيقةِ
وهو ينقىّ ضحاياه كما ينقى حبات الأرزِ
والطماطمِ
ولا يترك لهم – ولو نصف دقيقة –
كى يقولوا للأرض التى ولدوا عليها
صباح الخير أيتها الأرض
يا أمنا الرؤوم
التى تمدنا بالخبز
والحرية
مهما كانت طائرات العدو النفاثة
وقنابله العنقودية
فسوف نعرف كيف نحبكِ
ونحييكِ
أكثر من شجرة الرئم هذه
رغم الموت الذى ينام هادئًا تحت مخداتنا
وأطراف أصابعنا
وسوف تنبِّت هناك وبعد ألف عام من القتلِ
والدم
شجرة الحرية
التى تقف عليها عصافير السلام
لتغنى للعدالة الضريرة !!
نعم
اقتلوا كل شئ

اقتلوا الشجر
والحجر
اقتلوا النهار وهو يتسلل خفيةً
من شرفةٍ إلى شرفة
ومن شارعٍ إلى شارع
فى ساعات الصباح الأولى
وقبل أن يشبّ عن الطوق
إلى أن تتجرح الشمس
ويتضرج وجه القمر
بالدمْ
اقتلوا العصافير التى تعبر من بنايةٍ إلى بنايةٍ
لأنها لم تستأذنكم فى الطيران والضحك
اقتلوا الفجر
بألوانه الألف
وبرصاصاتكم المطاطية
وستراتكم الواقية
لكى تنعموا بالحرية
والأمن
ولكن ترى أية حرية هذه ؟!
تلك التى تنتزعونها من ضحكات الأطفال
وعويل الأمهات
وأنتم تحولون الأرض
إلى جبّانة ؟!
لن نستأذنكم ولو لدقيقة واحدة
لكى ندفن موتانا

أو نربط شرياناً
إلى شريان
ولن نتوقف أمامكم
لكى نلملم ضحكاتنا التى سقطت على الطرقات
وتحت أفرع الشجر فى بحيرة الدم هذه
لا ولن نقول لكم – كذلك – أى شئٍ عن العدل
والحرية
فقط !!
سوف نغنى لحبة القمح التى نعرف كيف نزرعها جيداً
تحت جدران الأسلاك الشائكة والممرات
وفوق كل تلك الأرض الملغومة بالمتفجرات
والموت
سوف نغنى للقمر الجريح
الذى يعرف الطريق إلى بيوتنا المركونة فى العراء والطلّ
سوف نغنى للقمر الضرير
الذى يملأ حناجرنا بالضوء
وأغنياتنا بالأمل
وسوف نملأ جرارنا بالخبز والماء
بدلاً من أوعيتكم الملآنة بالدم
والكراهية
لكى يعرف العالم
أن ألف حربٍ
وحربٍ
لا يمكن لها أن تقتلعنا من جذورنا
إلا إذا استطعتم أنتم

أن تقتلعوا السماء من جذورها
وأن تحطموا القمر
بالمعاول !!
بقيثارةٍ
وجمجمةٍ
سوف نكسركم
فلم تكن السيدة مريم
وهى تعبر الحدود
من الناصرة
إلى بيت لحم
تعرف أنكم سوف تلوثون كل هذه الأرض
بالدم
وأن السيد المسيح وهو يئن فوق الجلجثة
يدرك
أنكم سوف تصلبونه كل يوم
فى صورة شعب أعزل وراجمات
يا من تحولتم
إلى خنازير
وقتلة
باسم يهوه الذى تحول من إله للعدل
والحرية
- حسب شريعتكمْ -
إلى مصاص دماء
بقيثارةٍ

وجمجمةٍ مكسورة
سوف نهزمكم
أيها القتلةُ!!
هنا
اليد التى تزين السماء بماء كالمهل
والأرض التى تقف على قدمين مصلوبتين
وفم ضالٍ
الشجرة التى تختبئ من الظل فى الشمس
وتقول للريح :
أيتها الريح
لا سلام لك على الأرض
سوى خشخشة المادة الغُفْل
هنا
المياه التى تهرب عميقاً
من النسيان
وتكشف عن صهللة الجذرِ
القمر الذى يسهرُ – بمفرده – فى الوحدة
ويتوكأ على قطيفة الندم
الحمراء
هنا
الليل الذى لا يسكن إلا فى حديقة الألم
ولا يمسك فى يديه
سوى حدقة الموت المسننه
هنا
الساعات التى تقف هرمة
وشائخة

على الحوائط المزركشة بالغياب
كشاهدٍ أخير على أنشوطة الزمن
أيتها السموات التى لا تسمع
أو ترى
سوف نكشطك بمعولٍ
ويطنَّ !!



صلاة من أجل سلام العالم

لنعمل مع الآخرين
بإنسانية وذكاء قلبْ
لا
لم يكن لتلك الشجرة أن تعرف ما هو الشرق ولا ما هو الغرب
ولم يكن لكل تلك الوردة
إلا أن تعطى عطرها للجميع
أسسوا لكل هذا النهار
أن يكون بلا ندم واحد
أو حتى لحظة كراهية
قولوا
لكل تلك الشمس أن تمنح ضوءها
لكل هذا العشب الإنسانى
أينما كان
وحيثما حلّ
بلا شرقٍ واحد
أو غربٍ أخير
الشرق والغرب
وجهان لحقيقة واحدة
هى
العالم
فقط

هناك يد تعمل من أجل سلام الروح الخالص
فقط
هنالك قلب يغنى
من أجل الحب
مجّدوا الأرض
لأننا أبناء الله !!



صلاة

للذين أحبهم و يمطرونني بوابل من الحجارة !!
للذين لا أحبهم بغير نتيجةٍ معروفةٍ
لأولئك الذين سقطوا هناك على الأرض بلا لحظة واحدةٍ من الأمل
أو النسيانْ
لأولئك الذين يسكنون هناك مع الريح فى برجٍ واحدٍ فى غرف الصفيح
والمازوت وعلى أسطح المقابر المجاورة يتناولون طعامهم مع الموتى
ولا يعرفون النهار إلا من خلال فتحات التهوية
وأنابيب الغاز
لتلك التى تستلقى على فراش الندم
وتداعب خشخاش الذاكرة
لتصنع من الوحدة جنات وحوريات
وتقف بمفردها تحت مروحة الصيف العنيدة
كى تطرد ذبابة الالمْ
وتودع النهار بيدين حانيتين !!
لأولئك الذين يغنون رغم الألم والغياب
الشبابيكَ
التى يتركونها وراءهم شبه مفتوحة
والنوافذ
التى تركوا فوقها ذكرياتهم لتجف
مثل علف الماشية
وحبات الكركمْ
لأمى التى ماتت بالسرطان وهى تكنس الدار بيديها الممتلئتين بالجزع والنسيان
ودون أن تعرف شيأً عن فتنة الأمل !!
للسنوات التى تركتُها هناك ـ معلقة-
على الأرض

فى ليلة عاصفة ومضيت نحو البحر
ولا أعرف عن السماء سوى ذلك اللون الأزرق
من الجرح
وها هى ذى السكك التى أسير عليها
وتئن تحت قدمى مثل بعوضةٍ
لزجةٍ
لكل تلك الشمس التى كنستها – هناك - من على مائدتىْ
فى لحظة من الغضب وقلت للرب
أريد أن اعرف لمَ كل هذه المسامير التى تملأ العالم ؟َ!!
مولود أنا فى جبال ضوئك
أيتها الحياة الراسخة بغير فم
أنا بديل مؤقت
لآلهة من خشب
أطلب سماءً من شفقه
قوامها الأرض!!



صاروفيم

بضحكته الصفراء
سوف يتوقف هذا الملاك على مبعدة أخيرة من حجر وطوفانات
وسوف يصعد على سلالمه الرخامية
لا
ليراقب التاريخ
من فوهة غرفته التى تشرف على الجحيم دائما
وإنما ليكنس الشمس بأصابعه المعروقة
وهو يتأمل الملائكة
الذين يرسفون فى الأغلال!!



شمس مزدوجة

شمس مزدوجة لكل هذا الليل
شمس خضراء
فوق نهديك
الموسوعيتينِ
العيون
والأيدى
الأذرع
والسيقان
الشفاة
والمرمرْ
كلمات أسيرة
القبلة زمردة الجسد
الذى لا ينحسر
اللسان
عسل الكلمات
المخضر
القمر
أغنية النهد الذى يتحايل وينحكّ
لا تقتلوا الفراشات
فوق إبرة الليل
ما عاد هناك متسع
لكل تلك المماحكات
اتسعى قليلاً
أيتها السماء

وأنتِ
أيتها الشمس العالقة
فوق القبةِ
أرجوكِ
وضّحى الردفين قليلاً
تحت قلق الأصابع
....
....
يوم أن ملأتُ يدى من نهر جسدك
قلت للعالم
نعم !!

سهر

بجسد منهمر
وماء كالمهل
سوف تقف السماء على مرمى حجر من الأرض
لتلتقط طيورها الوحيدة
من مخلب الليل
لا
لكى تقف الشمس
على سن إبرة
وإنما لتتنفس
بحيوية وبطء
حرير ذلك النهار !!
أيتها الشجرة
أين تقيمين مقبرتك
فى آخر الشتاء
هناك
وعلى منعرج السيل
سوف يسهر الليل
على شفا قمرٍ
منجرح !!

سعدى يوسف

والآن
أيها السيد الطفلُ
لم نعد نبصر فى أيدينا غير العرق والآجر
وسنوات الحصى والرغبة التى توقفت على الجدران والنوافذ
وأودية الكريستال التى تمتلئ بالدم
لتقف شاهدة على قبورنا الملقاة فوق ظهورنا - والمفتوحة عبر الأفق -
وأيامنا التى عانينا فيها وبمفردنا الخطأ والنسيان ودون تدخل من الطبيعة الحيةِ
أو الصامتةِ على حد سواء
تلك الأيام التى أترعناها بالقنوط والنكران
أيتها الحوئط المفتوحة لليل
ليس ثمة مانفعل الآن سوى أن نقيم نُصبا تذكاريا على قارعة الطريق
لسنواتنا المضللة وأغنياتنا المجرحة على الرمل ودون أن نمتثل للألم
ذلك الخفاش العجوز الذى يزهر على أطراف أصابعنا ودواخلنا
وهو يعض بأنيابه العنكبوتية على زهرة الخشخاش اللامعة التى ربيناها صغارا
تحت أسرتنا الملونة
فيما يعمل كحفار أعمى على اختراق الطبقات اللاّإنسانية للعالم
ودون أن يصيبه الغثيان أو الملل
ولا يريد أن يتوقف ولو للحظةٍ واحدةٍ حتى يصل الى تلك الشبكات الضوئية
العميقة التى تربط الجسد بالجسد
والجذرَ بالجذرِ
وها هو ذا الألم يقف سدا ترابيا منيعا بين الشهيق والزفير
لأحلامنا المبتكرة!!



سراب

آه

لقد شاخت السنوات

التى كنت أطاردها على الرمل

ولم يعد هناك ذلك السراب الذى كنت أحسبه ماء

وأطارده بعصا الراعى

ماذا فعلت بالزمن الذى يتسرب من بين يدى

كالمطبات والحفر

لم أكن أملك غير ضوئك الذى ينضح بالزيت

مثل قنديل معلق تحت قبة كنيسة

آه

لقد طارت تلك الحمامات

التى كانت تحط على أحلامى وأعرفها بمناقيرها

وعبر الظهيرة المدوخة

ولم يتبق لها سوى صوتك

الذى يشبه العظاءات

واليتم .



دعنا نواصل الغناء أيها الليل

أيها الليل
دعنا نواصل الغناء
نحن الذين ودعنا مضارب القبيلة
وربطنا إبلنا على صخور الليل البردانة
ولم يكن يتبعناغير سمك البحر
أو حدائق الفراشات الشيطانية
فقط
توقفنا تحت سموات واطئة بحجم الكف
وأخذنا سلالنا الملآنة
بالملحِ
والهزيمة
وارتكنا على حوائط الموت المجوفةِ
وبدون أن نأبه لأى شئ
قلنا لآلهتنا الورقية
لماذا تتراكم الجثث على بوابات الفجر العارف
أيتها الآلهة التى لا تكفّ عن الضحك والنسيان
أيها الليل
دعنا نواصل الغناء
إلى أن تنتهى حناجرنا
من الكوابيس
والضجر !!



خائط العوالم

فى الليالى الثقيلات
كان المعرى الضرير يجلس على أريكته الخشبية
وهو قابض على حروف اللغة ليدقها بالمدقات
فيما هو يتلو – ومن فوق دكته الخشبية – سورة الكرسى
وإذ
تفكر للحظة واحدة فى
زمن الطفولة الملئ بالأحلام
والمسامير
أدرك وهو على مشارف السبعين من العمر
أن الطريق إلى الجنة
جدّ طويلة وشاقة
وأن عليه أن يمر على ذلك الصراط المستقيم أولاً
وقبل أن يصل إلى خاتمة الرحلة
ويُلقى به فى نهاية المطاف فى نار جهنم
والتى يدرك بحدسهِ الأكيد
أن أحداً قد لا يتجاوزها أبداً
إلا الملائكة الأجلون
والأنبياء البررةُ
وكذلك الخلّص من القديسين والرهبان
وحاملو مفاتيح الربّ وصولجاناته
وأن ستين سنة من الكدح المضنى وراء حواشى النحو والصرف
والسعى الحثيث وراء سراديب اللغة
ومنغلقاتها
والدخول إلى قيعانها الأسفنجية
ومياهها السردابية الشاسعة

لا يكفى لإدراك معنى واحد من معانيها المترامية الأطراف
فكيف له – وهو الضليِّل الأعمى –
أن يقبض على تلك الخفافيش التى راحت تطارده فى العتمة
وتلعب برأسه
- ليل نهار -
حين تغلّق بوّابات الدور
وتنطفئ نواقيس الشوارع
وفوانيس الخمارات
وليس ثمة غير الهوام
وأشباح الظلام الهرمة
المتقدة الأعين
والرؤوس ؟!
كيف له – وهو العائش فى الحقيقة دائماً –
أن يتثبت من كل ذلك اليأس الناشب تحت نعليه
الغليظتين
والقائم هناك على جدران الروح
كشجرة هائلة
وكيف له أن يعلقه فوق جدران البيت
- كتعويذة خالدة -
وهو المكلل بالخديعة
والغى
كيف له أن يعلق كل تلك الصور الشاهقة عن الملائكة
والجحيم
وكل قابضى الأرواح هؤلاء
ألم يكن له – وهو الذى يلمس الشك بأنيابه
وأظافره –

أن يتحسس تراب العتمة
بقدميه الشائختين
وعينيه المعوجتين
فيما يمسك بكلتا يديه بعصاه التى يهش بها على غنمهِ
وكلابه الضالة
- عبر الصحراوات المترامية الأطراف -
والتى تحاصره ليل نهار أينما يذهب
وحيثما يحل ؟!
كيف يتيح لمراكبه التى تعبر بعيداً عن الجاذبية
أن تتوقف هناك عند حافة السماء
وتحت قبة النجوم التى أخذت تتسع بحجم رغيف من الخبز
والملح
ليجمع فى شباكه الورقية
أغنياته
وصلواته
ويلقى بها إلى السمك الميت
الذى استخرجه حياً من الذاكرة
وعبر سنواته التى أنفقها هناك وبمفرده على الأرض
بلا لحظة واحدة من اختيار واحد
أو حتى إرادة شريرة
هل اكتشف الآن وهو يدب على قدمين واهيتين
وفم أدرد
- إلا من بقايا السوس والروائح الكريهة
وعشاء البارحة المالحِ الخشن –
أن للوجود معنى آخر

غير تلك الوطاويط التى تلعب في رأسهِ
وتحاصره ليل نهار
كأنها الجحيم
ودون أن يملأ – ولو جرة واحدة من كل تلك الجرار
الكثيرة المترامية على حواف الترع
ومسارب الأنهار
أو يلقى إلى المجهول بدلائه التى أصبحت تشكل
حائطاً صلباً
يشغله حتى عن كل تلك الهاوية
التى أصبحت تحدق فيه بعينين مبصرتين
وفم أدرد ؟!!
لقد كان يعرف أن الطريق إلى الجنة
لابد وأن يمرّ – عبر بوابة الجحيم –
الذى أخذ يتحسسه بكلتا يديه
فيما يشبك أيامه الأخيرة
ولياليه
فى صنارةِ الوحدة
والعجز
تلك الصنارات التى يشبكها بخيط
طويل
من الدم
والحمى الروماتيزمية
وأوجاع النخاع الشوكى
وتآكل المفاصل
عبر عينيه المطفأتين
وبئر الهاوية

المكتظ بالقطط الرنّانة

والثعابين

المتكاثفة

وها هو ذا

يتخبط ليل نهار – فى السكك والشوارع –

وعلى غير هدى إلا من الذاكرة المطعمة بالأصداف الفارغة

وإبر النحل

كيف له

وهو الضليل الأعمى

أن يمسك بخيط الإبرة – ليجد على النارِ هدى -

أو ليلضم الخيط الأبيض

فى الخيط الأسود من الفجر

فيما يقول وهو على شفا الهاوية

يا خائط العالم

خطنى !!



جسر الحرية

حينما احتلت جحافل المغول الفرات الأوسط
لم يكن هناك ثمة سفينة محملة بالمؤن والذخائر
ولم يكن ثمة أثر لطائر الراقوق الأزرقِ
أو حديقة الإوز العراقى
والحجلْ
فقط ... !!
كان هناك جنكيزخان الذى يرقد فى خفته مقروراً
فى تلك الخيمة المنصوبة بإزاء « أور» المقدسة
ممدداً قدميه حتى حافة السماء التى تندلق على الأرض
ومفكراً
فى الآن نفسه
فى كل تلك المدن والفيانى
وفى كل هذه الممالك التى لا تغيب عنها الشمس
والتى سحقتها جيوشه الجرّارة
وترقد ضائعة تحت قدميه
وفيما كان قوّاد جنده وخاصته
يلفون الفرات الأوسط بحثاً عن ماء السماء
وخبيئة جلجامش
ويلقون بالآلاف المؤلفة من الكتب والذخائر
وأقلام الوراقين
ورقائق النسّاخ المصنوعة من الكاغدِ
وجلود الحيوانات المدبوغة بالملح
والشمس
وكذلك الفهارس العملاقة التى قام برسمها
كبار الجغرافيين فى العالم

والتى تضم كافة البلدان والممالك وخرائط المدن التفصيلية
وأسماء البحار والمحيطات التى تبقّع العالم
بالإضافة
إلى كل تلك المجلدات الضخمة المرصعة بالياقوت والماس
والتى تحدد مواقع النجوم
وتعين بدقة متناهية دوران الأفلاك
والشمس
كان دجلة فى ذلك النهار الكظيم يغصٌّ بالدم
من فرط الجثث التى أخذت تطفو على الماء
فيما الأسماك التى أكلتْ كفايتها من الأدمغة والمعى
ترقص متلامعة تحت عين الشمس اللاهبة
وكأنما فى رقصتها الجماعية هذه
تؤدى صلاة الجحيم لطائرٍ وثنى
ولّما
لم يجد قواد جنده من وسيلةٍ فعالة وناجزة
يعبرون عليها نهر دجلة الذى يمتلئ بالجثث والجماجمِ
اقترح أحدهم – وكان ذا حصافة وخبثٍ – على جنكيزخان
أن يصنعوا محرقةً هائلةً
- كتلك التى كانوا يقدمونها لآلهتهم الشرهة إلى الدم
والتى تركوها هناك وراءهم فى آسيا الصغرى
فى انتظار عودتهم مكللين بالنصر –
من الكتب والمجلدات التى توجد فى أية بقعة من هذه الأرض
التى أصحبت خالية تماماً بفعل الخوف من القتل
والقنص
بما فى ذلك كل تلك النسخ التى فى حوزة العلماء والفلاسفة
وكافة رجال الدين من القرآن الكريم والأناجيل المقدسة

وأسفار الملوك الأول

وتماثيل « أشور» و« أور»

وكل تلك الجداريات التى خلفها وراءه بانيبال العظيم

وأن يخلطوا كل ذلك الرماد المتبقى

بكل تلك الجثث التى أخذت تتزايد يوماً بعد يوم

حتى كادت أن تصل إلى عنان السماء

وأًصبحت تشكل حاجزاً حرجاً يهدد الحياة فى ذاتها

ولكى يصنعوا فى نهاية الأمر من كل ذلك العجين المخلوطِ

جسراً هائلاً يربط ما بين الضفتين المتقابلتين

لنهر دجلة العظيم

وبعد أن يكونوا قد صبوا عليها وعلى كل تلك الأشلاء والجثث

ُزبَرَ الحديد

وقِطْر النحاس

وكذلك الآلاف من أطنان الحجارة النفاثة

التى صنع منها جلجامش العجوز

مدينته الطيارة

والتى تشبه الجمجمة

المحطمة !!



هذه الوحدة وطائرها الأخرس

الوحدة!!
هذه الوحدة اللعينة التى تطأطئ الرأس
وتجعل الزمن يتحشرج
كالحشرةِ
الوحدة
هذه الوحدة التى تأكل معى على المائدة
وتغسل الأطباق
وتنتشر كقطٍ أملسَ
على الشّوَكِ
والسكاكين
وكافة الملاعق
وأرضية الحجرات
ومفارش الأسرة
والتى تلتهم بشفتيها الجهنميتين
كل ما أقدمه لها من حججٍ
و مرايا
وبقايا ما فى الأطباق من أطعمة
والتى تعمل تحت صخور الروح المدببة
وهى تنفث بخارها الكثيف
فى الخفاء
إلى أن تنفجر تحت مياه الروح اللزجة
وتفيض على كافة المسام
كيف نقبض على هذه الوحدة الشرهة
من رأسها
وندقها بالمدقات

إلى أن تنفثئ كالبثور التى تظهر
على الشفاه
والجلد
لتذروها كالرياح إلى المستقنعات والبرَكِ
ولتقف هناك فى الأعالى
على رأس طائرها الأخرس
لتنقر بمناقيرها
المجوفة
فى قلب الظلمة !!



مرثية مالك بن الريب الأخيرة

بيدك الأثيمة هذه
سوف تجرح كواكب الليل
وسوف تجلس – وبمفردك – على أريكةٍ خشبيةٍ
قدّام تمثال أبى نؤاس
ذلك القابع على الفراتِ الأوسطِ
لا لتناوله كأس الخمر التى يحبها
وكلما أراد أن يشرب أو يذكّر
وتنتابه اللذة
ولا لتحكى له عن قطرة الدم
التى أخذت تسيل من قلب نينوى
باتجاه خيمة الرب الهائلة هذه
وإنما لتكدس خيباتك اللانهائية
وأنت ترفع يدك الأثيمة هذه وبضراوة بالغة
إلى يسوع المسيح وأمه السيدة العذراء
- فى تلك الكنيسة المهدمة -
التى كان يؤمها أهلك وعشيرتك
من قبل أن يقف الحواريون
والكهنة
والنساك
وضاربو الدفوف والودعْ
فى عراء الطلح
وعلى الأسلاك الشائكة
فى انتظار أن يحصلوا على تأشيرةٍ من القوات الامريكية
تتيح لهم الحصول على صكوكِ الغفرانِ
أو الهروب من مدينة الجحيم هذه

من أجل أن يصطفوا على مائدة الرب المقدسة
فى انتظار أن تخرج عليهم
تلك اللبؤة
المومس
كوندليزاريس
لتمنحهم الحرية
والسلام
وبعد أن تكون قد منحت فخذيها
لكافة القوات الامريكية
من أجل أن ينهلوا من ماء فرجها
الذى يسيل كالفراتِ !!



ماذا عساى أن أفعل بكل هذه الحياة !!

لابد أن الزمن قد محا كل شئ
الحذاء الإفريقى ذو الرقبة من الجلد
النهر القديم الذى يغتسل فيه القمر خمس مرات في اليوم والليلة
أبى ذلك الخيمائى العظيم
بنظراتة المقدسة
وأنابيقهِ التى يحتفظ بها تحت مخداته
فى انتظار أن يجد حلا لمعضلته الكونية التى لا تنتهى
كيف يحول التراب إلى ذهب
ولا يعود ذلك المعدن اللعين مقصوراً
على طبقة دون طبقة
أمى
بجلبابها المنطفئ دائماً
وهى تشعل التنور لإعداد وجبة العشاء الساخن
لأبى
وذلك القِدر من اللحم
كومة الأوحال العالقة بقدمى
بعد نهار طويل وشاق من التجوال المضنى
فى طرقات الريف
الجافة
شجرة السنط العجوز
والتى ما كان يحلو لها النوم إلا ساعة الظهيرة
المقبرة القديمة
التى تخترق القرية من أقصاها إلى أقصاها
وكأنها تذكار أبدى على يد الله

التى تعمل فى الخفاء دائماً
الأصدقاء القدامى
فى طياراتهم الورقية
وأحلامهم
التى فقدت الأطراف والشفاه
وما عادت سوى أعقاب سجائر وعلب صفيح
ووطاويط
أشباح الفجر الغامضة وهى تطل برؤوسها البيضاء
والتى تشبه ملك الموت دائماً
بأجنحته الهائلة
وترساناته
صرير الجنادب المحتدمة
أثناء ممارسة اللذة
تحت ساقية
معطلة
الشهب الَّلماعة التى تخترق مُدية الظلام
مثل صرخة
مكوّمة
الآن
ماذا عساى أن أفعل بكل هذه الحياة !!



لا غالب إلا الله

حكاية عن حياة

أبى عبد الله الصغير

أخر ملوك الأندلس ١٤٩٢م

-١-

فى يوم من الأيام لم تكن تحلم أمه
بأن يكون ملكاً على كل تلك الأرض
البعيدة
عن مكة تماماً
أو يقف بمفرده فوق ربوة عالية
تشرف على ساحة قصر الحمراء
لكى يقطف نجمة الفجر
الذى يعرف دائماً أنها تطلع متلألئةً
وزاهيةً
على سماء غرناطةَ
تلك النجمة التى تذكره دائماً بالصحراوات العربية
والتى أتى منها أجداده الأولون
أولئك الغزاة من البدو الرّحل
الذين جابوا الصحارى
بحثاً عن الماء
والكلأ
وحملوا الجرار
والسيف
على أكتافهمْ
وفوق ظهور الأتن المحشوة بالهوى الجارح
- للخيام والمضارب -

والتى هدّها الظمأ
وأتلفها النسيانْ
ولم يكن يشغلهم فى شئ
إلا ذلك السراب الذى يلمع من بعيد
وتتراءى لهم كِثَـفُهُ التى تتراص طبقةً
إثر طبقة
عبر الحلم واليقظة !!
وليس ثمة أمل فى أن يتوقف
أو ينهزم
تحت تلك الشمس الظافرة
لشهور الصيف العنيدة
ومن هناك
وعبر بادية الشام البالغة الحرّ
والقرّ
جاءوا
ليجتازوا المدن والفيافى
وليصلوا أخيراً من أقصى الشرق
إلى أقصى الغرب
جاءوا
وعبر كل تلك الأرض
التى يمشى عليها القمر بأغنياته الجريحة
ومواويله التى تشبه الحرير والسيسبان
ويمكن فيها للنجم أن يقطف باليدين
آه
من كل تلك الأرض

التى تجرى من تحتها الأنهار
ويتفجرّ منها الماء
فى الصخر
وفيها من الحور العين
والقيان
والمغنيات من الجوارى اللواتى يتلامعن
كالماسات
واللآلئ
مالاعين رأتْ
ولا أذن سمعت
وأخيراً
كان يتعين عليهم أن يتوقفوا تحت كل تلك السماء الحريرية
لغرناطةَ
التى تسيل على شوارعها اللذة
والشهوة كالسلسبيلْ
وليشهدوا من فوق كنائسها العالية
أن لا إله إلا الله
وأن محمداً رسول الله !!

-٢-

أيها الفجر المضاعف لا تقترب
فالسموات التى تعودت على الندم
والخسارة
لم تعد تلك السموات التى تهبط بمناطيدها الإسفنجيةِ
وأحلامها الورقية
عبر النوافير
والأودية

والطيور الملونة
والأراجيح
صارت الأرض أسلحةً
ومعاركَ
وبحيراتِ دم
والنجمة المستقيمةُ التى كنت أقطفها باليدين
صارت هى الأخرى غريبةً
وغير مواتية !!
توقفى !!
أيتها العجلة الجهنميةُ
يا عجلةَ الحظ السئ
مثل طاحونةٍ
مخَّربةٍ
وتوقف كذلك
أيها الفجر المضاعف على دَرَجِ القصر
ريثما أجمع سراويلى
ورايات مملكتى
وشارات جندى
لكى أعبر المضيق إلى الشمال الأفريقى
ولآخر مرة سوف
أتطلع إلى قصر الحمراء بغرفه المذهبة
وشرفات غرناطة
التى تعلوها الفراشات
والضوء
وربما تطلع نجمة الفجر
لمرةٍ أخيرةٍ كذلك

على جبال الأندلس
فالسنوات التى قطعناها هنا وفوق هذه الأرض
كانت من الرخام
والقطيفة .

-٣-

الآن !!
وقد ذهبت كل هذه المدينة إلى النهر
وذهبت كل تلك السنوات البعيدة إلى حيث اللاشئ
ولم يتبقّ من الفجر المضاعف
إلا حفنتان من تراب
ورملْ
وبقى الزمن
الذى يعمل بمفرده كحفار وأعمى
ويصهل هناك على درج القصر
كاسطوانة فارغة من الأيائل
وبخطا طيفه التى لا تنتهى
يجرى من الأبد إلى الأزلِ عبر صحراواته الواسعة
ومجراه العميق
ولا يصل إلى منتهاه أبداً
أيها الزمن
يا حجر الرحى
أيتها الطاحونة الفارغة الحمراء
هل هذه هى النهاية البائسة للأحلام ؟!
هل هذا هو الليل المدجج بالكوابيس
والعتمةِ

هل هذه هى نهاية الصلوات التى لا تنتهى إلا للعدم
من يقول :
إن هذه النجمة الغريقة الزرقاء
كانت تشبه تلك النجمة الواثقة
بحبالها الفسفورية
تحت سماء الأندلسِ
كالقطيفةِ
وتشرف هناك على الوادى الكبير عبر النهر
من يقول
إن هذا الحجر الناشئ فوق تلك المستنقعات
والبرارى اللانهائية
والأبنية المهدمة من الآجرّ
والقشّ
هو هو نفسه ذلك الحجر اللامع الحىّ
الذى يتفجر منه الماء
فى سماء الأندلس اللازوردية
وعبر بواباتها الواسعة
ومواخيرها
وإسطبلاتها المجهزة بالصافنات
وبناياتها المطرزة بالكهرمانِ
والسوسنِ
من يقول :
إن هذه الطيور بمناقيرها الخشبية المشققة
هى هى نفس الطيور التى كانت تتلامع بالأمس
فوق سماء الأندلس العتيقةِ

وقبابها النحاسية المطلية بالذهبِ
والفضةِ
تلك الطيور التى تمسك فى مناقيرها الملونة
بغصن زيتونها الأخضر
ومتخيلاتها التى تشبه الكواكب الدرية
من النساء
والولدانِ
كيف أضعت كل هذه البلاد من يدىّ
ولم يعد يعلقُ بأصابعى سوى ترابها اللين الجاف
وصوت جيتار لمغنٍ أندلسى ضرير
وهو يغنى أغنيته الأخيرة
للجميلة إيزابيلْ
- هنا كانت الأرض
والسماء
جنباً إلى جنب
أيتها الأندلس الرحيبة
نهاراتك
من إردوازٍ
وزيزفوناتْ
أرضك مرصعةٌ بالأحلام
والسواسنِ
نساؤك مالهن من مثيلٍ
ومياه أنهارك التى تجرى كالأرجوان والشهد
لا تنبع إلا من السماء

ولا تصب سوى فى الجنة
أنتِ
يا مدينة الأحلام
والفراشات
لياليك جسر من النساء الذى لا ينضب
ويتفوق على الحليب
والسحر
زرقة عينيك
مثل العندم
وماء الكوثر
فى طرقك اللامعة يتكاسل النورُ والظل
وفى ساحاتك الصاهلة
لا نرى سوى الحوريات
وشقائق النعمان
ولا يسيلُ على أطرفِ جلابيبك سوى الزمن
الذى يجرى على السكك
كالنواقيسِ
والكاتدرائيات
أيتها السموات المضاعفةُ
توقفى قليلاً قليلاً
على الأبواب
والشابيك الخلفية للزمن
ريثما أحصى عدد قتلاى
وما أضعت من ذهبٍ
وفراشاتٍ
فالسنوات

التى أضعناها فوق هذه الأرض
كانت من الأحلام
والقطيفةِ
أيها الفجرُ المضاعف لا تقترب
لا غالب إلا الله
لا غالب إلا الله !!



قصائد أقل إنسانية

إلى المتبنى

كيف تلمس الهواء الذى يصير أقل شساعة
وإنسانية
من كل تلك الأرض التى تكورها بين شفتيك كاللفافةِ
وكيف تركب حصانك الخشبى ومعك خبزك وملحك
الذى يلتقطه لك بعض السيارة
لتعبر به من صحراوات الروم البالغة القسوة
إلى بلاد ما بين النهرين
وحدود أنطاكية
أنت الذى يعرف جيدًا كيف يصنع من اللغة
زوارق
ومحاريث
وينصب شبكته الثقيلة من الدمع
ليخيط بها فى نهاية الليل
أوهامه
وطيوره الفخارية
التى تقف شامخةً
ومتحفزةً
على بوابة سيف الدولة
فى انتظار أن تمن عليك السماء بكلمةٍ واحدةٍ
لتفك بها المغاليق
عبر اللغة
والعالم !!
لا

لم يكن سيف الدولة الحمدانى أقل ذكاءً منك

وأنت تقف بين يديه – كاللبؤة –

لكى تخيط له القصائد التى كتبتها على مقاسهِ

وبالتفصيلِ

بعدد أنفاسه اللامعة

وذخائره

وهو يلقى إليك من شرفتهِ العاليةِ

بالدراهمِ

والدنانيرِ

التى تلمع بين عينيك أكثر من اللغة ذاتها

فيما تحمل بقجتك المثقوبة فوق رأسك

التى تمتلئ بالصئبان

والقمل

وتصنع من اللغة نعلاً واسعاً

تستطيع أن تصبه فى رجلِ كل أحد

حتى ولو كان هذا اللا أحد هو كافور الإخشيدى نفسه

ذلك العبد الآبق

والحاكم الفعلى لدرة العالم – مصر -

بقدميه الغليظتين

وشفته المشقوقة كطرف منجلٍ

لا

لم يكن السبيل إلى ذاته

سوى موته !!

وفيما كنت تعبر الطريق إلى مصر

- تلك المرأة اللعوب -

وتاركاً خلف ظهرك الروم

وصحراء السماوة

ومدينتيك المفضلتين

الرصافةَ

والكرخَ

كنت توقف جوادك الخشبىَّ

لكى يروى ظمأه من ماءِ الفرات

وللمرة الأخيرة فى التاريخ

فى ملمّعة الآل

والقفرِ

وكنت تلوّح للرصافةِ

والكرخِ

بقبضة يدك التى تعرف جيداً

كيف تعيد إلى الاستعارة المكنية

مكانها اللائقَ

فى الواقعِ

والتاريخِ

فيما كانت تلك الصورة الفريدة التى تشغلك دائماً

وطوال الوقت

كيف يمكنك الجمع بين الماء

والنار

فى صفيحة ؟!

أنتَ

أيها المهزومُ الذى علمتهمْ

كيف يتم خيانة اللغة جهراً

وجرجرة كافة الكلمات من أعضائها التناسلية

- أمام العامة

والدهماء –

إلى محاكم التفتيش

وكناسى الشوارع

وبائعى المرطبات

والروبابيكيا

وكيف يصنعون من اللغة أرجوحة بحجم لعب الأطفالِ

لكى ينافقوا بها السماء على مكثٍ

والأرض

- على طاولة مستديرة -

ولكى تصبح فى نهاية الأمر تلك اللعبة اللعينة

من الحروف

والكلمات البلاستيكية

دنانير

وأرغفة

وذلك بدلاً من أن يربوا اللغة فى الهواء الطلق

لتتعلم معنى الحرية

أو فى حويصلات الطير كأرواح الشهداء تماماً

إلى أن أصبحت تلك الصحراوات العربية الشاسعة

جزيرة من الدم

والمعتقلات !!



سرديتان

سردية (١)

إنه النسيانُ الذى يسيطرعلى كل اتجاه

البحارُ

والرمل

الأحلامُ

والسكك

والكل ينسى

لقد كانت حياتى خربةً وخاويه

- مثل محراث قديم لفلاح بابلى -

وتسير من ظلمة إلى ظلمة

وفى نفق مظلم

تترك موداتها العليمة وخياناتها

لقد اتفق لى أن أرى الجرذان

تسير فى السكك

وتعلو البنايات

وتقفز من النوافذ

وتتسلق شبابيك الروح

كما تتسلق القطط أكوام القمامة

وبقع الفجر الجافة

لقد سبق لى أن رأيت

الشمس تنكمش من البرد الخالص

والبرد الخالص يهرب من الدفء الخالص

الشمال

يبحث عن الجنوب فى الشرق

والشرق يبحث عن الشمال فى الغرب
والمستعمرات رمز كل شئ
المستعمرات فى راحة اليد
والمستعمرات فى البنطلون
المستعمرات فى حدقة العين
والمستعمرات فى ياقة القميص
المستعمرات فى الحذاء
والمستعمرات فى الرقبة
لا توجد أرض أخرى لأمارس عليها
حريتى وبعنف
لا توجد سماء ثامنة
لأهبط عليها بمناطيدى وطائراتى الورقية
ليس ثمة شمس غير هذه الشمس
لألقنها درسا فى الاختيار الإنسانى الحر
أو لأجلس تحت حوافها المتضرسة المتشققة
وأغنى أغنيتى التى أحبها بعمق
ودون أن يزاحمنى أحد
- حتى ولو كان الرب نفسه -
آهِ
من هذه الفقمة التى تقف فى الحلق كالشوكة
وتبول ليل نهار فى مؤخرة الرأس
دون أن تتركنى ولو لدقيقة واحدة
آهٍ من هذا الهراء الذى يسد علىّ كافة المنافذ
وبالمناسبة ماذا صنعت له
لكى يتربص بى

طيلة كل هذه السنوات
لمَ كان كل هذا الليل
لمَ كانت كل تلك الكوابيس التى تجرى
على الأرض كالقطط
بلا أمشاط لتفلية الرأس
أو حتى أسنان للاستحمام
لمَ كانت كل هذه الجدران
والأبواب
والنوافذ
لمَ كانت أصلا كل هذه الأشجار والحدائق
طالما أن الإنسان يحمل فى يده بلطة
وفى السماء
يكمن الجحيم
دائماً ؟!
بلطة فى الأسنان
وبلطة فى الكتف
بلطة فى الوريد
وبلطة على الفم
بلطة فى القلب
وأخرى على الذاكرة
لمَ كل هذه البلط ؟!!
لقد ضقت ذرعا بكل شئ
الإنسان
والحيوان والنبات
الأرض

والسماء
والآن
ليس لدى ما أخسره تماما
لقد ماتت أمى فى حرب ٦٧
بطلقةٍ فى الرأس
ومات أبى وهو يعمل على شاحنةٍ
فى جبال كردستان
العراق
ولم يرسلوا لنا جثته
- وحسنا فعلوا -
ماذا نصنع بكل هذه الجثث
لقد تركوها فى العراء إلى أن تعفنت
ألم أقل
ليس لدى ما أخسره فى هذه الحياة
سوى الحياة ذاتها
الحياة النافقة
والحياة الهاذية
لا تسخروا منى يا أبناء القطط والكلاب
فحتى الآن لم يقل لى أحد
ما هى الفكرة الاساسية لكل هذا العالم
ولا هو الهدف النهائى
لكل هذا الوجود ؟
ولا ما هى الافكار التى كانت تدور فى رأس الله
وهو يصنع كل هذا الخراء
داخل مصنعه الواسع
الذى يسمى الإنسانية
هل سأظل أكتب الاشعار
حتى حمرة الشفق ؟!

سردية (٢)

فى الحياة التى منحنى الرب إياها
شاهدت الكثير والكثير
لم أكن أريد أن أشرب من هذه الكأس
ولكننى شربتْ
لم أكن أريد أن أنزل إلى هذه الشوارع
الجمة
الكثيفة
الملتوية
ولكننى نزلتْ
لقد كانت لى ذكريات
بعضها أسود
وبعضها الآخر أبيض
وبمرور الوقت
تحولت هذه الذكريات إلى أحلام رخوة وعجينة
بلا عجيزةٍ
أو فمْ
بلا بصيرةٍ
أو حتى ثديين
فى كل ليلة
بأناة
وصبر
أنزل إلى الشوارع الجمة الكثيفة الملتوية
لأرى
وأسمع
وأحسّ

ماذا صنع الله بكل هذه الأحلام
البعض ركلها بالأقدام
والبعض الآخر نصب لها
كمائن وحفر
البعض خلَّع لها أسنانها
والبعض الآخر ضربها على مؤخرتها
بالقباقيب
والجزم
البعض بصق فى وجهها
والبعض الآخر سخر منها
وبضراوةٍ
البعض استعمل هراوة ليهشها
من على الأفاريز
والسكك
والبعض الآخر استعمل مسدسات كاتمة للصوت
وسكاكين وبلط
لكى يقضى عليها
رغم أن هذه الاحلام
لم تكن تفعل أى شئ
سوى أن تبيض وتفقس فى الفراغ
أنا
لم أكن أريد الشرب من هذه الكأس
ولكننى شربت
من الآن فصاعدا
لن أدع أحلامى تصعد وتهبط
على الأرصفة أبداً

أو تقف على الطرقات لتتسول نظرة أجيرة من أحد
أو حتى كلمة واحدة
من كلب
لن أترك ورائى أى شئ أبدا يدل على
لتلتقطه أنوفكم القذرة
وقلوبكم التى يملأها الروث والضغينة
لن أترك سوى كتلة من العدم اللزج
المعجون بالندم
والخسارات
هذا العدم الذى أربيه كل يوم
تحت سقف بيتىْ
أقصد زنزانتى الكائنة هناك
- فى أعلى هذه البناية -
وسوف أغلق عليه بالأقفال
والمفاتيح
لئلا ينزل هو الآخر
إلى الشوارع المجاورة
فيصيبكم بالعدوى
وينتقل إلى الشجر
والحدائق
أحيانا
أشعر أن بى رغبة فى الصراخ لحد الألم
لمَ لا أصرخ فى وجه كل تلك الأرصفة المغرر بها
والشوارع المخدوعة
لمَ لا أصرخ فى مؤخرةِ كل هذه النوافذ

التى تضاء لمرة واحدة على الاقل فى اليوم والليلة
لمَ لا أصرخ فى كل هذه البيوت
والشبابيك
التى تُفتح وتُغلق
مثل مومسٍ
تنعظُ
لمَ لا أصرخ فى كل أولئك الكفرة والمجدفين
الذين يحجبون عنى الضوء
إلى الجحيم لكل هذه الدولة العصرية
التى تمتلئ بالسجون والمعتقلات
واللصوصِ
والخونةِ
بالقوادين والمخنثين وأصحاب الرياسات النّوَرَة
أحيانا
أشعر أن بى رغبة قوية فى أن أصير حجرا
الحجر مكنون فى ذاتهِ
هل أكون مكنوناً فى ذاتى
الحجر مكتف بذاته
هل أكون مكتفيا بذاتى
الحجر
لا يسأل عن الماهية
أو العرض
ولا ماهو الجوهر
أو ما هى الميتافيزيقا
والعدم ؟

أنا أسأل عن
الجوهر
والعَرَضْ
عن الموت
والموسيقى
عن الأحلام
والقطط !!
أحيانا
أشعر أننى جزء من مؤامرة كونية
فلا أعجب إلا بفردتىْ حذاء
لا أحس
ولا أشعر بالثقلْ
ولا أفكر فى كل رجال الدين أولئك
الكلاب
بعيونهم الفولاذية
ولحاهم التى تشبه مؤخرات الخنازير
وروث الخيل
انظر :
إلى أرجلهم التى تخب أمام حظائر الرب
فى خيلاءٍ
وزهو
كم هو جميل أن تكون بلا رغبات
أو حتى أحاسيس
مثلاً

أن لا يكون لك رغبة فى ممارسة الجنس
مع أى امرأة حتى ولو كانت مريم العذراءْ
مثلاً
أن لا يكون لك رغبة فى الأمل
أو الحلم
الرغبة تعنى الضغينة المسننة
أفقد الرغبة في القدرة على الفعل
واللا فعل
إذا كان الله موجودا حقا فلمَ لا يسمعنى
وأنا أبكى
أو أصرخ
وأموت كالكلبْ
أين كان نائما طيلة كل هذه السنوات
هل كان نائماً وراء أبواب كنيسته المعلقة
وماذا كان يعمل بالفعل
عندما كانت الدماء تسيل فى العالم
للرُّكب
ولا يرفُّ له جفن
أو يحرك ساكنا
عقلى لا يتوقف عن الدوران
مثل ساعة بزنبرك
وروحى حقل أشواك
وعقارب
وبلا زمن أيضا

ومن فرط التفكير فى اللا مفكر فيه
كثيرا ما انتابتنى هذه الرغبة القوية
فى البكاء
والضحك
فى نفس الوقت
أشخر شخرة قوية
بحجم السموات السبع
والأراضين السبع
ولا أجد لدى غير شيئى الصغير
الذى أخرجه للعالم وبلا مبالاة أيضا
أعطى ظهرى لأى شيء
ولكل شيء
ذات يوم قال لى أبى
ان الله موجود!!
فضحكتُ
وقلت حسنا يا أبى أن الله موجود
ماذا فعلت له أنا تلك الحشرة الضريرة
لكى يزرع تحت مخداتى كل هذه المقابر
وكل تلك الأحلام المرعبة
عن الملائكة الذين ينتظروننى هناك على بوابة الجحيمْ
بالهراوات والمدى !!
ومن يومها راح عقلى الصغير يعمل
بكل ما فيه من آلات
وتروس
هل حقا ان الله موجود ؟!!

وماذا كان يعمل خلف هذا الجبل طيلة كل هذه السنوات

هل كان يربى الخنازير

أم يعمل سائقاً للأظعان

هل كان يعمل كناسا لهذه الغيوم

أم يعمل حطابا فى كل تلك الخرائب

هل كان يعمل ميكانيكى سيارات خردة

لكى يصلح عجلة العالم المعطوبة

أم يدير بورصتة العمومية

لكى تشهر كافة البورصات

إفلاسها

ماذا يبيع فوق عربته المعطوبة هذه

هل يبيع مناديل الكلينكس

أم يتاجر بالصلبان المذهبة للأطفال

لقاء جنته الموعودة

المستحيلة

هل يعمل بائع سجائر سريِّح

أم تاجر قماش

وخردةٍ

ألم أقل

لم أكن أريد أن أشرب من هذه الكأس

ولكننى شربتْ

سنوات

وأنا أشغل نفسى بكل هذا السؤال

لمَ كانت كل هذه السموات البعيدة

وإلى هذا الحد

ولم تكن تحت قدمى لآسير عليها
وذلك بدلا من هذه الأرض
المملوءة بالمطبات
والدم
بذراعىّ هاتين
رحت أجمع الحطب
وأشعل النار تحت قبة السماء الواسعة لعلها تسمع
أو ترى
وها أنذا أغزل الأسى والدمع
فى سلة واحدة
فى الصيف كنت أنتظر الشتاء
وفى الشتاء كنت أنتظر الصيف
على أحر من الجمر
يالها من مأساة !
ومثل قطارات متعاكسة
أسير فى الاتجاة الخطأدائما
وفى الطرق المغطاة بالعظام
والدم
وها أنذا أنتظر الموت بأسى بالغ
وأقعد على الأرصفة المعادية
لأجمع فراشات الدمع
السوداء!



المثلث العظمة

فى المساء الأخير كان الرجل المقوس الظهر والذى تجاوز الرابعة بعد المائة
يجلس إلى رفاقه الثلاثة الذين اختارهم بعنايةٍ لرحلته السماوية الشاقة
ولم يشأ أن يقول لهم
أن العالم لا شئ !!
وأن المرئى واللامرئى ماهو إلا صورة من صور الحقيقة المتعددة الجوانب
والتى لا تخضع فى نهاية الأمر إلا لزاوية الرؤية مهما تعددت الأسباب
وأن الانعكاس الصحيح للأشياء ما هو إلا الصورةُ التى تحيط بالعالم
فإذا ما انعدم الزمان والمكان
لم يعد للعالم وجود بالأساس
فالضوء لا يكون ضوءا إلا لأنه يحمل بداخله الجوهر الحى للنور
وليست المرآة إلا اختراعا للواقع
وما يحل بالأشياء من حياةٍ وموتٍ ليس سوى لمحة عابرة من ذلك الوجود الممتد
واللامتناهى
كم من السنوات كانت هذه الأرض
وكم من السنوات سوف تبقى ؟
- كل شيء يحدث بواسطة الطبيعة والقدرة
وليس ثمة مكان خال من العناية تماماً
فالعناية هى العلة الحرة للصانع الأمهر
لكل هذا الكون
والقدر
الذى نحسبه مصادفة
وفوضى
خاضع للعناية بالضرورة
وإلى القدر تخضع كافة العوالم –
وعلى ذلك

انظروا أيها الرفاق !!
كم أن هذه النافذة مقدسة لأنها مفتوحةٌ على السماء
وأن هذا الفراغَ الذى يحاصرنا ويمتد من أعلى نقطة فى السماء
إلى أقصى نقطة فى باطن الأرض
مشغول دائما بالأرواحِ والأنفسِ
وليس ثمة خلاءٌ قط فى هذا الكون
الماء كالزيت والإناء شكل الماء
والذهب مثل الفحم مع تغير فى الصورة
وكل حيوان سيعود منقادا ببصيرته الداخلية
إلى محل إقامته الذى يناسبه
وما هذه الأرواح الترابية المتناسخة المتناسجة
إلا جزء من ذلك العالم العلوى الذى جوهره النور والظلمة
وما الزمن إلا ذلك الحجر من الذرات والضوء
فى حركة صيرورةٍ لا منفصلة ولا متصلة
والذى يمتد من الخالد إلى الفانى ومن الفانى إلى الخالد
وذلك دون أن يختلط الماء بالزيت
وإلى النور تخضع كافة العوالم
ودورة فدورة تأتى الأشياء وتذهب
إلى أن يمتلئ البحر بالزبد !!
كان ذلك الرجل الجالس على العتبة
والذى تجاوز الرابعة بعد المائة والمقوس الظهر
هو المثلث العظمة .



فى الطريق إلى مكة

فى الطريق إلى مكة كانت السيدة (ل.ط) تطلق طائرها بالليل
ليعود اليها فى آخر النهار محملا بالرمل والحصى
ولم تكن تعلم أن طائر الموت – ذلك العنيد الأخرس – من بين كل الطيور
الذى يرفرف بجناحيه الأبيضين كتعويذة خالدة
وإذ رأت أن الطريق إلى مكة جد طويلة وشاقة
وأن شمس الظهيرة المعلقة فى كبد السماء تعمل كيد حارقة
أو كطير حارس بجناحين من نار
ودخان
جلست إلى ظل نخلة ضاوية
وتذكرت السيدة مريم وهى فى نفس الموقف تماما
بينما تهز جذع النخلة فيساقط عليها رطبا جنيا
ولكنها – وفى وسط هذه الصحراوات الضارية – لم تشأ أن تفعل كذلك
حتى لا تجرب الرب إلهها الحى
غير أن صورة السيدة هاجر والطفل
هى التى طغت على المخيلة – فى النهاية – ودون أن يند عنها ولو صرخة واحدة
لطلب الماء
أو العون
فقط
راحت تتذكر الفجر بوميضه الفاتن الذى كان يتسلل إلى مخدعها
وهو يدسُّ يده تحت مخداتها المنداة بالعصافير
والأحلام
والقليل من الخبز الجاف
وحبات الشعير والتوت
فيما يدغدغ برفق الفجر نهديها الناشبتين

على صحن الصدر الرخامى المنسوج من غابات الكهرمان والضوء
وقبل أن تجرى فى عروقهما اللذة والألم
قالت :
من أى مكان ينبع ذلك النور الذى يشبه حباب الماء والجمر
وأين ترفرف تلك الحمامات التى لا أبصرها جيداً
ولكنها تطير هناك تحت جفنى
وما هى كل تلك الأصوات التى تأتينى كالوحى
والمزامير
وليس هناك من بشر أو حيوان فى ذلك القفر اللا إنسانى
ليس ثمة غير السراب الذى يتطاولُ تحت قدمىّ
ويحيط بى وأتعلق به كالقشة
فيما الطريق إلى مكة لا تزال جد طويلة وشاقة
وإذ أغفت تحت تلك النخلة الضاوية فى العراء الضحل
- ومثل راكب إتان أعزل -
راحت تحدق فى تلك الصحراوات التى تتراص إلى مالانهاية
والسموات التى تنتقش بالشهب والسحب
مثل ثوب مرصع باليواقيت والماس
فى انتظار أن يجيئها المخاض
إلى جذع النخلة
أو حتى تساقط عليها السماء كِثفا من الماء
لكى تبلل لسانها الجاف الذى كاد أن يتوقف تماما
من فرط ما أتلفه الظمأ
والنسيان !!



غابة الحليب والفحم

السنوات التى أنفقتها فى جمع الماء والكلأ
كانت كفيلة بصعودها إلى السماء السابعة
والولوج منها إلى الأرض
فى رحلة كان لها مايبررها من أجل اكتشاف قارةٍ من البلهارسيا
والحمى الروماتيزمية
وقبل أن يصيبها الوهن وفقدان الذاكرة
وتحلل الروح
وامتلاء الجسد بالقروح
والدود
إلا أن يديها المدربتين جيدا
على التقاط دودة الحقل والصمغ
يديها المشققتين كقارتين منفصلتين
لم تتركا لها فرصة واحدة
لتقول لرجلها فى الفراش فى ساعة الأورجازم
أن هناك زهرة برية
تنمو على حواف قلبها الملآن بالشقوق
والذى أثقلته الشيخوخة والمرض
ولم يكن ينبت على عينيها فى تلك الوحدة القاسية
ذلك الغصن من الريحان
الذى أخذت تجففه فى العراء الطلق
لتصنع لنفسها
فى ساعات الندم والضجر
كوباً من المودة الساخرة

لتبلل به ريقها الذى امتلأ بنباتات الفطر
والبكتريا
وإذ كان يغلبها البكاء والألم
من فرط الوحدة
وخشونة العظام
كانت تجلس أمام المسجد الكبير
لتتسول حسنة من يد الله
الأمر الذى جعلها تدور فى شوارع القرية
بشعرها المنكوش الأكرتْ وعينيها الحمراوين
- كنهرين صغيرين من الدم-
وكإحدى الجنيات
لتجلس تحت تلك الشمس القائظة
فى انتظار أن تفتح لها تلك السموات الراسخةُ
أبوابها المغلقة دائماً
لتبحث لنفسها عن مأوى آخر تقيم فيه
بدلا من تلك المفازة اللعينة التى كان يتعين عليها
أن تقطعها كل يوم
حتى تصل إلى غابةِ الحليبِ
والفحمْ.



بين يسوع المسيح والمعلم نيقوديموس

هذه الأرض التى تسقط من النافذة مثل تينة معطوبة
كيف يمكن ليديك الإثنتين أن ترمماها
سنواتك التى أنفقتها بين الحسك
والشوك
لا يمكن أن تصلح لاستئصال الشر من هذا العالم
ولا أن تبدد كل تلك الظلمة الغاوية التى تغطى وجه المسكونة
والآن
يا يسوعى الحبيب !!
وبعد أن تكللتَ بالدم
والشوك
أين هو ملكوت الرب الذى حدثتنا عنه مراراً وتكراراً
والذى كما قلت
سوف يأتى على ظهر أتان
هل أومن كى أعقل
أم أعقل كى أومن ؟!!
البعض قد يرى أن الحياة جميلة بما يكفى
والبعض الآخر قد يرى أن الحياة لا تساوى بصلة
إذ ذاك
أضع الشمس فى يمينى
والقمر فى يسارى
وأقف على رأس طاولة فى مقهى
وأعيد تخطيط العالم هكذا
النجوم فى ناحية
والمرأة فى الناحية الأخرى
الله فى ناحيةٍ

والشيطان فى الناحية الأخرى
السماء فى ناحيةٍ
والأرض فى ناحية أخرى
لا أفكر مطلقاً فى لعبة الجنة
أو النار هذه لعبته الخطرة المدوية
إذ أعتبرهما غير معقولين
ولا إنسانيتين
وفيما أنطلق فى السير وأغذ الخطى آناء الليل وأطراف النهار
فى تلك الصحراوات الرهيبة
والطرق الجهنمية
التى يمتلئ بها العالم
أضع كل هذه الأفكار فى سلة جانبية
وأغطيها بالتراب
والفحم
وأبدأ بالغناء فجأة
اسمع يا نيقوديموس !!
لقد تعملت الكثير من الحب
تعلمت أن أمسك الألم بأنيابى
وأن أصر الماء فى صرة
لقد صعدت إلى السماء ونزلت
لألف مرة قلت أصعد إلى هذه الوردة لأنام أنا والقمر
كصديقين فى سرير واحد
لألف شمس جمعت كل هذا الندى
كنت أصغى إلى الحصى والشوك
تحت وابل المطر

كنت أجمع الشّعر فى سلال من الشك
لم تكن هناك أغنية واحدة لأغنيها فى فراشى الذى يمتلئ
بالليل
لقد كانت هناك الحياة الضرورة
والحب الضرورة
والموت الضرورة
لقد مشيت فى السكك التى تمتلئ بالدموع
والدم
كنت أنا والألم
كصديقين
ِلقد تعملت الكثير من الحب
نيقوديموس !!
ملكوت الرب للذين يعاينونه
وليس لأولئك العميان الذين يلمسون الحياة بشفاههم
وفى التنور الهائل الكبير
سوف يتخبط الكل تحت تلك المطارق العملاقة
من الحديد والرصاص المنصهرْ
ولن يتغير وجه الأرض
التى قد تنطبق عليها السماء
فى النهاية
ويسقط الكل مثل ورقةْ !!



طحان الهواء

رجل يطحن الذاكرة
بلحيته التى تمتلئ بالفراشات
والظل
ومطحنته التى لا تتوقف عن العمل أبداً
ويركّب خيالاته
وأوهامه
على سقف دراجة بخارية
بسقالات
وهاهو ذا
يتنفس هواء الغرف المقبضة
بآلاته الخشبية
ونيرنجاناته
وبكرات خيطه التى يعلقها فى رقبته وينسجها فى الظلمة المدوية
بكرة إثر بكرة
- والمصوبة دائما بإزاء الفجر -
ربما
ليسدل عليها الستائر المذهبة التى اشتراها
من بائع عاديات قديم
وخردة
وليصنع لنفسه كوبا من الكحول
المخلوط بالنسيان
والشمع
وإذ يكتشف أن الشمس العالقة فى سقف الغرفة
لا تزال تغطّ فى النوم
تحت أغطيتها البردانة

يجلس وحيداً مثل وعل وأعمى
على أريكةٍ فضفاضةٍ من نعاس
وحجر
ليصنع لنفسه – كذلك –
شمساً أخرى
أقل قسوة حتى من الضوء الهالك نفسه
أو الرغبة فى ذاتها
بينما يجمع مساميره
وحصى أرضه
غاباته التى يحرسها بالليل والنهار
ليلقى بها فى سلة من المهملات
كتذكار أخير على رحلة فارغة
من رحلاته التى تنتهى أبداً
ولا يملك فى نهاية الأمر إلا أن يطحن الهواء
بأنابيقه المزدوجة
ولحيته الكثة الكثيفة التى تمتلئ بالفراشات
والظل !!



هيرودس انتيباس

هكذا

ورغم أن الملك هيرودوس انتيباس كان كريما مع عماله وبنائيه وخدمه على السواء

فقد رأى حلما واحدا متكررا

أن ملك اليهود القادم سوف يسلبه العرش وسوف يجلس بمفرده على قبة الملك

وأن السماء المرصعة بالنجوم والسحب

سوف تتحول في نهاية الأمر إلى بحيرة مليئة بالسمك والخبز

وحتى عندما كان الملك

هيردوس انتيباس يرقد على سريره الأخاذ والمصنوع من

خشب الماهجونى والمطرز باليواقيت والجواهر

كان ملك الموت يرفرف بجناحيه الأبيضين ويدور في سقف الغرفة مثل فراشة ضالة

ولما كان الأطباء والكهنة والعرافون يحيطون بالسرير من كل جانب ويتمشون في غرف القصر

كالعاهرات في انتظار لحظات الوداع الأخيرة

كان الجنود الرومان يدورون في شوارع الناصرة والجليل الأعلى وفى أزقة الرامة وأورشليم

بحثا عن ملك اليهود القادم والذي تنبأ به ميخا النبي

الأمر الذي أقلق هيرودس انتيباس كثيرا وجعل الفوضى تدب في جوانب القصر العتيد

في ذلك الوقت كان يوسف النجار يحمل زوجته الأثيرة لديه – عبر برية الجليل القاحلة –

بحثا عما يقتات به فيما الملاك الحارس الذي كان يتبعهما في كل خطوة يخطونها

يهمس في أذن مريم أنك تحملين ملك اليهود القادم

الأمر الذي جعلها تغلق عينيها طويلا وهى تحاول الهرب من هذه البرية القاحلة

والتي لا يتراءى فيها سوى العرق والسراب والعطش

غير أن حلما واحدا متكررا أخذ يطاردها باستمرار ولعدة ليال خلت

وهو كيف يمكن لامرأة يوسف النجار تلك التي لا تلبس غير جلباب أزرق من الكتان والخيش

وخفين باليين من الخوص وسعف النخل أن تحمل في بطنها ملك اليهود القادم

وهى التي لم تذهب إلى أورشليم لمرة واحدة

ولم تقدم في حياتها كبشا واحدا ذبيحة
وكل ما رأته كان أولئك الثلة من الجنود الرومان
وهم يدقون المسامير في الرسغين الأبيضين لوليدها الطفل
ويكللون الرأس بالشوك بينما الدم يسيل فى شوارع الناصرة حتى عتبة الباب
فيما الجمهور الغفير من المجذومين والعميان والبرص يشكلون جيشا هائلا
في انتظار لحظة الخلاص
من الرب ذاته



رحلة صيد السمك

أو

الفوضوي

رجــل البنـك

الفوضوي
رجل البنك
الذي يقبض على قططه في المساء
ويجلس إلى شموعه السوداء
ليأكل لحم امرأته في النهار
هل يزيف ميزانيته
أم يضحك على الهواء وهو يمر من خلال أنبوبة ماصة
على الجدران ؟!
رجل البنك الذي يضبط النقود
متلبسة
وهى تمارس البغاء في بئر السلم
وفى الليل يعلق ملابسها الداخلية على الشرفات
وفى أعلى نقطة فوق السطوح
والعمارات
وذلك بدلا من علم الدولة الرسمي
وبعد أن يفرغ من كل ذلك تماما
يجلس إلى عادياته
وموداته
ليقرأ نهج البلاغة للإمام على
وشرح بن أبى الحديد
ورأس المال لكارل ماركس والفتوحات المكية

ومقاتل الطالبيين وألف ليلة وليلة
ورجوع الشيخ إلى صباه
الخ ..الخ
وعندما يخيفه النعاس أو تأخذه سنة من النوم
لا يجد ما يفعله أو يعوِّل عليه
سوى أن يربط حذاءه
إلى رجل السرير
خشية أن يفقده في الصباح
وهو واقف على محطة الباص العمومية
في انتظار حافلة تقله إلى السماء السابعة !!
رجل البنك الفوضوي الذي يعرف أنه لا ينقصه الغرام
أو الميكروباص
لكي يؤسس لدورة رأس المال
وأثرها الحاسم في لعبة التاريخ
والجغرافيا
الفوضوي
ابن ماء السماء
الذي ينشر ميزانياته
ودفاتر حساباته على الأرصفة
والجدران
و فوق أسطح البيوت المتآكلة حتى لا تصيبها العتة
أو تأكلها الفئران
من فرط ما أعمل فيها مصباحه الذي يكاد زيته يضيء
ولو لم تمسسه النار
رجل البنك الفوضوي
الذي يولم لكتائب الغبار أمنياته

وملابساته التي لا تنتهي إلا عند حدود الرأسمالية المتوحشة
والأصولية الجديدة
وحروب الردة
وكتائب الرب المقدسة
وهى تدافع عن الإله الجديد
في إدارة الأصول
وتخلى الدولة عن دورها الحاسم
لصالح مجموع من الفئران الضالة
والكلاب المتوحشة التي تنام في مراحيض السلطة ليل نهار
فيما تبحث لنفسها عن موطئ قدم
تحت أحذية اليانكى
وأعلام البيت الأبيض
التي ترفرف دائما
على مؤخرة رؤساء العالم الثالث
وعملاء الـ CIA فيما العلوج الأمريكان يشعلون الحرائق المدوية
في قبة الإمام على
والأهواز
ومدينة الرشيد
ويستبدلون الكتاب المقدس
بوثيقة الدم
والفاصوليا
ما الذي يفعله الرجل البنك الفوضوي
سوى أن يجلس في ركن الغرفة ليعوى كالكلاب
والقطط
بينما العاهرة زوجته

تأخذ في تلوين فخذيها بالبطاطس واللفت
وكافة العملات الأجنبية
ثم تبدأ في التمرين اليومي على ضرب صورته التي تنام على أرضية الغرفة
ذات الرائحة الزنخة بالأحذية
والقباقيب لا لشيء
إلا لتتعلم كيف تمارس اليوجا
بعد أن فقدت الاتصال
الجنسي بالتاريخ
والجغرافيا
فيما تضع في سوتياناتها المزركشة
أوراق الدولار المزورة
وتمسح بها مراحيض السكك الحديدية
انتقاما من الحراس الجدد للهيكل
وعملاء الـ CIA
وجنرالات أمريكا المتوحشة
اللبؤة
رجل البنك الفوضوي
الذي يضع التعاليم المقدسة
للسيد لاو تسو في كفة
والأصول والخصوم في كفة
ويغلق عليها في الخزينة المسلحة بالمفاتيح
خشية أن يسرقها اللصوص مع العملات الورقية
ولا يفرج عنها إلا بقسيمة الصادر
والوارد
بانتظار أن يفتح جنته الموعودة
لرجال الأعمال

والشركات متعددة الجنسية
على أن يصدر مرسوما إلهيا في نهاية الأمر
بطرد الفقراء والمعوزين من جنته الموعودة هذه
رجل البنك
ذو العوينات
الذي يضع المونوكل على طرف أنفة لكي ينظر إلى العالم
من خلال ماضيه الذي أكلته الصدقات
والتبرعات
ولا يبصر إلا تلك المخلوقات الرثة التي تسير في الشوارع الجانبية
كالأوبئة والأرانب المجففة وهى تفتش في صناديق الزبالة
عن لقمة سائغة أو وجبة دسمة من وجبات أبناء الذوات
اللصوص الجدد للوطن
والخونة
الجواسيس
رجل البنك الفوضوي
الذي يسكر في المساء على طاولة من قش وخيانات
ويحلم بنساء جويا الأسطوريات المختنقات
بالشهوة
و الزنوجة
و لا يضع في ثلاجاته الأمريكية الأتوماتك
إلا صورة أرنستو جيفارا أو موتسي تونج
وهو مسجى على طاولة من خشب و حنانات فيما يبك الدم من رئتيه كالخناجرِ
وحول فتحتي الأنف الرصاصيتين
حتى لا تقلقه الكوابيس
ولا يتسنى له النوم إلا بعد أن يتناول كأسين من الفودكا الملوثة بالأرغفة الجائعة
وحليب الأمهات

فيما يعيد تخطيط العالم بحيث يجعل الأعالي أسافل !
لمَ لا يحبس رجل البنك الفوضوي
كافة كوابيسه التي تطارده على العشاء في قفص من الحديد والرخام
ويلقى بها تحت أرجل المارة
وينزل بالمايوه والسوتيان لكي يمارس رياضة
العدو والسباحة فوق بحيرة من الأحلام الكرتونية
التي قنصها من القيمة المضافة للعدالة
والديون المعدومة
وأصحاب العملات المضروبة
وتجار المخدرات
وكافة غاسلي الأموال على مستوى العالم
لكي لا يصاب بعسر في الهضم
أو التبول اللاإرادي أو حتى
تطاله النوستالجيا
رجل البنك الفوضوي
الذي يضع النهار – أخيرا – في سلة جانبية على مائدة القمار
ويمسك بسكينه القوية
ثم يقطع رقبته قطعة قطعة
ولا يترك سوى بيوضه التي تتعفن كقطعة خردة
أو يعلقها على عمود نور في وسط الشارع
حتى لا يعود ذلك النهار قادرا على المواجهة
أو الصراع الطبقي
ولا يشير إليه إلا بسبابته التي تتآكل كقاتل
ولص
وسوف يقلب الليل في أول مقلب زبالة يصادفه
الليل ذلك المجهول ذو العتمة والقبعات

الذي يتهدده دائما بالكوابيس
والسجن
فيما يترك لرغباته الورقية التي تظهر وبضراوة على مؤخرة كارل ماركس
ومارتن لوثر كنج
والسيدة مريم المجدلية
وسوف يضع آلاف الدولارات المزيفة كذلك
بين شفتي رائعة ليوناردو دافنشى – الجيوكاندا –
حتى لا تعود تغمز له بعينيها اللعوبتين كمحترفة دعارة رسمية
ولكي يضع تلك الابتسامة اللعينة تحت حذائه وليبصق على العالم من بين سرواله
وشرفة مؤخرته
لم لا يجرب رجل البنك الفوضوي
أن يضع آلة عد النقود أمام سلفادور دالي والكتاب المقدس
وأن يضع المكنسة الكهربائية فوق رأس هيجل
والقديس بولس الرسول
ولمَ لا يجرب أن يصنع من النهر قطعة فلين تطفو
على سطح الذاكرة
ولمَ لا يجفف تلك الزهور الإصطناعية
التي تنبت على المائدة إلى جواره
ويجعل منها شوارع وأبنية تصلح لإيواء القطط الضالة
وأبناء الكلاب
بكافة فيروساتهم الملوثة بفقر الدم
و الغرغرينا
لم لا يقول إن هذه الحياة صندل
وأن الليل عدة مقاه
على قارعة البيمارستانات

أو جورب بثمانية أزواج

وسروال

هل له أن يقلق نفسه أخيرا بكل تلك الأكاذيب الملونة

عن العدل

والحرية

وتدخل الله الحاسم في التاريخ

لم لا يقول لنفسه وهو يربط حذاءه

أنا – هو – أنا

وكما قال الرب لموسى وهو يناوله التوراة

أهيه الذي أهيه

لم لا يجرب رجل البنك الفوضوي كذلك

أن يصنع من الكرسي آنية للزهور

ولم لا يجفف الشمس التي تتسلل إليه من فرج البيوت

تحت مخداته

وفى الليل يقف على الأرصفة المبللة بالخيبة ليبعها كتاجر خردة

أو يجعل منها امرأة تتبول على الرصيف

الفوضوي رجل البنك

الذي يرى أن العالم لا شيء سوف يزرر ياقة قميصه بعنكبوتات ضخمة

وسلاحف

وينزل إلى أرض الشارع ليبشر بحضارة

الأنقاض

و التآكلات

رجل البنك

الفوضوي

الذي يقبض على قططه في المساء

ويأكل لحم امرأته في النهار

وعندما تحين ساعته سوف يهتف
يا لها من نهاية تعسة
لمسرحية لا تريد أن تنتهي
وربما يعدِّلُ من وضع العالم
ليضع الموت قدام الحياة
أو يصر الماء في صرة
وسوف يطلع إلى السماء السابعة في عربة من زجاج
وقش
وتجرها ثلاثة خيول
وحوذي أعمى
لا لشيء إلا ليزن الأرض عن بعد بقصبة من هواء
ويقيس المسافة ما بين المجرة والمجرة
بقلم رصاص
وعدة مكعبات من نشارة وفحم
ليكتشف في نهاية الأمر
أن السماء صندل
والليل جورب
بثمانية أرواح !!

مجلة نزوي /إبريل ٢٠١٠

إبرة من قش

هكذا كانوا يثرثرون عن الليل ذي النجوم والقبعات
عن الأنهار
وحروب الإسكندر الأكبر
عن المغول
والقوة الفعالة للأهرام
عن الديانات
ومخترعي الأسلحة الجرثومية
فيما كنت أتحدث إلى الهواء بلا مرئياته
وحيواناته
التي تقف صفا عالقا من الماس
والماعز الجبلي
الذي يقود في نهاية الأمر إلى الممر المعتم
وعبر كل تلك السلالم الواطئة التي تربط
السماء
والأرض
بإبرة من قش !!



اختراعات صباحية

أخترع وردة لأقول لها : صباح الخير
اخترع قمرا لينام إلى جواري على المائدة
أخترع نهرا لأشرب منه على مهل
أخترع سماء لأتجول فيها بحرية
أخترع أرضا لأسير عليها بمفردي
أخترع شمسا لأقول لها أنت شقيقتي
أخترع امرأة لأعشقها أمام عتبة السماء
أخترع نجمة لأكتب فوقها قصائدي
أخترع أغنية لينطق الحجر
ويؤلف بضع كونشرتات وحدائق
أخترع فجرا حتى لا تنطفئ بقية الكواكب
أخترع بحرا لأبحث فيه عن لؤلؤتي
أخترع نشيدا صباحيا
حتى لا يشيخ العالم



ساعات الألم الزرقاء

ومثل كافة المقابر القديمة
سوف نتكوم في زوايا النسيان الخالد
لا لننكش الريح بأصابعنا
التي ينز منها الدم
أو نكتب عن أمنياتنا التي تشبه الجذام والسل الرئوي
وإنما لنتعرف على الشمس
التي تشبه كرة من النحاس
والمغنيسيوم
وسوف نتعرف كذلك على الألم
من خلال كل تلك الخرائط السرية التي تركها الغزاة
أثناء تجوالهم الراسخ
فوق أجسادنا التي أصبحت جلودا دبقة لأحذيتهم العسكرية
وأرضا صلبة لممرات اعتقالهم
وسوف نتكوم في زوايا النسيان الخالد
لا لنكتب عن عجلاتنا الحربية التي صنعناها من عظام الموتى
وأغنيات الرعاة
وإنما لنكدس أسماء كل الطغاة الذين مروا
من فوق صحراواتنا التي بقيت كشاهدة أخيرة
على غرف التعذيب والدفن
ومقابر الموت الجماعي و الفردي
والأرغفة الممغنطة بالأسلاك الكهربائية
و المعجونة بالروث الجاف
وحبوب منع الحمل
وسوف نترك فوق وجه الفضاء الغويط

صورا شخصية لأيامنا
التي امتزجت بالرعب
والدم
الذي بقَّع سنواتنا المعجونة بخميرة الرب
ووصاياه الجمة
ليتسرب منها الخوف في نهاية الأمر
طريا
ولامعا
مثل شمس دبقة
على طاولاتنا التي امتلأت بالكوابيس
والمسامير
حتى لا تحرقنا ساعات الألم الزرقاء .



شجرتك الأسيرة

شجرتك العالية

حين يجلس الرب على مقعده العالي
وتخرج العصافير من ساحة الكاتدرائيات
كالشهداء
والقديسين
ولا يجد القساوسة شيئا يفعلونه
سوى أن ينشفوا أرديتهم الطويلة
ولحاهم الخشنة
بكلمات الرب المطاطة ووصاياه
سوف تقفين أنت
كتمثال من الرخام الحي
وبجوار شجرة الدفلى الناشفة
لكي تعيدى ترتيب العالم
بيديك الاثنتين اللتين ترممان حقائق التاريخ
والجغرافيا
بالعشاء الأخير
والمناولة
وتضعين الوردة التي بين شفتيك على مذبح الرب الرنان
فيما تتركين لعسل يديك أن يتكوم
على نفس الحديقة المجاورة لروحك تماما
أو على السلالم المتحركة لطبقات جسمك الحي
فيما تخرج الكلمات من بين شفتيك النيئتين
كالفراشات الملونة
والعصافير
التي تتسلق وبعفوية كاملة

غابة السموات الواسعة لروحك التي تخبئينها
في جيب بنطالك الخلفي
وتحت مخداتك المحشوة بالحكايات
والأساطير
فيما صدرك الذي يشبه غابة كاملة من الموسيقى
يرقد هناك في ذلك البعد الأسطوري ما بين رياضيات الجنس
والنغمة الأخيرة لشهوة الملائكة
المرحة
حيث تقف شجرتك الأسيرة في العراء الرنان
لا لشيء إلا لتسمع غناءك
الذي يشبه قطيفة من السموات والأرض أنت
أيتها الساكنة هناك في الجنات
الأصحاب يسمعون صوتك
وضجيج حركتك
وأنا
لا أسمع إلا صدى غاباتك التي تشتعل !!

تناقضات

لم تترك ليَ الحياة فرصةً واحدةً لالتقاط الأنفاس

الشجرة التي أظنها صديقتي

تكمن لي في نهاية الممر

مثل قاتل

ولص !!

القمر الذي أتطلع إليه من النافذة

يوقعني في المطبات والحفر

السموات الشاسعة التي أرغب في الوصول إليها

فوق دراجتي البخارية

لا أقطعها إلا في النوم

الوردة التي أعلقها على طرف سترتي

تتأهب للانقضاض على

وتكتم أنفاسي حتى النهايات

فيما هي جالسة – تتثاءب – على أحداق من حجر

وكمانات

النوارج التي أجلس عليها لأغنى بمفردي في الصيف

تدوس على أمعائي

وتقترح شكل شراييني

الربيع الذي أنتظره كل ليلة

لا يحمل في حقيبته سوى الندم

والكثير من الزهور السوداء

الطريق الذي أسير فيه – بمفردي -

كثيرا ما أكتشف في نهايته نفس الضغينة المسننة والجنون الرابض كحجر

القلم الذي أكتب به

يحدق طويلا إلى الكلمات التي أقوم بحراستها
وينظر إليّ شذرا
باعتبارها زوائد دودية ونتوءات
كثيرا
ما أشم رائحة المستنقعات في كل شيء
في الطعام الذي يرقد على المائدة مثل كلب ميت
في إشارات المرور التي يشتبك
على إطاراتها البلاستيكية
البعوض
و الدوسنتاريا
وكافة أمراض الحياة العصرية
الملفات التي أحملها كل يوم
لا تعرف شيئا عن الحداثة
أو ما بعد الحداثة
ومثل كافة القطط والكلاب لا تفعل أي
شيء سوى أن تهز ذيولها وتتثاءب –
ولا تزيد عن كونها شهادة ميلاد
على إفلاس العصر
ووثائق دامغة
على عبثية الفعل الإنساني
الفراشات التي تأتى إلى متنكرةً
وهاربة من الحقول
والغابات
لتحط على شرفة منزلي
هي بالتأكيد أرواح ضالة لموتى
يطالبون بالعدالة

وحرية المرور و الحركة
الهواء الذي أتنفسه حارق وينام تحت فروة الرأس
فيما يعمل فوق الجلد
كالإبر
والمسامير
الليل الذي يواريني عن الشوارع البعوضية
والأرصفة
ما هو إلا بضع خفافيش ترقد إلى جواري
على الفقاعات
والسكك
الزمن الذي أضعه في جيبي كالمشابك
كثيرا ما يتسول أمام منزلي طالبا الصدقات
ودورة مياه عمومية ليقضى فيها حاجته إلى التبول اللاإرادي
آه
ماذا أفعل أنا بأناى الزائفة هذه
وبكل هذه الفوضى التي تتكدس فوق سريري
وعلى طاولاتي
أنا كاتب النص الملتزم
و اللا ملتزم
في هذا العالم .



قشة يركلها المارة بالأقدام

مضيع أنا مثل قشة
ومدفون مثل بارجة في قاع بئر
أدخلُ في منافسةٍ حادةٍ مع القطط
والكلاب
لكي أثبت أن الله موجود
وأضحك من الأحلام التي تطاردني في السكك كالنقانق
وتمد لي أصابعها البردانة من النوافذ
بينما الحياة تمضى
في الشارع
بهدوء وبطء
والعالم يسير باطراد نحو الهاوية
على جانبي النافذة ثمة أشجار بلا أحلام أو كوابيس
ثمة أوراق تسقط زاخرة على الأرض
كانت تعج بالحياة
والضوء !!
هل كانت تفكر في الخلود أو عودة الروح أو الأمن الذي يمضي بلا نهايةٍ
أم أنها تمضى في طريقها المرسوم بعناية نحو العدم واللاشيء
وفى أي شيء أختلف أنا عن هذه الأوراق
أنا فكرة الله الفذة
وتحفته المعمارية التي تجلس على الرصيف المقابل
حتى لا يدهسها المارة بالأقدام



مشروع كتابة قصيده

سأحاول أن أكتب قصيدة جديدة
هاأنذا أمد يدي إلى الورقة
الورقة المنزوعة من الأشجار
البياض يهرب إلى الداخل
الداخل الأشد سوادا حتى من الحياة ذاتها
لماذا أجلس إلى هذه المنضدة بالذات
وكلما أردت أن أكتب قصيدة جديدة
ألهذا الأمر علاقة بالفلسفة الوضعية
والسلم الموسيقى
ألهذه الرغبة إحساس دفين بالعبث و اللا جدوى
ثمة جرائد
ومجلات
وصحف مبعثرة من الأمس
خرائب معقدة تمتد إلى ما لا نهاية
فناجين قهوة
وإحساسات
يدي لا تعرف ماذا تصنع بكل هذه الحروف والنقط
سوف ألتقطها بالملاقط وهى تعبر الرصيف
أو تتعطل عند إشارة مرور
عيناى زائغتان
وتنظران إلى اللا شيء
أعيد تخطيط العالم وأنا أنظر من النافذة بالضبط
أو جالس على طرف سريري
سريري الذي كل من الوطء
ومن مؤخرات المارة والمومساتِ

أضحك ببلاهة من لعبة الحياة الزائفة هذه
وربما أدلق شاحنة من الحبر فوق كل ما كتبت
أو سمعت
أو قرأت
لكي أمحو كل هذه النفايات عن رأسيْ
الآن
وأنا الكائن العابر والمنعزل
المحذوف من كل سجلات العالم الرسمية
و اللا رسمية
الغائب عن الأوسمة والنياشين
فى هذه الصباحية الرثة حيث أجلس وأتأمل
ربما مر هذا العالم من قبل
ربما حاول أحدهم كتابة مثل هذه القصيدة بالذات
ربما اخترع أحدهم شجرة
وأوقعها في حبه
ربما اجتث أحدهم نهرا ليحبسه فوق سطح بيته
سوف تمضى هذه اللحظات اللعينة وينبثق الوجود من جديد
الوجود العابر
الفاتن
الآني
و المتلاشي
آه
سوف أركن دراجتي الهوائية بجوار قصائدي
لأنام
واضعا ذراعي تحت رأسي
وصارا الألم في صرة

ومحدقا إلى الشمس الجارحة بنصف عين
لعلى أنسى مشروع هذه القصيدة
ولا يعود ينبثق من كتلة الروح
إلا طنطنة ذبابة كهر بائية!!



الموت بحد ذاته

الموت ذلك الحيوان الأسود الرابض بجوار زهرة الخشخاش
وقمر الجنيات الأسود
بأجنحته العنكبوتية
وأنيابه اللانهائية
سوف يقبض على الكل
فيما العتمة تجتاح العالم
ولا تترك ولو فرصة واحدة للحياة
الحياة الرائعة
المجنونة العاقلة
العميقة الغور
والقرار !!
لا تأت
لا تأت أيها الخفاش الأسود بأجنحتك العنكبوتية
وأنيابك اللانهائية
و أمهلني قليلا أيها الوغد
ريثما تجف سراويلي
فسوف أغلق باب حجرتي بالمفاتيح
وأطفئ كافة المصابيح
ولا أدع الهواء يتسلل حتى من الذاكرة نفسها
وربما تدخل من عقب الباب مثل كبش أملح
حينئذٍ...
سوف أنام بجوار أحلامي كالدببة المسنة
لكي أطرد – عنها - ذبابك الذي يطن
عبر الأشرعة
والنوافذ
أيها الموت
هل تموت ؟!

❁ ❁ ❁

وعوره

سأواصل كتابة الأشعار بدون رغبة أو ألم
بدون رغبة حتى من الرغبة ذاتها
وبدون ألم حتى من الأمل نفسه !!
أعرف أن الأشعار جميعها زائفة
والكلمات غبار على أحذية العالم
علام أعول أنا في هذه الحياة
أعلى كتابة الأشعار ؟!!
وماذا كان يفعل الحلاج و النفرى إذن
ماذا كانت تفعل سافو و هيراقليطس
وماذا كان يفعل أفلاطون بمدينته الفاضلة وهو يبحث عن المُثُل في الشوارع
و بارمنيدس
عن التاريخ ذي الأظافر
والانهيارات
ماذا عن الحروب والدم والمواسم
كل شيء سيختفي من هذا العالم
حتى الجمال والحب والميتافيزيقا
الميتافيزيقا التي لم تكن حلا لأي شيء
ثمة ميتا فيزيقيات كثيرة ومتعارضة
ميتافيزيقا الموسيقى
وميتافيزيقا الحجر
ميتافيزيقا الروح
وميتافيزيقا الجسد
كل شيء سيختفي

سيذهب إلى البحر
البحر الكبير الواسع
إلى نقطة الصفر
إلى أعلى نقطةٍ
في البنايةِ .



الحياة لم تكن سهلة أبدا

أذكر تلك الخراف التي كانت تأتيني في النوم
و أهشها عبر الذاكرة الخربة
أذكر الشمس الراقدة عبر الحقول والمستنقعات
أذكر صباحيات الندى
والنهار الرائق كالسلحفاة
أذكر وردة النحاس و القطن
والكثير من أحلام أبى
تلك الأحلام التي لم تكن تزيد عن رغيف محمص
و حصوة من الملح
ما الذي يجعلني – وفى عز البرد – أكتب عن أفلاطون
وأنا أحاول إصلاح
فردتي حذائي
ما الذي يجعلني أقرأ ديستويفسكى
وأنا أكثر من راسكولينكوف
واحد
وفيما أغط في النوم
على جدران مكتبتي ثمة فراشات لا مبالية لرسوم الأطفال
وأفلام كرتونية بجواميس تعبر النهر
وها أنذا أرسم الشهوة في بحيرة من الملح
وأحدق مليا إلى القمر من منظور أرنب
بطاطس ومقبلات
تلك وجبتي الصباحية
العالم معطوب وأنا أحاول إصلاحه
يا لها من فكرة خيالية

وها هم رجال القانون يغرقون في التفاصيل
من أجل صفقة البطاطس
واللفت
ويسنون القوانين بالمقشات
قانون لهندسة الوراثة
وقانون لهندسة البيئة
قانون لجباية الضرائب
وقانون آخر لاحتكار الهواء
والشمس
قانون لسرقة الوطن
وقانون أخر للإعدامات
الحياة لم تكن سهله أبدا
ما الذي يجعلني أفكر في العالم
وأنا لم أكن بالنسبة له أكثر من حصوة
فارغة
في قاع قارورة
بين محيطات بأنياب
وأسماك فك مفترس !!
آه
لا يوجد سوى أرقى الدائم من الميتافيزيقا
أيتها الحيوانات الراكدة
على حسكة الروح
هاهي الشمس تعلو على قصبة الأفق
والعالم لا يفكر إلا في مصنوعاته الجلدية
وأنا أفكر في العالم
وفى حتمية الحل النهائي للكرة الأرضية المعطوبة !!

❁ ❁ ❁

عفيفي أبو حجازي

(١)

في ليالي الصيف العتيقة
كان يمسك بأنواله
ومغازله
وتحت ضوء القمر المخنوق
و النجوم التي تميل إلى الزوال دائما
كان يترك لخرافه الضالة التي صنعها من الصلصال
والآجر
أن ترعى في صحن المسجد
وكان عندما يتذكر سنواته التي أنفقها
في جمع السيسبان
وحب الكافور
و الخروع
كان يسند ظهره الذي امتلأ بالبثور والدمامل إلى جميزة ناشفة
ويبدأ في تشييد مدنه و شوارعه التي يعلقها على الجدران
وشجر الأضاليا
و لا يجد لديه ما يفعله سوى أن يمسك بمذراته الخشبية
لكي يذرى بها تلك الساعات الهرمة
التي أنفقها في غسيل كوابيسه
و أوهامه
التي جففتها الشيخوخة
و نشفتها السنوات
وذلك

قبل أن يعود إلى أنواله ومغازله
وبكرات خيطه التي ينسج منها آلهته الورقية
وصلواته
التي يقدمها قربانا
إلى الموت الرنان

(٢)

أمام المسجد الكبير
كان يجلس الشيخ المسن عفيفي أبو حجازي
ولم يكن يترك لفراشاته الليلة أن تنام أو تهدأ
من قبل أن يعمدها بالتراب و الآجر
و فيما كان يجدل الهواء على سلم من كرتونٍ
و قش
كان يعرف أن الموت الحطاب سوف يمر في آخر الليل
راكبا حصانه الخشبي و حاملا في يديه الدفوف
والمزامير
وأن أطفال القرية أولئك الغواة الصغار
سوف يرجمونه بالبصل
و الطماطم
وهم يشيعونه حتى المقابر
بالأغنيات التي تبقع الهواء
والدمع !!
فيما كان الشيخ المسن عفيفي أبو حجازي
يعرف أن الحياة ما هي إلا لعبة ورقية
لا تلبث أن تزول
أو تنتهي

وسوف يخرج الممثلون الصغار
من الباب الخلفي للمسرح
وقبل أن يسدل الستار
ولا يتبقى من كلمات المؤلف
سوى كلمه واحدة
النهاية !!

(٣)

في عريشته التي بناها على شاطئ البحر
من الحكايات
و الأساطير
كان يحلو له و في آخر الليل دائما أن يجمع حواليه طيور الكراكى
و السمك الميت لا لشئ إلا ليصنع خرزه الملون
وأغنياته التي يرصع بها صدر السماء . . .
ويرصها هناك فوق الطوف البحري و ليصنع من كلماته التي ينحتها من الحجر
والآجرِّ
صلواته التي يقدمها إلى الماء
فيما كان يجلس إلى جوار أحلامه كالدببةِ الجائعةِ
و السحالي الصخابةِ
لكي يؤسس لوحدته التي تتعالى
مثل صرح من الرخام
والحصى
ولم يكن يفعل أي شئ
سوى أن ينام و ظهره إلى العراء الطلق
إلى أن تقلبه الشمس في الظهيرة كالكلاب الضالة و القطط الميتة
و تحت مخداته التي يحشوها بالطوب و القش

كان يخبئ النجوم التي قطفها من آنية السموات
والزبد المحروق
حتى إذا جاءه ملك الموت بمعاوله المحدبة
و آلات جره
لم يجد لديه ما يسرقه سوى خرزه الملون
و طيور الكراكى التي تحلق بعيدا في السماء الراسخة
و أغنياته التي يتركها هناك على العتبة !!

(٤)

حين تقدمت به السنوات أخذ ينفث بخاره الكثيف و يسعل كالقردة و النسانيس
وكان يجلس على مصطبة الدار
ليغنى أغنيته المرحة التي كان يغنيها أمام القبر دائمًا
وفى رحلة الوداع الأخيرة
أخذ يجمع بطاطينه
وحاجياته
و نوارسه البيضاء
و السوداء
وتوجه إلى مقبرة القرية لكي يفترش ظله
الذي سبقه هناك كي يموت
و مازال يتبعه مثل كلب
و هناك
وعلى الطريق الترابي المؤدى إلى المقبرة
كان ملك الموت يفترش الأرض
بألحفته
وسجاداته
ويقوده ببطء

إلى حيث العظام التي تتراص إلى ما لا نهاية
والجماجم التي تتكوم كالبنيان المرصوص ومخلفات حرب شرسة
فيما ظلت هناك وعلى باب المقبرة
جمجمة أخيرة
تحدق فيه بعينين رائبتين
وفم يملؤه التراب
والعناكب !!

(٥)

حين فاجأه الموت الرنان
وهو يجلس على عتبه الدار بجلبابه المتسخ بالزيوت والشحم
و عكاكيزه العمياء
كانت سنواته التي تلمع كالضغينة
ويعدها كالأرانب
تتراءى له من بعيد
مثل سفينة تمخر البحار و المحيطات
أو كعجلة معطوبة في نهاية الممر !!
و لما لم يكن يملك في نوبة الحراسة المصغرة هذه
سوى حجر من الفلين الذي يتركه على السطح
ليغوى به تلك السمكات التي تتراءى له في النوم
كالقطيفة
كان يجلس إلى حجر الرحى كأحد الثيران الجريحة
ليشد الزمن من قرنيه
الرخاميتين
بأصابعه التي يشبكها في صنارته الوحيدة
ويتركه هناك ليجف
مثل كيس من الدمع

وقبل أن يهوى فوق رأسه كالثعالب و حبات الأضاليا
وعندما كان يحدق في مرآته التي سرقها من الزمن
ويحملها في جيبه كالخرز و الإوز
كان لا يبصر إلا تلك السنوات الضريرة
التي ينشرها على حبل غسيل
و فوق سطح بيته الذي لا يلعب عليه سوى الفئران
و القطط
ما الذي يفعله الموت الرنان
بأغنياته التي يتركها هناك على الأرض
وسكاكينه
التي تجز رقبة الهواء ؟!



شهوة

في الخمسين
لم أبلغ قاع تلك الوردة
ولا ذروة هذا العالم
بيدين كليلتين
وقلب منجرح
سوف أقطف قمرا أبيض
وأقترب من شهوة الأرض
التي لا يعرف أنينها
سوى الجذر !!



القمر الأحمر

إلى محمد الطوبى

و محمد شكري

الليلة !!

سوف نقتفى أثر هذه النجمة أو تلك

وسوف نتوقف على حدود طنجة الواطئة الحارة

التي هجرها الأعراب و الطوافون من الطوارق و البدو الرحل

و صارت مدينة مفتوحة لبائعي السجائر المهربة و المخدرات

و سوف يمكنك كذلك و بعيدا عن نبرة الحزن هذه

ودون أن تفتش في أوراقك القديمة عن الأسبلة

و الأضرحة

و صرخات طارق بن زياد وهو يعبر المضيق ليصل إلى نهاية المحيط

بحثا عن الأندلس العتيقة

أن تتبع هذه الشمس إلى خط النهايات

تلك الشمس التي فرت من تحت عباءة الليل البردانة

كي تسند رأسها إلى حائط مقبرة كان يسكنها المهدي بن بركه

و لكي تكتب شعرا جميلا في محبوبتك فطوم

تلك المرأة التي أغوتك طويلا

و شغلتك بشعرها المحموم

و ثديها الزيتوني الذي يشبه خيط الحرير

و القز

و أعطيتها من سنوات عمرك القليلة

بعد أن وهبتها كل زيتونك و خبزك الحافي

و ما تركت لها على المائدة سوى حرائقك التي أخذت تشتعل في كل اتجاه

أنت أيها السيد الهرم المبجل

نم هانئا هادئا

فليس ثمة من أحلا م أو كوابيس يمكن لها أن تفي بحاجاتك الملحة
و طرائقك إلى الوجود إلا الشعر
أذكر
كيف صارحتها بجنوناتك وولعك في ليلة ما من ليالي الصيف العتيقة
ورحت تغنى لها أغنياتك التي تشبه حب الرمان ثم أخذت
تتبعها من بلد إلى بلد ومن مفازة إلى مفازة
تماما كما كنت تتبع الأثر ومثلما كان يفعل أسلافك القدامى من الرواقيين و البدو الرحل
و الأعراب
ودون أن تبلل رجليك في مياه الأطلسي أو الأبيض المتوسط
لكي تغتسل من ألم الحب
والشعر
في قارورة كنت خبأتها في طيات جلبابك الأسود
وتحت جدران سجن تازما مارت بعيدا عن رجال الدرك و حراس السلطة الأقوياء
الآن
وبعد أن هدأت العاصفة الترابية
دعنا نتجول على شواطئ الأبيض المتوسط
ودعنا لا نكتب مظلمة إلى الوالي بل نغنى أغنيتك الأخيرة إلى القمر الأحمر
ولا نتطلع إلى الهواء الذي يذخر بالأساطير
والفلسفات
دعنا نتوكأ على أحزاننا التي تشبه الدمامل وأعواد الحطب الجاف
و لا نبوح أبدا بكل تلك الصحراوات الشاسعة التي تفصل بيننا
ولا بكل تلك الهزائم التي تملأ العالم كالمخاط
وسوف نتوقف كذلك و لمرة أخيرة فقط تحت حائط قديم
لبيت كان يسكنه محمد شكري على أطراف طنجة الغادرة الميمونة
لنبنى نفقا في الأرض

أو طابقا آخر من الحكايات و الأساطير
لأطفال القنيطرة الذين ينتظرون القمر الأحمر لعبد الوهاب الدكالى
بشغف بالغ
ويأس غير محموم
حتى إذا ما جاءت الشمس في آخر الليل عريانة و صابئة
يمكن لك أن تخيطها تحت جلبابك المزركش بالأغنيات و الليالي
أو تخبئها في دورق من الزجاج المغربي المعشق
أو داخل غرفتك التي تشبه السجن و الخالية تماما من الأسرة و النوم
لكي تخلع عنها كل تلك السراويل المبلولة
و تعلق الزمن على نفس المشجب الذي كنت تعلق عليه عصافيرك و ذكرياتك
و قصائدك التي كنت تحفظها عن ظهر قلب
صديقي محمد الطوبى !
إنما هي فتنتك أيها الشاعر الجوال
الذي التقيته قبل عشرين عاما
و لم أكن أعرف أن الزمن بآلته الحدباء الجافة
سوف يكون له من القوة و الضراوة
ما يمكنه من أن يقرض أرواحنا التي أخذت تجف قطعة قطعة
تحت الموائد و الأرصفة
ودون أن يتوقف أو يتلكأ لمرة واحدة
ومهما أرسلنا نحن من ضراعة و شفاعات
إلى أن نختفي تماما من الوجود
ودون أن نخلف كذلك وراءنا سوى مجموعة من الدوائر المتشابكة
و المتقاطعة
على أرواحنا الميتة
وأجزائنا الحساسة

تلك الدوائر التي يتعين عليها أن تتلاشى
رويدا رويدا
مثل حجر يهبط
إلى المحيط !!



حرية العدم

في السنوات التي أصابتنا بالزوغان والعمى
كنا نتعلق مثل طير مصلوب فوق شجرة اليأس الرنان
وبأسناننا التي تنز بالألم و الخطأ
وكلماتنا التي تنزلق ناحية الإثم و البراءة
كنا نفتل حبالنا الصوتية الجافة لنتسلق عليها حتى نصل إلى أعلى نقطة
في الفضاء الغويط
و لكن المسافة التي كنا نقطعها في رحلة الصعود و الهبوط هذه
ما كان يمكن لها أن تفي بحاجاتنا الملحة
لاكتشاف قارة واحدة
من قاراتنا الغارقة
ولا كانت مبررا خالصا على وجودنا الإنساني الممض
في هذا العالم
و لم يكن ثمة من شاهد على صلواتنا المحروقة
و التي نقدمها لآلهتنا الورقية
سوى جوهرة الروح التي تنبثق من كل هذه المادة الغفل
والتي تسمى أحيانا بالعدم .



لعبة المصائر المتقاطعة

عندما تأخذك الشفقة قليلا على هذا النحو أو ذاك
عندما تدرك لأول وهلة أن الطرق الصحيحة و الصائبة للعالم
ما هي إلا نفس الطرق التي تفصلك عن المصير الإنساني
و لا تعود تشغلك فكرة الأمل و اليأس في شئ
أو يفصلك عن الهدف النهائي للوجود إلا بضع خطوات حذرة
الأمر الذي يجعلك تتردد كثيرا في المضي أبعد من ذلك
لأن هذا الطريق أو ذاك
سوف يقودك في النهاية إلى نفس المصائر المتقطعة ! !



مخزن الغبار

أريد أن أمد ذراعي لألتقط حجر السماء
أن أنام وعيناى مفتوحتان على هضبة الأفق
أن أحلم وأنا أقطف النجوم
وسلاسل السحب التي تتراكم فوق ذوائب الجبال والنخل
أن أضحك وأنا أطارد أسراب المذنبات
والنمل
أن أخرج من منزلي وأنا احمل فوق رأسي خمرا
أن أقف على ناصية الشارع وأنا أصرخ
صباح الخير
يا أبناء الأفاعي
هاأنذا أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه !!
أريد أن أنتقل من قارة إلى قارة
وكما ينتقل العبير من فأرة المسك إلى فأرة المسك
أريد أن أتسلق جبال الضوء الراسخة
كما يتسلق رجل بمفرده صواري السفن
وقيعان المحيطات
أريد أن أضع في يدي مشكاة
وأنا أتنقل من ظلمة إلى ظلمة
أريد أن أقبل جسد محبوبتى التي تغط في النوم
تحت شجرة سنط عارية
كما أقبل فراشة ضالة
أو يأتها المخاض إلى جذع النخل فتموت ضحكا
لا غرقا

أريد أن أضع نحلة من الجنون و النرجسات
بين نهديها التاريخيين
فأسمعها تشهق من فرط الرغبة
أو تصرخ من قسوة
الألم
أريد أن أنظر إلى سرة امرأة باذخة
بخشوع قياصرة
وحنانات قادة جيوش
كأنها أهراء غلال
وربيع بترسانات
أريد أن أتغطى بشراشفها الملونة عندما تتركني السماء
عاريا
ووحيدا
ضالا
وغارقا
على الرصيف
أريد أن أشرب من ضحكات امرأة محبوكة
فوق جسدي
بصولجاناتها التي ترنُّ في الفضاء الغويط
حتى تفسد قواعد اللغة
و تنهدم قواعد الجغرافيا وأسس التاريخ
ويظهر أثر البلاغة الجسدية حتى على الحجر نفسه
ويبدأ خلل في السيمفونيات
والموسيقى !!
أريد إلها بلا سماسرة
أو حتى مغفرة واحدة

أريد أرضا بلا أسلاك شائكة
أو حتى جوازات سفر
وطنا بحجم الهواء
والضوء
أريد دساتير بلا قانون عقوبات
أو سجون
أو معتقلات
بلا بذلات عسكرية
أو إشارات مرور
أريد قادة بلا خطط خمسيه
أو سباعية
أو حتى كولوخوزات
أريد سفنا شراعية تنقل الضوء إلى السماء
بدلا من صلواتنا الاصطناعية
التي تشبه المجاعات
والقمل
وأنابيب الروث الجاف
وصحراء الربع الخالي
وعلى صارياتها المقهقهة دائما ما يصفر الهواء في الليل
وترقص النوارس فى الفجر
و تضجُّ السماء بالضحك
في النهار !!
أريد أن أرى الله جهرة
لا من وراء حجاب

وهو يجلس معي على الأرصفة أو على كرسيه الذي يسع السموات والأرض
ويشاركني كسرات خبزي الجافة
وأحلامي المحروقة
وخوفي الممض من الجحيم ذاته
وزبانية العقاب هؤلاء
الذين تمتلئ بهم كتبه المقدسة
ويقفون على حافة السماء بالحراب المسننة
والمسامير
وآلات العقاب التي تقطر بالدم
لم لا تعزف السماء سيمفونية الرغبة
لم لا يخرج كل هؤلاء الموتى من قبورهم المبعثرة
ليقولوا لنا أي شيء
أي شيء
عن الجنة المنتظرة
والجحيم المنقعر !!
لم لا تسقط كل هذه النجوم في حجري
وتنام على طاولاتي
فيما أقدم لها المن
والسلوى
أريد أن ينام الله إلى جواري وعلى نفس المصعد الذي
يحملني من طابق إلى طابق
على مخدتي المصنوعة من الحصى
والشوك
ومثل كل أطفال اللعب الكهربائية
لكي يجرب مرارة الفقد لمرة واحدة
في حياته الطويلة الخرفة

بدلا من أن يزعجنا بكوابيسه التالفة
وهراواته الغليظة
ومنجنيقاته
إلى الظلام أيها العالم المتلاشي
إلى الظلمة الغاوية أيتها السموات والأرض
لم لا تسهر كل هذه الكلاب السعرانة
إلا على أرض روحي الجريحة
هل هذا هو الجحيم حقا
أنا طائر أسير
أبص من القفص الصدري الذي حبسوني فيه
فأرى الأنهار فارغة
والسحب جافة
والأقمار مفقوءة العينين
أرى الشموس كرات من الثلج
والدم
أرى الليل بحارا
وأعمى
أرى النهار ضريرا وفى يده عكاز
وعلى كتفيه تتسول الحضارات
ويبول التاريخ من مؤخرته
السحب أغنيات بثلاثة أرجل
ونصف فم
والكواكب حبات كركم
ونباتات فاصوليا
المجرات صهوات جواد ميت
ومنحنيات

الظل دموع من حجارة
وقواميس كهربائية
أبول بضجر و حميمية على الاقتصاد الكوني السريع
والقوات متعددة الجنسية
ونهاية التاريخ لفوكوياما التعيس
أنظر إلى القارات الخمس
لأعرف ماذا صنعت خارطة الطريق بكل هؤلاء
كتائب جنكيز خان
و هولاكو
صرخات طارق بن زياد الأخيرة
وأنف كليوباترا
كتائب الردة
وكتائب الرب المقدسة وغير المقدسة كذلك
أنا لا أعرف ماذا أصنع بكل أنبياء العهد القديم
هؤلاء
هل أكنسهم بالمكانس
أم أضعهم في غرف الغاز والفحم
وأطوح بهم إلى المستنقعات ؟!
القراصنة أخوتي
والمصلوبون فوق أعواد المشانق رفاق دربي
والمنسيون في الزنازين
وكتب التاريخ
وشواطئ الجغرافيا
كلهم كلهم أصدقائي المنسيون على طاولة مقهى
في حارة ضيقة
على ناصية الريح !!

في رأسي مستعمرات نائية

و بها أخاديد

أحلامي أعبئوها في علب كبريت نقالة

وأسرِّبها إلى اللا شئ

في مكوك فضائي خارج الزمن

لتقيم بمفردها هناك على حافة الثقوب السوداء

بلا ضغينة واحدة

أو حتى خيانات

من بين أوردتي ينبع نهر الكريستال العظيم

وأغاني الرعاة الفضفاضة

على طاولتي ينام الرخام والزمن – جنبا إلى جنب -

بحوافره الخشبية

وكافة دواليبه

وعرباته الخشبية المصكوكة بالأشباح

والديمقراطيات المخوخة

واللسانيات

والحروب العرقية

والورقية

وكافة الأنبياء الكذبة

وديكتاتورية الأعراب

ووكالات الأنباء

أجمع الشرق والغرب في قنينة واحدة

وأظل أشربهما من الصباح

وحتى المساء

ودون أن يرف لي جفن

وفى آخر الأمر أحقنهما بالأمصال و اللقاحات
اللقاحات الواقية من الإيدز
وإنفلونزا الطيور
من إنفلونزا الخنازير
وإنفلونزا البهائم
من إنفلونزا القطط
وإنفلونزا الكلاب
من إنفلونزا الحمير
وإنفلونزا الفئران
من الإنفلونزا الآسيوية
والإنفلونزا الإفريقية
من إنفلونزا سوء المناخ
وإنفلونزا برجى التجارة
من إنفلونزا ١١سبتمبر
وإنفلونزا طالبان
من إنفلونزا صدام حسين
وانفلونزا نورييجا
من انفلونزا ماركس
وانفلونزا آدم سميث
من إنفلونزا كاسترو وستالين
وانفلونزا ريجان
ومونيكا
من إنفلونزا بوش الآب
وبوش الآبن
وانفلونزا الروح القدس

من إنفلونزا الحاخامات
وانفلونزا القساوسة
من إنفلونزا الشيوخ
والفقهاء
وانفلونزا هتلر
من انفلونزا موسوليني
وانفلونزا اسبينوزا
انفلونزا هيجل
وانفلونزا بابا روما
من انفلونزا الحجاج بن يوسف الثقفى
وإنفلونزا الهولوكست
إلى آخر الاقتراحات الإنفلونزية التاريخية
إلى أن ينتهي العالم
على مؤخرة أمريكا العاهرة اللبؤة
قدماى في فمي
و روحي سوف أغرفها بالملاعق
والسكاكين
عيناى في حذائي
أنا طائر أسير
أبص من القفص الصدري الذي حبسوني فيه
فأرى العالم فأرة
بثلاثة نوافذ
وأربعة شبابيك
ماذا أفعل أنا بكل هذا الليل
أنا مربوط على بوابة الجحيم
بحبل من مسد !!

❁ ❁ ❁

لا مرئيات

(١)

لأن ثمة من يملك النظرة المفقودة للعالم
سوف تستمر هذه الحياة
لأن ثمة من يجدف في الفراغ الغويط
بذراع خالية من الرغبة
سوف يستمر الموت الرنان
لآن اللا أمل هو الأمل بحد ذاته
سوف يستمر العدم
لأن ثمة من يقف على الرصيف الخالي من المارة تماما والمقابل للسماء دائما
سوف يستمر صراخ كل هؤلاء الموتى
وحدها الحياة تعرف كيف تكون الحياة !!

(٢)

أطلب زهورا اصطناعية لكي أشم رائحة العالم
أطلب أطرافا ورقية لكى أواصل الحياة
المجرى الدائم للعالم
مجراي الزائف
الحقيقى
والواقعي
هوهو نفس المجرى الدائم لكل شيء
للأطباق والملاعق
للشوك والسكاكين
للأطفال
والمستنقعات
آه

امنحوني قليلا من الوقت أيها السادة لأراقب الحياة
من شرفة الحياة
قليلا من الوقت لأغنى أغنياتي البلاستيكية
والورقية على حد سواء
قليلا من الوقت لأتشارك مع العالم
العالم الأفقي
والعالم الرأسي
العالم اللاعالم
وبعيدا عن كل ذلك العالم الذي يبدأ من الكينونة
وينتهي على أرضية الشوارع
والحفر
كم من الأحلام سقطت تحت قدميّ
كم نجمة هوت تحت القناطر
أو انتحرت من فوق أعلى الكباري
كم قمرا أخفيته تحت المائدة أو في حقيبتي الجلدية
وأشعلت له الشموع في الليل
حتى لا يبكى من الوحدة
أو يتسلل عائدا إلى السماء
في سيارة واقية من الرصاص
أنا طائر يعبر المحيطات
ولا يقتفى سوى أثر الضوء على السكك
وفى كافة الخرائب الكونية
الوداع
الوداع !!
يا حيواتى الواقعية

واللاواقعية
على السواء
الوداع
الوداع !!
يا طيوري الماتزال على أهبة الاستعداد دائما

(٣)

أنا عدة آلات جر بألف ذراع اليكترونية
ومحاريث
مؤسسة بآلاف المكاتب
وأطفال الأنابيب
أريكةُ تنام عليها كافة النجوم
والمؤن
والذخائر الإنسانية
والحيوانية
على السواء
لمَ أشير إلى هذه الناحية من الجسر
لماذا أصفق دائما للقمر
وبالمناسبة هل هي عادة يومية
حين يطلع وعندما يغيب
الحياة رحلة مصرانية في عدة مدن في وقت واحد
مدينة في الرأس
ومدينة في القلب
مدينة في الدماغ
ومدينة في الأحلام
واللاشيء
أرعى هذه الزهور بمفردي

أطبطب على كفل كل هذه الكينونات بكياناتي
لا يشغلني الربيع في شيء
بقدر ما يشغلنى عمل هذه الآلات
للآلات أرواح
ومقابر صدقة كذلك
وبقدر مالها من شرايين وأوردة
يا لكل هذه الحياة الفاغرة الفم
مثل هاوية !!

(٤)

ابدأ من حيث أنت
اركل كل هذه الغرفة
السقالة ، العشبة ، الذاكرة لا فرق
لا فرق
لا فرق على الإطلاق في أن تكون أو لا تكون
لا شيء سيتغير في هذا العالم
بدءا من حروب الإبادة
وانتهاء بالمجاعات والرأسمالية المتوحشة
وبالمناسبة أين هو المسيح الآن ؟!
اصرخ فلن يسمعك أحد
ابك فلن تجد أحدا إلى جوارك
نفس الشاشة السينمائية المعطوبة
التي تعرض فلمين في وقت واحد
الحياة في جانب
والموت في الجانب الآخر
نفس الشاشة التي تعرض الحياة بقسوة
وبلا توجسات

إنه الموت المجاني
والحياة المجانية
في غرفة التعذيب الواسعة الكبيرة
والتي تسمى العالم
هاهي اللعبة ستستمر إلى ما لا نهاية
وأنت واقف على سقالة العالم الخربة
مثل ساعة بزنبرك
تضع يدك في جيبك
وتمسك بسلسلة مفاتيحك
وبالمناسبة
أي عالم هذا الذي تحكمه الصدفة
وتحرسه الكلاب المتوحشة
ادخل أيها الليل ادخل
فليس في الغرفة سواى
على الأقل !!
وأنت
أيتها الروح الكونية التي تشكل المحيط
أو تقيم بداخلي
الروح التي تعبر الشواطئ
وتتلكأ على الأرصفة
والجدران
وتقف هناك على ناحية الحارات المعتمة لليل
حيث الهواء الذي يتعرف على الهواء
ويريد أن يكون أكثر إنسانية من الهواء ذاته
حيث الحجر مركون إلى ذاته
ولا يفكر إلا في كينونته

حيث النجوم لا تلمع إلا عبر المجرات اللانهائية
والغرف الواسعة المتسخة
من العالم
أريد أن تكون خطواتي أكبر من نظرتي
أريد لهذا العالم أن يكون مضاعفا
و منضغطا
فأضعه في جيبي
وأغلق عليه باب حجرتي وأربطه بالسلاسل إلى طرف سريري
سريري الذي يشبه منطادا حيوانيا
أو بركانيا لا فرق
تبحر فيه الأحلام
والسكك
في الليل
وفى النهاية يهبط بعجلاته الحلزونية
إلى الأرض
وأنت
أيتها الأشجار
والأفرع
أيتها الشوارع والأزقة
أيتها الأحجار
والبنايات
أيتها الأنهار
والعناكب المسننة
أيتها الفراشات
والجنيات
يا إخوتي جميعا

ألمسكن جميعكن بحناني الصيفي
وتيارات هوائي
حيث يقيم النظر في النظرة
ويرتجف الوعي في الخلايا الكونية للعالم ولا تعود خلية تخاف من خلية
أريد أن أخرج عن ذاتي دائما
أن أشق عن روحي غطاءاتها العظمية المرئية
و اللامرئية
أن أخرج إلى حيث ينغمر الكل بالضوء
أو أفرد قلوعي للريح
وأسافر
إلى أين
لا أعرف !!
ولكن رغبة السفر دائما تحدوني
تقودني كخلد أعمى
وتفرطني على الأرصفة
والمحطات
وأنت
أيتها المراكب الشراعية السكرانة
يا مراكب روحي الحجرية
السائلة
إلى أين تبحرين وليس ثمة شيء
سوى الفوضى
الفوضى التي تلف الكون والأشياء بشريط أسود
وسلاسل جهنمية
فوراء كل بحر هناك بحر آخر علينا أن نخوض فيه
أو نقطعه

وخلف كل سفينة راسية
هناك سفينة أخرى غير راسية
أو متلكئة
وبعد كل محيط هناك محيط أخر
من نفس الدائرة أبدأ
وإلى نفس النقطة أنتهي
الخلاص !!
الخلاص !!
يا قطط روحي السوداء
يا آنيتي و أواني
يا زجاجاتي الفارغة
وأربطة عنقي
يا أحلامي المركونة على الرصيف
وتحت أرجل المارة
بلا فزاعات
أو نواطير حقل !!
من رأى منكم حلما عابرا
فليضربه بالسواطير
والجزم
وليلق به على بوابة الجحيم
الأحلام متاريس في الرأس
وقطط تتناسل بشراسة
في المخيلة
وطائرات ورقية لا تملك العودة إلى نفس النقطة أبدا
أنا الواقعي

و اللاواقعي
الغر
اليافع
الناهق
النافق
المراوغ الكسول
الأحمق
العارف
المنحرف
السكران
الطحان
الخباز
الوراق
العجان
والجوهري في الوقت ذاته
وأنتن أيتها الغابات الراسيات في الأرض
كالجبال
وتقفن هناك في آخر الأفق
أو المضيق لا فرق
أشارككن أحزانكن اليرقية
وأقف على بوابتكن معصوب العينين
وفى يدي هراواتي الفلكية
و منجنيقاتي
حتى تعود الفراشات إليكن
وهن محملات بالموسيقى
وأكياس الحنانات !!



جورج بهجوري

يدك التي تقبض على اللون

تعرف كيف تقبض على العالم في نفس الوقت

أنت

أيها الطائر الضليل الذي يعرف كيف ينتقل من متاهة

إلى متاهة

ومن غرفة فوق أسطح المنازل

تديرها امرأة شرموطة

إلى غرفة

في الموسيقى

أنت أيها الطائر الذي ينتقل من قارة

إلى قارة

كما تنتقل فراشة

إلى فراشة

كيف تلتقي أنت والسيد على جلجثة

وتحت عجلات بنوارج

هل تقلقك قشة

أم يزعجك الناموس ؟!

❁ ❁ ❁

ترقب

قلما
ترغب يدُ النهار العاشقة أن تفعل
وقلما تدوم تلك اللذة
بيدها الرنّانة سوف تنكش حجارة الأرضْ
هذه الزهرة
إيماءة لشجرةٍ على غصنٍ منكسرْ
سوف يطلع الفجر على سلالمِه العالية
ويتعالى الألق
الذى يُنتزع
ثمة رغبة لم يكن لها أبدًا
أن تعرف
غير أن عينين سوداوينِ
سوف ترتقبانْ!!



خسارات

خسارة فادحهْ
أن لا تحلم هذه الشجرهْ
خسارة فادحة أن تعمل هذه الروح
ككسارة أحجار
خسارة فادحهْ
أن يكتب قمر بيديه الاثنتينِ
على أعلى منحدرٍ
وعلى متسع من هاويتين
أنا حياةٌ محذوفهْ.
خسارة فادحه
أن تحدق فى الموت الرّنانْ
بينما العالم يبلل رجليه فى العدمْ
خسارة فادحه
أن تقود النهار إلى مراعيك اللانهائية
فيما ليلك الذى يشبه المستنقعات
ينام هادئًا إلى جوارك
خسارة فادحه
أن تضع يدك فى جيبك
وتتأمل القمر
وهو يضحك تحت جمجمة منخورة
لطفل أعمىْ
خسارة فادحه
أن تنام تحت زهرةٍ وحيده

بينما يحرق الربيع أزهاره على قارعة الطريق
خسارة فادحه
أن تفكر فى البحر
بينما السفن تغرق
ولا يتبقى لدى البحارةِ
إلا سمك القرش
وندم المرجانْ الأزرق
خسارة فادحهْ
أن تنبت كل هذه الأحلامْ
فوق آنيةٍ من بلاستيكْ
وأرض
من فحمْ
خسارة فادحه أن يكون كل هذا الليل
فوهة بثلاثة براكينْ
خسارة فادحه
أن تكون كل هذه الصلوات
للاشىء
خسارة فادحهْ
أن تكون أولا تكون.



أزهار فجريه

آه
من شمسك التى لا تتوقف إلا عند دائرة الظل
من خياناتك التى تشغل الليل
بحناناتٍ
وحصى
أهِ من روحك التى تصرخ
فوق جسميْ
مثل علقةٍ دامغةٍ
وأغنيات بفجرْ
اتركى لروحك أن تقول لا
فمك سوف يقول نعمْ
اتركى لجسدك أن يقول لا
ذهب صدرك سوف ينضج بين شفتى
وعلى مبعدةٍ من ألف صيف
اتركى لعينيك السهوليتينِ
أن ترانى ميتًا
أصابعك اللمّاعة سوف تبعثنى حيًا
قلبى ملىء بالمخاوف
والشك
وقلبك مطمئن إلى خطواتك التى تتوقع
وتحدس!!
شَعْرك ملىء بالتصورات والرؤى
بينما فمك يصنع المستقبلْ
ويؤرخ لكواكب اللذة
أيتها السيدة

لكم أحب ذهب يديك المضاعف
وأزهار فجرك
الرائجةُ!!



رمل متحرك

من خلالِ الحبّ
يتحد السلام بالمعرفة
والإرادة
بالرغبة
أيها الندى
لا تستسلم كثيرًا لرغبة الشمس
فكل هذه الأنهار
سوف تذهب أخيرًا إلى البحر
الرغبة اللانهائية للعشب
لا تختلف كثيرًا عن الرغبة اللانهائية
للضوء!
المجد
والثروة
عَرَض زائل ولا تخصّ أى شىء
أو تخضع لأى شىء
كل الأمور واحدة
فقط
هنالك الكل الذى يضبط العالم
مثل قائد لأوركسترا الزمنْ
بيده العليمة تنبسط السماء على الأرضْ
وتنطلق الروح فى الجسدْ
تماماً
مثلما يولج النهارَ فى الليل ويولج الليل فى النهار
البدنُ
فى البدنِ

والجسدُ فى الجسدِ
والعين فى العين
تلك
حكمة الحياة اللمَّاعة!!
ثمة نهارات غائمة
وأخرى مستفيضة
وصائفة
ثمة أرض منبسطة وتعجّ بالضوارى
وأخرى واطئة
ولا تعرف أى شىء عن حكمة الحياة والموت
من ذا الذى يوحد الروح فى الجسدْ
ويجعل الزمن يمتدّ إلى ما لا نهايةٍ
الفناء الذى يطرق العالم ويكومه مثل كومةٍ
من الأنقاض
والتناقضات
سوف يطوقك فى النهايةِ كذلك
وسوف يتبعك الزمن
ببلطته القوية
وقوسه الأخرق
الذى لا ينحرف أبدًا
من خلال الحبّ يتحدّ السلام بالمعرفةِ
والرغبة بالإرادةِ
فالهوة الفاغرة الفم
سوف تبتلع كل شىء
حتى المستقبل كذلك

ذلك القط الأعمى الذى يلوح من بعيدٍ
نقطة الدائرة
هى الدائرة نفسها
فى الحقيقة.



منعرج الكثافة اللا إنسانية

الهواء الذى يترجرجُ فى سُنن الليل
ليس أقل قليلاً
من ذلك الهواء الذى يسكن فى أعلى البرج
وفوق أسطح البيوتِ
والطرق الرطبة للكوابيس
ليس ثمة ما نفعله طيلة الزمنْ
سوى أن نراقب الليل
وهو يتسلل من فُرَجِ النهار
مثل فراشة ضالة
ونراقب النهار
وهو يكنس بيديه المعروقتينِ
تلك الحيوانات
المتفحمة
التى تركها الموت
على بقع الذاكرة المهدمة
والطرق المتربة
لكافة المستنقعاتْ!!
إلى أين تقودنا هذه الطرق اللا نهائية
للهواء؟!
هنا
وعلى بعد خطوتين
اثنتين
من منعرج الكثافة اللا إنسانيةِ
للعالم

سوف نعبر على كافة التصورات اللزجة
لأشجار السماء المحترقه
وسوف نواصل الغناء
بعين منجرحةٍ
على حجارة الشوارع الرطبة
للأمس
يالهذا الزمنْ
الذى يقف مصلوبًا
وأعمى
على هواء الأشجار العالية للرغبه
فيما يفكر بأناةٍ
وعمقٍ
فى كراسات اللا معنى!!



غيمة سانشوبانزا

فى ظلى تسكن حمامة فارهةْ
على بابى تقف شجرة بأربع نوافذ وثلاث أساطير
هذه الريح التى تأتى من الغرب دائمًا
تعرف كيف تتوقف على قبعة جنرال ميت
وربما تلوح للعابرين
بتحيات مريرةٍ
وبضع دونكيشوتات قدامىْ
ما الذى تفعل هذه الغيمة المحملة
بالاسطقسات
والزمن
وذلك عبر الأحلام الكرتونية لكناسى الشوارع
ومصابيح الليل المغلقة
ما الذى يفعله ملك الذباب البستونىْ
سوى أن يجلس تحت حبل غسيلٍ
لامرأةٍ عجوز
تترك طيورها الليلية العمياء لترعى الهواء
والظلّ
ما الذى يجعل السماء تتفكّك
فى عز الظهيرة العدوةِ
وهى تخلع سراويلها الداخلية المندّاة
لتترك لنجمةِ الفجرِ الضالةِ
حيواتها الراسخة
وحيواناتها المفخخةِ!!
دعينى
أيتها الكلاب العدوة

التى لا تنهش إلا نجمة الصبح العميانة
لكى أحلّ ضيفًا
على الشوارع الممغنطة بالحروب والدم
والتى أخبئوها فى جيب بنطالى الأيسر
وأنتِ
أيتها العجلة المكفهرة
يا عجلة الحظ
العمياء
لمَ لا تتوقف عجلاتك الخشبيةِ
إلا على قوائم الأسفلت
المعجون بأمعاء المارةِ
وعرق الآجرّ.



منجم الرغبات الطليقه

يبدو أن شيئًا ما لن يحدث طيلة هذا النهارْ
القدمان اللتان مشيت بهما ناحية الكركم والليلْ
الفجر الذى يندس وبطراوةٍ
تحت لسانىْ
الليلْ
هذا الليل الذى استطاع أن يحتفظ بضراوةِ
الجذر
وكائنات الأنقاض
مع الضحكة الخائخة التى تقبع فى زوايا الذاكرةِ
الخربةِ للنسيان
اليدانِ
اللتان عملتا وبقسوةٍ
على اكتشاف المناطق الأكثر نأيًا لحفائر الرغبة
فوق جسمى
وهما تتحسسان بعنايةٍ
ورغبةٍ
جزائر الماس
ومناجم اللازورد
المشربةِ بالحمرة
كل ذلك
فيما جسمك ينتصب عاليًا تحت قبة الفجر
الذى لا يندثرُ
لملاكٍ يخرج عن الطاولةِ دائمًا
أو كحارسٍ لغابةٍ من الآجر
أمسِ

كان يتعين علىّ أن أرقد تحت ستائر الرغبة
العالية
لحكايةٍ أجيرةٍ
ربما
بلا أيقونات
أو حتى مصابيحْ
وها نحن نتحسس الشمس
التى خرجت لأول مرةٍ من تحت غابة النسيانِ
الكثيفةِ
فيما ترقدين- أنتِ- إلى جوارى عريانةً
وكقطٍ أرقط
لتتذكرى
كل تلك الينابيع
التى تتفجر تحت قنطرة الجسدِ
وشهوات المنجم الملحى
للرغبة!!
نعم
سوف أزيحُ ستائر الزمن الصلبة هذه
من تحت وطأة معاولكِ
وفيضانات
رغبتك
وبيدى هاتين سوف أغرس وردة حمراء
فوق حليبك الذى أخذ يتفرع إلى شمس
وأرخبيلات!!



نسيان أكيد

لنترك لرغباتنا الحارّة

شكل أسنانها التى تلتهبْ

تحت ظهيرة مغبرةٍ

لشمسٍ

واطئةٍ!!

لنترك لصلواتنا الشائخة

كل تلك النضارة التى تُنتزع من صلابةِ

القشرة

الداخليةِ

للأملْ

بجرَّافاته الكبيرة سوف يتوقف النهار ذو الأيد

على نقا الجسد الكامل

للعالم!!

نسيان أكيد

يعرف كيف يمسح عن العين

تلك الدمعة اللمَّاعة

لكل خطأ الروحْ

وكل ذلك العجز الفادح للجسد

هناك

وأمام كل تلك السفن المحملة بالأسرى

وعبر أنفاق الزمن

اللا مرئية

سوف نتوقف أخيرًا

أمام بوابة السموات التى تعملُ

وبلا حارس واحدٍ

ليسهر على نسياننا الأكيدِ
وبعيدًا
عن كل تلك الجاذبية الخانقة
للذكرى!!



مستنقع الرخام

فى النهارات الباردهْ
كثيرًا ما يلملمُ الليل عباءاته الفضية
وينام تحت سريرى
الذى يشبه الخرائط السرية للزمنْ
ليستمتع بأساطيره
وأغنياته
تلك الأغنياتْ
التى ينسجها العالم بيديه الرخاميتينِ
فوق طاولةٍ من قش
ونعاس
الآن
ماذا تفعل الريحُ سوى أن تتمشى على الجانب
الأكثر بطئًاً من الرغبهْ
ماذا يفعل كل أولئك الغرقى فوق هذه السفن
سوى أن يتركوا أحلامهم
وصرخاتهم
التى تشبه الملح الجافّ فوق مدار الجاذبيةِ
لا يمكن لكل هذه الأرض
أن تنام تحت سقيفة العتمة
إلا وفى جيبها قمر ضريرْ
أيها القمرُ الأخضرُ
ألم يكن لك أن تجلس على الناحية الأخرى من الجسر
لتتأمل الفضاء
بعين منجرحةٍ؟!

❁ ❁ ❁

تكاثر

الفراغ الذى يتوقف على الجدرانْ
الزمن الذى يتكاثر على مخدات النومْ وأحواضِ الغسيل
لينهش حويصلة العدم
العنكبوتات الضخمة
التى تعبث بأرجلها الهائلة
فوق أنشوطات الأسىْ
والندمْ
لا شىء
لا شىء يشبه تلك اليرقة السامة
التى تتكور بأفعوانيةٍ
على الحركة الأسطوانية للزمنْ
أية
آلهة تلك التى تتكسر بمنحوتاتها الرثة
وأغانيها
التى تشبه الروث الجاف
على الطبلة الإردوازية للأفق
كمن يعلك رئتيه
بأصابعه
وأنيابه
هذا العدم الذى يبيض ويفقس على صنارة الريح
ماذا يفعل كل قارعى الطبول هؤلاء
فى هذه التراجيديا اللا إنسانيةِ
للعدم
أنا بحار وأعمى!!



قانون الجاذبية

حياتنا هذه
تلك التى تقع بين المرئىّ واللا مرئى
بستان شائخ
لصيدلانى لا يتقن حرفته
ولا يعرف الرحمة أبدا
ما إن تقع ويبطء هذه التفاحة الأزلية
من أعلى الشجرة
إلى الأرضْ
إلا وينقطع ذلك الخيط الرفيع
الذى يربط مركز الثقل الكونى
بذلك البستانى
النائم
تحت قبة مغفرته؟!



دوال

الصاعدُ نفس الهابط
والهابط عين الصاعد
نفس القفل
الذى يغلق الباب يفتحه
الظل شريعة النورْ
والنور جوهر الظل وحركته
صورة الحجر تكمن فى الحجر ذاتهِ
كما تكمن صورة الماء
فى الماء
اليد التى تمسك بالهواء
تفيض على الفكرة
والعين التى تبصر المادة
تتعثر فى حقيقة العدمْ
أى فكرةٍ هذه
تلك التى تُخضِع العالم
للتماثل!!



الكلمات

الكلمات
تلك الوطاويط التى تطاردنى
فى آخر الليل
بعينين زائغتين
وفمٍ أدردْ
- ما إن يهدأ الظلام
وتخف الحركةُ
حتى يقف السكون على قدميه
الخشبيتينِ
مثل لاعب ضريرٍ
لسيرك متنقل
وها هى الكلمات المدججة بالأفكار
الضحلة
والأغنيات الجمة
تدخل غرفتى مثل طائر الحجلِ
رافعةً رأسها
العنفوانى
بقبعاتها السوداء تارة
وقبعاتها الحمراء تارة أخرى
- القبعات السوداءْ
تشبه السجنْ
والقبعات الحمراءْ
علامة على الندمْ-
أيتها الكلماتْ

أخرجى من غرفى الضيقة المعزولة
ورفرفى بعيدًا عنى
أريد أن أنام
بلا كلمة واحدة عن الفجر الأجيرْ
فى حراسة العنكبوت الأعزل!!
آه
من تلك الكلمات التى تنزو
على ثياب اللغةِ
ببقعٍ
من ملاطٍ
وأرجوان.



جنكيز خان

الممالك التى من هواءٍ وقش
الأبنية العتيقة
والسجلات العسكرية
معسكرات الجند
ورواتب الحاشيةِ
النساء اللواتى نمنَ فى فراشى لليلةٍ
أو ليلتينِ
النياشين المعلقة على الجدران
والحوائطِ
مثل ذكريات مالحة
لجماجم الجند
وحراس البواباتْ
البلاد التى دخلتها ألف مرةٍ
مثل دورات المياه
وما تركت على طرف حذائى
ولا ذرة واحدة من الغبارْ
السفن المحملة بالغلالِ
والأسرى
كتب التاريخ والجغرافيا
التى أعبئها فى أجولة الخيش
والملح
العربات المكتظة بالتيجانِ
والعروش
- والتى تجرها البغال
والحمير

عبر آلاف الأميال لتباع كمخلفات
لجيوشى المنتصرة!!
المدن المطوية
والمدن المغلوبة
المدن الآسرة
والمدن المأسورة
هذه الإمبراطوريات التى لا تغرب عنها الشمس أبدًا
والتى ما استسلمت لقياصرةٍ قط
أو فاتحين سواى
ها هى الآن قد استسلمت لجنودى
وقّواد جندى
بلا حربةٍ واحدةٍ
أو صهيلٍ لفرس!!
السقوط المدوى للتماثيل العملاقة
والآلهة ذات السطوة والرنين
آلاف الجند الذين يتناثرون
عبر الفيافى
والصحراوات المترامية الأطرافْ
كوليمةٍ زاخرةٍ
للحيّاتِ
والعقبان
كل هذه الممالك التى فتحتها
من هواءٍ
وقش
يالعبث العالم

والتاريخ

اللعنة!!

فليذهب إلى الجحيم كل هذا المجد.



كبير الآلهة

فى تلك السنواتْ
كان يجلس كبير الآلهة على الأبسطة الصوفية
المحشوة بالضحكات
والقش
فيما كانوا- أى الآلهة- يتحدثون فيما بينهم برغبةٍ قويةٍ وخشيةٍ
عن انحلالِ الأجرام السماويةِ
والاحتباس الحرارى
وتفكّك قانون الجاذبية
والتشقق المفاجئ الذى أخذ يعترى
الجهة الشمالية لنظام المجموعة الشمسية
مما قد يجلب معه انهيار الكون
بأكمله
وفيما
كان يجلس كبير الآلهة
ممددًا رجليه
فى وجه بقية الآلهةِ
ونافثًا بخارَهُ الكثيف كتعويذة خالدةٍ
وفى لحظةٍ من الضغينة المناوئة
والطيش
اقترح جلالته بإبادة كافة المخلوقات البشرية
- تلك الحشرات السامة-
التى لا تكف أبدًا عن الصراخ
والجلبةِ

حتى يتمكن كافة الآلهة المبجلين من التفكير العميق
وتدبير شئون بقية العوالم
والتى هى أولى بالرعايةِ
من كل تلك المسوخ التى لا تكف أبدًا
عن الصراخ
والقتل
بينما اقترح ثالث
أن تتحول كافة الأنهار إلى دم
وصديد
حتى يهلك الحرث والنسل
وذلك الكائن القردى اللعين
والذى كان خطأً فادحًا
من الآلهة آنذاك
وإذ
كان النقاش محتدمًا إلى هذا الحدّ
استأذن كبير الآلهة
فى أن يذهب إلى دورة المياه العموميةِ
- التى تسمى الأرض-
لكى يقضى حاجته فى الخلاء الرحب
فيما كان باقى الآلهة يباركون ربّ الأربابْ
على فعلته التى صفقوا لها طويلاً
وعدّوها من بدائع صنعه!!



ساحة القديس بطرس الرسول

المرأة التى قد توقد الشموع كل ليلةٍ
فى ساحة القديس بطرس الرسولْ
من أجل أن يكون الرّب رحيمًا بها فى ساعة النزع الأخيرةِ
والتى اختفت من الكتب والتواريخ
وزوايا الأرصفة
والمعابد القديمة
وأصبحت تطوف فى الذاكرةِ بلباس النسيان
والجزع
تعرف جيدًا
أن رائحة يديها النيئتين
تشبه عرقَ شجرة الكستناء الوحيدة
التى تقف صامدة فى وجه الريحْ
وذلك رغم مرور أربع حروب داميةٍ
وعدة شتاءات لم تترك سوى
أغنيةٍ بائسةٍ لأرغن قديم
فى فناء الكنيسة
المعلقة
ولأنها تعرف الرب جيدًا
ولا تطمئن مطلقًا إلى خططه
وألاعيبه
ولا إلى ملائكته الذين يحملون فى أيديهم
البلط
والسكاكين
من أجل كافة الخطاة والمجدفين

فقد اختارت فى ساعات الندم
والحسرةِ
أن تركع على ركبتيها الإردوازيتين
وكفلها التفاحي
أمام تمثال من الرخام الأبيض
للسيدة مريم العذراءْ
كاشفةً
للتمثالِ عن كل تلك الدموع
التى تنفجر وبضراوةٍ بين الأوردةِ
والشرايين
وعاهدت السيد يسوع المسيح نفسه
على أن تهب حياتها كلها له
ودون أدنى ذرة- واحدةٍ- من ندمٍ
أو شك
وذلك قبل أن تأخذ الحرب الأخيرة حبيبها
الذى لم تعد تعرف عنه أى شيء
ولما
لم يكن يخامرها أدنى شك
فى أنه سوف يعود ذات يوم
مكللاً بالغار
والمجد
فقد ربطت على قلبها بكلماته الأخيرةِ
وأغنياته التى صاغها فى ساعة الوداع
ودون أن تنبس ولو بكلمة واحدة
سوى تلك الدموع البليغةِ
بطعم الألمْ

والدمْ
والكلمات التى تنحبس فى الحلقِ
كالشوك
ورغم ذلك
فقد أخذت تطلق طيورها الليلية
الأسيرة
فى كافة الأرجاء
فى انتظار أن تعود تلك الطيور
وفى منقارها الأخضر
غصن زيتونٍ
جافٍ
أو حتى تخبرها بكلمة واحدةٍ عن رجلها المحاربِ
وإذ اشتاقت في ليلةٍ من ليالي الشتاء الطويل
إلى دفء أنفاسه
وعمل يديه الحانيتين
وإلى حليب جسده الساخن
فقد ظلت واقفة أمام المذبحِ
لعشر ليالٍ
كاملة
ودون أن يتسللَ إلى قلبها الوهن
أو تنخر فى روحها الوساوس
وظلت تردّد
وبلا انقطاع
أين أنت أيها الحبيبْ
يا من اصطفيتك كلك لنفسى

كلماتك التى تركتها تحت لسانىْ
مثل بضع زيتونات جافةٍ
وعلى شفتى مثل حبة شمس
تعويذتى الخالدة
من السأمِ
واليأس
أيها الحبيب النائم تحت جلدى!
فى الليالى الحالكة مثل حَسَكةٍ
رأيتك بعين قلبى
وأسكنتك بمفردك
فى منازل الروح
العاليةِ
وفى ليالى الحصاد والصيف
أطلقت عليك نسائم محبتىْ
وأدخلتك
مثل فراشةٍ مغوية بألف فم
إلى جنات جسدى
لتأكل وتشربْ
حتى يولِّى الصيف الحارق
ويأتى الربيع الرّنان
هناك
وعلى مصبات أنهارىْ
وكافة أوديتى
جعلتك ترعى كالغزلانِ
وطيور البر

وتتنقل من غصنٍ لغصنٍ

مثل حجلٍ إلهى

واصطفيتك- كلك- لنفسى

أيها الحبيب

أيها الغريب

يا رجلى المحاربُ

يا من جعلت لك من كلماتىْ

كأس زبيب وخمرٍ

حتى أخفف عنك وطأة الزمن

وضراوة النسيان

لا تقل إنك لا تعرفنى

لا تقل إنك لا تسمعنى

ولا تقل إنك لا تحدق فى بئر روحك

الملآن بالزهر

والشمس ولا ترانى

حدقْ

حدق جيدًا

فسوف تجدنى مثل عملةٍ ذهبية من قرون ترنّ

تحت قمر مخنوق

ويشرقُ عليك وحدك

أيها الغريب

يا من أخذت العقل كله

وتجولت فى كافة معاقل الروح كالخطيئة المحببة

إلى أن تركت الجسد

يتلظى

فى انتظار أن تهطل علىّ كافة أمطارك الاستوائية
وصبوات شهواتك
الحارقة
ماذا أفعل أنا بكل هذا الجسد
الذى فقد سيطرته واتزانه
بدون عمل يديك
اللّماعتين
ووقع أنفاسك
المدربة؟!
أيها الحبيب
أيها الساكن هناك بين الجنّات
وعلى مصبات الأنهارْ
يا كل لغاتى المفردة
ويا عنقود عنبى الأحمر
لك
وحدك
سوف أهيئ سريرى الذى صنعته
من القزّ
والحكايات
وسوف أنتظرك إلى أن تكتمل دورة أيامك
ولياليك
وأرى نجوم عينيك إذ تلمعان
فى الأفق
مثل نجمة مخاتلة
أو قمرٍ

يخرج عن المدارْ
ويعود
ليقف أمام بابىْ
وتحت نافذتى
أين أنت
قل لى؟!
ولمّا سمع التمثال
تلك الدعوات الحارة
والصلوات القائمة
التى تخرج من فم السيدة كالسيل
أدرك
أن الصمت
والوقار
اللذين يحتفظ بهما لنفسه
ومنذ سنوات بعيدة
بلا طائل
فما كان منه
إلا أن نزل عن قاعدته الرخامية
وتحول إلى طائر بجناحين أزرقينِ
وفم أخضر
وطوق السيدة
بشفتيه الخَرَزِيتينِ
فيما كانت آخر الشمعات الثلاث التى أشعلتها السيدة لنفسها
لا تزال ترسل أضواءها الساهرة
هذه الأضواءُ

التى تحولت إلى خبزٍ
وخمرٍ
وكتلٍ من دموع حمراءْ
وكأن الرب نفسه قد بدأ يتحنَّنْ وينزل من على صليبه المعقود
فى ساحة القديس
بطرس الرسول؟!



مرآة

أحياناً تستبدّ بنا المرآة
فلا نلبث إلا أن نعكس صورتها الملغومة
على كافة الأشياء
لتتأكد من نفسها
وأن ما صنعته بنا
هذه المرآة
ليس إلا صورة الأشياء فى ذاتها
إلى أن تظهر فى آخر الليلِ
هادئةً
ومطمئنةً
فى هيئة أفكار
وصور
المرآة!!
هذه التى يلهو بها الطفل
وهى تعكس شمسه البعيدة
ويحتفظ بها فى ساعة الغسق والوحدةِ
كى يعيد رسم أفكاره
وأحلامه الغائرة
بعيدًا عن الواقع والفكرْ
المرأة الرغبة
والمرآة الزمن!!

❁ ❁ ❁

وداع المعنى

فى وداع المعنى
أبدّد المعنى نفسه
يقف الهواء على سن إبرةٍ
ويتعلق الضوء
بالشفة
ما ينحرف هو ما يستقيم كذلك
سلطة الماضى تكمن فى الحاضرِ
والمستقبل هو حجر الزاويةْ
يالهؤلاء البنائين
أجرح الأشياء
لأبدد الرغبة
أقترب من الصيرورةِ
لأنشد المعنى
العالم الهيولى
والعالم الرمز
يسقطان فى شبك الناصبة
إنه العقل
حيوان الوجود
المجرد!!

أغنية مرحة عن الليل

بتؤدةٍ
سوف نرتقى درج الليل العائد
وكما هى العادةُ دائمًا
سوف نتوقف قليلاً لنغنى
على حجارة السماء الراسخِة
وسوف نكتب على حوافّ الأنهار
الرائجة
بعضاً
من أغنياتنا الساذجة
وعاداتنا السيئة
أيتها الوحدة السامّة!!
لا عزاء لىْ تحت كل هذه السموات
ولا مغفرة لك
فوق كل هذه الأرضْ
النجوم الرصاصية الغامضة
والأماسى الزائفة
لكلماتنا الميتة
وصلواتنا العمياء
سوف تغتسل بالندمْ
فوق جدران الزمنْ
الصلبْ
ما من نعمةٍ سوف تعملُ

ما من كلمةٍ أكيدةٍ فى نهاية الممر
أيتها الرحمة الإلهيةُ
أين هى يدك التى تعملُ
وبين كل هذا الألم
ما من عزاء أكيد
لهذا العالم!!



طائر الغبار

على هيئة طائر من الغبار
تقف الوحدة العزلاء
ممسكةً بذراعين خشبيتين
وبمنقارها الذى يشخب بالدمْ!!
ما الذى تريدينه أيتها الوحدة العزلاء
غير عينين نضاختين
وفم ينفث الحجرْ
على طبقٍ من نارٍ
ونحاس
أيتها الوحدة
يا طائر الغبارْ
توقفى بسفنك التى تشبه الندمْ
وسنابلك التى تشبه البخارْ
وعلى مرمى حجر من مسالك الروح الرّنانة
لكل هذا الوجود الإنسانى الممض
توقفى
على قاع تلك الكواكب الغائرة للزمن
كى تعبر كل هذه الحشود الهائلة
بمراياها
التى تعجّ بالضحايا.



العربات ذات الجياد الخشبية للزمنْ

النفق الأزرق للجياد الميته

فئران الروح الصدئه

صلوات العدم الأجير

فوق أشرعة الفجر الميّالة

الدم الأخضر

لطائر الليل الفحمى

الصمت المقترح

لكنسية الشتاء المعلقة

لنبقِ

الليل مفتوحًا على نجمتنا

العارية

لنبقِ

الليل مفتوحاً

على كفل امرأةٍ

تعرف كيف تُغرّر بالعشبْ

وتجعل القمر

يشهقُ

على كأسى الفخذين الرخاميتينِ

ودون

أن تبدّد عنها

رعشة الهواء!!

لنبقِ

الليل مفتوحًا

على تلك القبل اللا إنسانية

التى لا تعرف إلا طعم السنوات الجريحة
بطيورها البلاستيكية
وأنهارها المالحة
وبأياديها
المتلكئة المرحة
ووعودها الأجيرة
سوف تطرق هذه النجمة السوداءْ
نوافذ السماء العليمة
تلك النوافذ
التى تنحلُّ تحت عربة الزمنْ
ودون أن تندّ عنها
ولو
صرخة واحدة!!



أغنية إلى نفسي

لقد تعلمت الكثير من الحبّ
تعلمت أن أمسك الألم بأنيابىْ
وأن
أصر الماء فى صرةْ
لقد صعدت إلى السماء ونزلتْ
وما رأيت أى شىء
لألف مرة قلت
أصعد إلى هذه الهاويةِ
وما جمعت سوى الحصى
والرمل
كان العدم يتفرّس فىّ بأنيابه الفرّاسة
ويحك ذيله الطويل بخيالاتى المملحة
وأنهارى الغارقةِ
ويقف على بوابة أنفى
مثل ذبابةٍ تطنُّ
لألف مرة قلت
أصعد إلى هذه الوردةِ
ولألف شمس
جمعت كل هذا الندى
كنت أصغى إلى الحصى
والرمل
تحت وابل من المطرْ
وكنت أجمع الشك
فى سلة من الألم

لم تكن هناك أغنية واحدة لأغنيها لنفسى
- وذلك عبر الليل كله-
فى فراشى الذى يمتلىء بالنمل والضفادع
كانت هناك الحياة الضرورة
والموت الضرورة
لقد مشيت فى السكك التى تمتلىء بالدموع
والدمْ
كنت أنا والألم صديقينِ
فى حياة مترعةٍ
باليأس
لقد تعلمت الكثير من الحبّ
تعلمت أن أمسك الألم بأنيابىْ
وأن
أصر الماء فى صرةٍ
فمن صعد إلى السماء ونزل؟



تعويذة

هـ.ن

أنتِ
أيتها المعزى الإلهية
أبداً
لم تعرفى الصلاة إلا كندمٍ أخير
ولم تعرفى النومْ
إلا كاستيقاظٍ خالص للعشب
رائحة ثوبك التى تشبه شمس الغاباتْ
وطعم يديك المبقعتينِ بالتوتِ
وحليب الأيّل الجبلى
شريعتك الغائبة عن
الآب
والإبن
والروح القدس
لم تكن الحياة أبدًا بالنسبة لروحك الواثقة
إلا حقل أشواكٍ
وأرض حناناتْ
أنتِ
الأكثر من فراشةٍ
والأعمق من قمر بشراشيب
كلماتك التى تخرج من بين شفتيك
الطافيتين
على بحيرات الألم
والشوك

لم تكن سوى حضّانات
أزهارْ!!
بيديك الطيبتينِ
كحمامتين سيدتين
كنت تنضجين خبزنا كفافنا
فى جوف تنورك المنصوب دائمًا
على أطراف الصحراوات
والرب
ولم يكن لك من أحلام تشغلك
سوى تلك الأحلام البائدة التى تخبئينها
فى طرف ثوبك
وعلى أجنحة فراشاتك
التى تنبعث فى الليل وعبر حركة جسمك
الواسعة تمامًا
التى تطردين بها الأسى والوحشة
عن روحك الجريحة
دائمًا
أعرف أن هذه الفراشات
سوف تتبعك من بلدٍ إلى بلدٍ
ومن مدينةٍ إلى مدينةٍ
مثل طائرٍ الإوز
لتقف- هناك- على أطراف أصابعك
مثل غابةٍ من الحليبِ والفحم
وعلى أعالى فمك

تنطلق دائمًا

آهِ

من نظرتك الأجيرة

أيها النسيان الذى لا يعرف طعم الندم أبدًا.



عمل الذاكره

تلك الذاكرة التى تعمل مثل كرّاكات صدئةٍ
وتتوقف فى المحطات النائية
لأبراج الليلِ
لينزلَ منها الوقادون
وعمال الإنقاذ
وحاملو النفائس البشريةِ
والأساطيرْ
ولتتزود بالطاقة اللازمة للقصور الذاتىْ
وبعيدًا عن عوامل التعريةِ
هذه الذاكرة
سوف تتوقف كذلك
على حوائط الساعات
والعزلةِ
لتتذكر كل أولئك الذين فقدوا أرواحهمْ
ومعاطفهم
فوق أطواق النجاة العملاقة
لسفينة غارقة ترقد فى الأعماقْ
وتنمو عليها قارات هائلة من الطحالب المجوفة
ونباتات الفطر
لتصنع منها نجمة أسطورية
لكلاب البحرْ.



عناكبْ

هذه العناكبُ المدوية فى الفراغِ والظلمةْ
هذه العناكبُ التى تأكل من لحم روحى ليل نهارْ
على مائدة العدم اللزجةِ
وتصفق بجناحيها البنيين
فتتساقط طورُ اللامبالاةِ المرحةِ
فوق أطباق الصمت
الباذخة
هذه العناكبُ الليلية التى تسرح على أرضية الغرفةِ
وتملأ نوافذ النهارْ
بأسنانها البلاستيكية
هذه العناكبُ
سوف تجلس هى الأخرى
على الأرصفة المتآكلة لليلِ
لتتأكد من الأحلام النحاسية
لطيور الندمْ
وهى تنسج بجناحيها الرخاميتين
وفوق كل تلك السكك
التى نسير عليها محاصرين بالألم
والغياب
جمجمة الزمن المتدحرجة أبدًا!!



ملاحظات

و

تعليقُات

(١)

الطائر الأزرق ذو المنقار الذهبى
كثيرًا ما يتوقف على باب غرفتى
ليتأكد من خلوها من الأحلامْ
وكثيرًا
ما أسمعه وهو ينقّرُ فى شراشف السرير
والمخدات
- إلا إنه
وعندما يأخذ الليل فى الغناء فجأةً
وتبدأ ساعات الحائط فى مراقبة الوحدةِ-
لا يملك هذا الطائرُ الأزرق
إلا أن يحلّق بجناحيه عاليًا
على هيئة قوس قزحٍ
فيما أحدق فى كل تلك الأحلام
التى تتساقط على الجدرانِ
وأرضيةِ الغرفةِ
حتى لا تقع السماءُ على الأرض!

(٢)

لماذا
لا يقف ذلك الطائرُ الضرير
إلا على عظم روحىْ
ولا يحرك رجليه إلا كالممياوات عند مطلع كلّ فجرْ

فإذا ما أراد أن يجرب آلاته الحربية
ومعاوله المسننة
فوق المستنقعات الشاسعة
بعجلاته المطهمة بالدروع
والخفافيش الملونةِ
لا يلبث إلا أن يطير بجناحيه المنحوتينِ
من الرخام
والألم
وفى منقاره المعقوف رقبة طائرٍ أخرقٍ
ولا يشبه فصيلته الحيوانية
إلا فى الضحك
والنسيانْ
ولا ينظر إلى الأرض إلا من خلال فوهته الحربية
وتلسكوباته المقعرة التى تخترق كافة الخلايا
الإنسانية
ومن فوق حصونه المدججة بالعجلات والنارْ
ليستطلع العالم كإله راسخٍ
من آلهة الصيد.



جلجامش

عن الأغنية الصامتة التى تغنيها اللذة
عبر مسالك الليل

١ـ حانة سيدورى

حينما فتحت سيدورى أبواب الحانةِ
ذات صباح خريفى
كان جلجامش الذى أتى لتوه من مدينة أورك
ذات الأبواب السبعة والمسيجة بالذهب والفضة
يحمل على ظهره بقجته وأدوات صيده وقنصه
ومن خلفه ظهر أنكيدو ذلك الفارس الشجاع
ممتطيًا صهوة جوادٍ أصهب
وإذ رأت سيدورى جلجامش بذراعيه المفتولتين
كعارضتين خشبيتين ملفوفتين بجسده الذى يشبه
جسد أسدٍ مندكٍ وبعينيه اللتين تطقانِ بالشرر
والحتفِ هتفت
جلجامشْ
لمَ لا تدخل
هأنذا قد أعددت لك كل شىء
المائدةَ
وزِقاقَ الخمر
شعرى الطويل الذى يشبه قطعًا من الليلِ
سوف أجعله مخدةً لرأسك الجميل هذا
جسدى الرطب الحلو
الحار
كرقائق الذهبْ

سوف أروِّضه ليكون حوضًا لخيولك الصاهلة هذه
شفتاى الحارقتانِ
كسلكتينِ من القرمز
والمفتولتانِ من العاج
وشقائق الضوء
سوف يكونا كأسىْ نبيذ لشفتيك الإلهيتينِ هاتين
جلجامش!
خمرة جسمى الذى ما أعطيته لأحدٍ من قبلك
سوف أعطيها كلها لك
مفاتيح بيتى
وأسرار دارى
سوف أجعلك خازنًا عليها
كنوزى
وخواتم أصابعى
بكارة جناتىْ
وكافة لذائذى
سوف تكون ملكًا متوجًا عليها
يا كل أنهارى التى تنبع من الجهات
- وعبر سواحلى المترامية الأطراف-
سوف تخوّض فيها بمفردك
بدءًا
من القبة الواسعة لجسمىْ
وحتى اللجة الشاسعة لروحىْ
خذنى يا قرصانى الجميل
بأصابعك خذنى

بأسنانك التى تضعضع الجبلَ
وتخلخل مفاصل الروحِ
خذنى
بشفتيك القرصانيتينِ
الجحيميتين
وريقك العذب
خذنى
خذنى ولا تخف
بكل تعب أيامك
وسهر لياليك
بكل يأسك
وأملك
خذنى
يا جلجامش
أرض روحي التي لم يمش عليها أحد من قبل
سوف أجعلك تدوّرها بين إصبعيك
كالرحى
وتعلقها في آخر الليل
كالمشاعلِ
على فرْشة نومك
سوف أجعلك تهرسها بيديك القويتين
وتتذوق حليبها الساخن
بشفتيك الجهنميتين
اعتصرنى أيها الحبيب
وكما تعتصر تفاحةً ناضجةً

فكِّك عروة جسمى على مرأى ومسمع من شفتيك الرّنانتين
كما تفكّك حبال سفنك الراسخة
التى تعبر البحار والمحيطاتْ
نقِّضنى على ركبتيك السنديانيتين
وكما يفعل بأعواد الحنطة
حصادو أرضك
وجوّابو آفاقك!!
خمر روحى التى أحتفظ بها ومنذ ألف من السنوات
سوف أسكبها تحت نعليك
كالدرانقِ
عصير أيامى
منفرطٌ على أكمامك يا شمسىَ الحارة
ويا سواسنى الميالة
شهواتى التى تتفجّر من بين أعضائى كالنبعِ
حجزتها كلها لك
لتعبر عليها من غابةٍ إلى غابةٍ
ومن حليبٍ
إلى حليبٍ
بين غابات الحنطة والزيتون
سوف أجعلك تنام كملكٍ
وأنا لك كوصيفةٍ
وعاشقةْ!!
سأدلك على شجرة الخلدِ
وملكٍ لا يبلى
لا تفتش عن سموات أخرى يا جلجامش
غير هذه السماء لن تجد

لا تبحث عن أرض أخرى
يا رجلى المقيمْ
سوى هذه الأرض ليس ثمة أرض
الحياة رحلة بين موتينِ
يا جلجامش
والحب هو اللحظة الوحيدة التى تعزفُ الخلود
فى الزمن
أرضى هى الخلود
والزمن
سوف أجعلك تزرع كل هذه الأرض
بأشجارك الملونة
وكافة أسماكك البريةِ
حقولى الجافة
وسهولى المتراميةِ الأطراف
سوف ترويها بمياه آبارك وأنهارك
التى ما لها من مثيل
وسوف تكون حصّادها الوحيد أنت
دارس حنطتها الأمهرَ
وقناص براريها المهيبْ
وعلى ظهرك
سوف تحمل حربتك الوحيدةَ
وفوق ظهرك قوسك
وسيفك
لتحميها من كل متلصص وأخّاذْ
فإذا ما غابت الشمس

سوف تعود إلىّ لأدفئك من برد الليل
ومن كل تعب النهارْ
من سمن روحى
وعسل قلبى
سوف أطعمك كل أيام حياتى
فعن أى شىء تفتش
يا درقة الروح الحادة
إلى أين تسعى يا جلجامش
إن الحياة التى تبغى لن تجد
والآلهة التى
قدرت الموت على البشرية
استأثرت هى بالحياة!

٢- سيدورى هذه السمكة الذهبية وعيناها من الزمرد!

سوف أتذكركِ يا شفيعةُ
ومثلما تتذكر غابة السنديانِ العتيقة فجرًا شتائياً
يخرج من تحت الأنقاض دائمًا
وسوف أطوِّق جسدك العالى بيدين تشهقانِ
إذ تكشفان عن منابعِ اللذةِ فى حرير النحاس
الذى يتوقف تحت أنقاضك الشاهقةِ
كم مرةٍ يتعين على هذا النّحات البارع
أن يمسك بأزاميله وأراغيله
لينحتَ كل كل هذا الرخام
الذى يشبه جسمك
أنتِ
أيتها اللؤلؤة الكبيرةُ
بدروعك الهائلةِ

ودموع عينيكِ اللتين تشبهان فحم الكمانات وعَرَق الماس
سوف أتذكركِ
يا سيدورى
أيتها المليكةُ المتوجةُ
على الماءْ
والشمس!!
ومثلما يتذكر الله عاصفةً
سوف أتذكركِ
يا سيدورى
أنتِ
أيتها السمكة الذهبية بعينيك اللازورديتين
وقلبك المشع!!



ورقة التوت الأخيرة

آه
يا روحي التي تتفسخ من الألم
انسي أننا ذهبنا إلي البحر ذات مرة
انسي أننا تكلمنا بالأقدام
والأرجل
والأصابع
انسي ضحكة الأعين الخالصة
وتفتح الجسدين علي نافذة واحدة
انسي الليالي العديدة التي أترعناها
بالشهوة
وعسل الحليب المر
انسي الكتابة المختلسة للنظر
عبر الهواء
الذي يقف مشلوحاً علي طرف الأصابع
ومجري الدم
ويترسخ في المخيلة
كالنقانق
انسي الشوارع التي قطعنها معاً بالضحكات
واحتكاكات الرغبة الشرسة
ونحن نتنقل علي الأرصفة كعصافير الجنة
وعبر آلاف الأميال
ودون أن نستقل ولو درّاجة واحدة
انسي المحاريث التي تحفر في جسدينا كالمسامير
والبلط

ونحن نرقد في غرفتين
منفصلتين
وبيننا المصابيح المطفأة لقطط الشوارع الضالة
انسي الرغبات الكثيرة التي تركناها علي الأرصفة للعشب
وهي تتقشر بحسرة
وألم
وتفتش عن سفينة عابرة تحملها إلي المجرات
انسي السنوات التي عبأناها في أكياس الرمل
والحصى
ولم تعد سوي أشواك
وقنافذ
علي شبكة الروح الضوئية
انسي الزمن الذي تركناه معلقا في الفراغ المحض مثل خلد أعمي
هناك في الشوارع
وتحت أقدام المارة
يتنطط
مثل قط مذبوح
بينما الشهوة التي قطفناها معاً وباليدين ترقد شاسعة مثل بحر
يا روحي التي تتفسخ من الألم
أرجوك
انسي كل شيء
انسي كل شيء!!
فما عدنا نريد مزيداً من الحياه[١]

❁ ❁ ❁

(١) أغاميمنون .

أحجار الغابة السوداء

محمد آدم

أيها العالم
لم تختر الجانب الأفضل
ليس من الحكمة أن تكون عاقلاً فحسب
وأن تغلق عينيك فلا تري داخلك
الحكمة أن تصدق القلب

جورج سانتايانا

منحوتات

منحوتة أنتِ من الندي والماس
صدرك خلاصة الحكمة التي لا تعرف اليأس
كلماتك مالها من مثيلٍ خالصٍ
ماؤك الذي يخرج من بين الصلب والترائب يصنع راية من الأعاجيبْ .



هسيس

فتشت عن آثار نعليك بين الحصي
سمعت خطواتك وهي تنتقل بين الفراشاتْ
كانت السحب التي تنفرش في الأفق
مخدة لنعليكِ الكريمتين .

❁ ❁ ❁

صَدَفه

في الليل أتقلب علي فراشك الرحيم كالصَّدَفةِ
في الظلمة الغاوية كانت عصافيرك تملأ الأفق بالعسل والنسيان
فيما أشجارك التي تصطف علي الجدرانْ
تفرد شعرها للريح لكي تصنع لك مروحة من الصيف الكليمْ.

❁ ❁ ❁

طيات

قومي أيتها الآخذة في النوم
فما زال علي الفجر بعيد ونحن في أول الليل
والنجوم تتلفلف بجسدك الذي ينام جنب النهارْ
وأنا في طيات حلمك أتلظي .

❁ ❁ ❁

حجاره

في السماء التي تشبه الحجر الكريمْ
كانت النجوم تلمع والشهب تتراص إلى مالا نهايةٍ
فيما كانت الأرض تلثغ عريانةً
في ردائها الذي يتلفلف بالدم.



أيقونه

أيتها المرأة التي تشبه الآس واللازورد
صدرك نافورة من حنانات
جسدك أيقونة لقديسين يقدمون الصلوات والأبخرة لإله من ذهب
بحثاً عن منجمك الذي يرقد هناك تحت القبةِ .

❁ ❁ ❁

سماع

في صلواتي التي أنفقتها طويلاً أمام باب غرفتك
كان صدي أنفاسك يتردد عبر الأودية والمسالك
ورائحة شعرك تسمع من بعيد
أما عن عينيك فلؤلؤتانِ ومجرة وبحرْ.

❁ ❁ ❁

أصوات

يا لطعم شفتيك الجهنميتين
يا لصوتك الذي يذكرني بالجنات والسحر
يا لشهيقك الذي يتفجر من الفردوس كالأنهار
يا لشعرك الذي يظلل الليلْ.



سلام

علي السلالم المتآكلة للفراغْ الباهت
كان الزمن يسكن في خيمته اللانهائيةِ
وعلي مزامير الأفق الجرداء
كنتِ تنسجين كلماتك التي تشبه العدم والنقانق .

❁ ❁ ❁

لا يقين

بين الجنون والحكمة جسدك يقف عارياً
بين اليقظة والنوم عصافيرك تزين الأفق
بين اليقين واللايقين كلماتك بعدد الحصي والرمل
أيتها الطاغية الأخاذة أين هي ألويتك فننزع الدروع.

❁ ❁ ❁

إيقاعات

الليلة الجميلة مضت بلا منغصات أو مطارداتْ ولم يتبق علي السرير الأخضر
سوي رائحة العرق والمطر وقافلة صغيرة من الذكريات
لم يتبق من الجسد الجميل الحلو إلا السحر والأساطير
ولم يبق علي الجدران سوي أغنية وحيدة بإيقاع مختلف هو الزمن.



ينابيع

فيما كان غناؤنا الذي يشبه حَبّ الكواكبْ
فيما كانت لغة الأصابع التي تفرّق بين الحلم واليقظةِ
فيما كانت عصافيرك التي تخرج من الينابيع والبحرْ
فيما كان هلاك الجسدين ـ معاً ـ علي طاولةٍ من حنانات واردواز.

❁ ❁ ❁

إوز

الشمس التي تطلع من المحيط وراء خط الأفق
مياه البحر الساكنة التي تتكسر علي جسمك كالكهرمانات
ساعداك اللذان يلتفان حول جسمي كعصافير اللذة
مرايا أرجوانية لإوزك الذي يسبح في بِرْكةْ الله .

❁ ❁ ❁

ذهب

حينما وقفتُ وراءك في الكنيسة المثلثة عصر ذلك اليوم ورحتِ توقدين الشموع
كانت العذراء المقدسة تنظر إليك بعينين واثقتين ووجه يشع بالرحمة
إذ ذاك رأيت دموع عينيك اللتينِ تنسِلانِ من القلب
وأنتِ تتحولين إلى فراشةٍ ووجهك يلمع مثل غابة من الذهب.



صيد

علي صليبك الأرجواني كتبت اسمي بأحجار الرغبة
علي جسمك الذي يشبه خيطاً من الرخام والماس
تركت لجسدي أن يسبح بمفرده في البحيرة
أنا وأنتِ رحنا نصطاد السمك في الأعالي.

ارتعاشات

الرجفة التي تدب في الأصابع
الندي الذي يسري في الروح بدلاً من الخبزِ
انتظار الفجر علي سن إبرةٍ
أليست هذه هي شهوات جسدك الذي لا يفكر سوي في الفراغ.

❁ ❁ ❁

ركوع

علي طاولة المناوبات الليلية
كان ثمة عصفور يركع
فيما تأخذ الرغبة في الطيران والتهفهفِ
ما الذي يجمع الأبيض والأسود في المنجم.

❁ ❁ ❁

سبل

إذ تتذكر المرأة سبل عشاقها
تترك لجسدها الذي يتمدد علي الأرائك
أن يناقش الشهوة الطاغية بشفتين نجميتين
وفم يمتلئ بالبراءة والحليب

❁ ❁ ❁

الأغاني

هذه الطاولة التي تكتظ بالأشعار والأغاني
كانت بالأمس شجرةً وتحلم بالربيع
وقبلما كانت ترحل إلى النهر في الفجرْ
كانت تترك لأحلامها الراسخة أن تتمشي علي حائط الموت.

❁ ❁ ❁

حقد

قواقع فارغه
ترقد في الأعماق
ورغم ملايين السنين
تتطلع إلى الشمس بعين حاقده.

❁ ❁ ❁

تطلّع

بعينين باردتين
ينظر الرجل الواقف في النافذةِ إلى الشارع
فيما تهبط نجمة ضالة
علي طرف قميصه.

❁ ❁ ❁

آلهه

الآلهه
حتي الآلهه ينظرون إلى العالم من شرفته الواسعه
كثيراً ما يضحكون من هذه الميلودراما
التي تبدأ بالحياة وتنتهي بالموتْ

❁ ❁ ❁

وقف

نظراً لأنني من سكان هذا الوقف
وقفت ذات يوم أمام شاهدة قبر
ورحت أسجل أسماء بعض الراحلين
لم يكن هناك غير شجرة صبار تتطلع إليّ بعينين ذاهلتين.

❁ ❁ ❁

هجران

أنتِ بعيدة عن جسمي تماماً
لكن عصافيرك لا تهجر الغرف مطلقاً
في الليل يطلع وجهك السماوي كالقمر
فيما جسدك يعزف بمفرده موسيقي الغرفةِ.

❁ ❁ ❁

مسيح

حينما تحدق فيّ الوحدة بعينيها الشرستين
أصنع لنفسي جلجثة وأصعد إليها درجة إثر درجةٍ
وأنتظر حاملي السيوف والبلط
لأصنع من نفسي ذبيحة في مملكة الوطءِ هذه.



نزوات

أغلقت البابَ وقدت قميصها من دبرٍ
ونادت علي جسدها الذي يتحرش بقطيفة الهواء
فيما راحت تقول لنفسها وهي تتفرس عصافير الوحدة
تسكرينني يا امرأة .

❁ ❁ ❁

بروده

هنا ، علي البحر والرمل
أنا والأبدية نجلس كأصدقاء
تحت شمس باردة
ونطفئ الألم.

❁ ❁ ❁

تحليل

أنفك طائر الليل الذي يحلق في البعيد
أصابعك شمعدانات وبلا نهايةٍ
صدرك يصعد ويهبط علي أصابعي كالتفاحات
يا لتلك اللذة التي تصعد من شوارعك.

❁ ❁ ❁

استقالات

أستقيل من هذا الليل
أستقيل من كل هذا النهارْ
أنطفئ وأضئ علي رمالك الساخنة
ألم تكن شمسك الرائعة خزان حنانات وملاعب صيف.

الأحد

اليوم أحد
وأجراس الكنيسة المعلقة لا تزال تدق في الأعالي
حسنا ألا زال الرب يقف بمفرده علي الجلجثة
أذكر أنك كنت الوحيدة التي تصرخين بملء فمك : اغفر لهم يا أبي.

❁ ❁ ❁

رواقيه

مناطيد من ورق
وسماء نازفه
تلك هي حكاية يكررها الرواقيون دائماً
علي ظهور حميرهم الوحشية التي تبتكر الألوهة.

❁ ❁ ❁

سلحفاه

السلحفاة التي تنام علي جنبها الأيمن
دائماً ما تتقلب في الليل
لكي تتأكد أن السماء في موضعها الآمن تماماً
وأن الأرض مرحاضها الغويط.

❁ ❁ ❁

اِنزلاق

ما الذي يفعله النعاس الفضفاض
لرجل يجلس علي كرسي متحرك وفي يده منجنيقاتهِ وبكرات خيطه
وفيما ينظر إلى السماء التي تنزلق ببطءٍ نحو البحرْ
تتساقط السنوات حواليه كالوطاويط وحَبِّ السنطْ.

❁ ❁ ❁

عكاكيز

فيما تتحرك كل هذه السماء القعيدة علي المرآةِ
ليس هناك سوي عصفور وحيد
يحك جناحيه المتصالبتين بالأرض وينظر إلى الشمس البارِدةِ
التي تتوكأ علي عكازها في الظهيرةِ.

❁ ❁ ❁

عماء

الحياة التي نحسبها عمياء وغير مجدية
كثيراً ما نضعها في الصناديق الجانبية لغرف الروح
ونغلق عليها بالأقفال والمفاتيح
خشية أن يسرقها اللصوص من عنبر الليل.

❁ ❁ ❁

تنقل

تنقلي تنقلي أيتها الفراشة العمياءْ
فعلي سريرك الذي تصنعينه من خزٍّ وأرجوانات
سوف يأتي الشتاء بكامل آلاته ومعاوله
لكي يلف يرقته الشاهقة حول روحك تماماً.

❁ ❁ ❁

خيوط

المجد لك أيتها السيدة
التي تجلس في باحة الدار ليلاً بمفردها
وهي تمسك بخيط إبرة ومغزل
لكي تصنع لأحلامها أغطيةً وبطاطين.

❁ ❁ ❁

آثار

علي الصخرةِالالهية قمر ينزلق
وآثار ثعالب تتشقق
ولم يكن هناك ثمة شئ
غير الهواء الذي يقف مصلوباً علي سن إبرة.

❁ ❁ ❁

مدي

موجة تروح
وأخري تجئ
الصمت مدية تحز الظلامْ
وها هو ذا القمر الصيفي يتنزه وحيداً علي منحدرات الليل.

❁ ❁ ❁

تحرر

الشمس التي تغيب طويلاً في البحر
وترقد هناك في الأعماق
في انتظار صباح آخر مضئ
لتتحرر من أسر الجنيات والذهب.

❁ ❁ ❁

قبور

ما الذي تفعله هذه الفراشة العمياء
سوي أن تظل طول عمرها تفرز رغاءها الشفاف
لكي تصنع لنفسها أخيراً
قبراً من الحرير والخزّ.

❁ ❁ ❁

غرقي

بأعلي صوتي ناديت
أيتها الحبيبة باللذاتْ
ماذا يفعل كل أولئك الغرقي
بجسدك الذي ينهمر بين السماءِ والأرضِ كالقصعةِ .

❁ ❁ ❁

تأسيس

الشجرة الوحيدة التي تؤسسينها عبر العالم
يقف عليها ألف طائرٍ وطائر بصناجات ومواويل
تري ماذا تفعل كل تلك الموسيقي
التي تخلفينها وراءك علي الطرقات كالرمل.



أكواب

سهرك حميّ
وصلواتك أودية بعصافير ومهابط
ماذا تفعل نظرتك الحكيمة هذه
في كوب مائي الذي يندلق.

❁ ❁ ❁

نخر

تحت نعليك يهتف الحصي
في صوتك رغبة جامحة وغسق
أيتها الفرسة النبوية
ألا تتوقفين أبداً عن الصهيل والنخر.

❁ ❁ ❁

أقفاص

إذ مررت قرب جسمك الذي يشبه نبعاً من الصهيل
كان قلبي الذي يمتلئ بالأغاني والحكايات
يقف مصلوباً علي منجميْ صدرك الإلهيينِ
كأغنية يتيمةٍ في قفص.

❁ ❁ ❁

إشعاعات

السلام لكِ أيتها المرأة الممعنة في القسوة
فلا الليل بكل أبهته وبساتينه
ولا النهار بكل عنفوانه وحججه
قادر علي لمس جوهرتك التي تشع هناك في الأعالي.

❁ ❁ ❁

احتلال

عندما أفتح النافذة لا أري غير صورتك
عندما أغلق النافذة لا أري غير صوتك
أسأل نفسي أية أسلحة عنكبوتية تملكينها أيتها الواهبة الموهوبة
لكي يحتل جسدك كل هذه المساحة بين السماءِ والأرض .

❁ ❁ ❁

طاوله

أحياناً ما أدحرج القمر علي طاولة الليل البردانة
أحياناً ما أدحرج السماء علي مقعد من نحاس وقش
فيما أصعد خلفك كالمناطيد
لكي أمسك بأساطيرك العالية أو طيفك الذي يمر.

❁ ❁ ❁

التصاق

خطوتك بمفردها فجر

يعرف كيف يفسر قانون الجاذبية

جاذبية الروح التي تعرف كيف تلتصق بالجسد والفم في إناء واحدٍ

بشرط أن تكون عينك هي المدارات .

❁ ❁ ❁

غجريه

صوتك ناقوس يرنُّ

في فضاء العالم الحزبْ

ضحكتك التي تجلجل تكشف عن وجه الشمس العريانةِ

أي غجرية أنت في ثوب راهبة ؟!

❁ ❁ ❁

خاتم

النهر الذي تنزلين إليه مرتين في آنٍ واحدٍ

السماء التي تكتبين علي جدرانها الشاهقة أسماء عشاقك ومريديك

الزمن الذي تلبسينه كالخاتم بين أصبعيك وتنقشين عليه بعض أغنياتك

كلمات مرحة لروحك التي تتأجج.



ترويض

المرأة التي تروض الغبار
وتنام ملفوفة بأغنياتها
في الصباح تفتح أبوابها لليل
وهي تكنس من علي أبواب الدار أكوام العصافير القتيله.

❈ ❈ ❈

نحت

الزمن بآلاته الخشبية ومعاوله المسننةِ
يضرب علي هاوية الروح الرنّانة
ولا يترك عليهاسوي بقع حبره الجاف
وأنيابه التي يخرّ منها الدم.

❈ ❈ ❈

مرثيه

نحن الذين علي مشارف الموت
نربط كلماتنا علي هاوية الريح
ونعلقها بحبال من النسيان الخالص
في رحلة قد لا نعود منها أبداً.

❈ ❈ ❈

مناديل

صلاة واحدة تعرفها العاشقة تفاحات الرغبه
صلاة واحدة يعرفها العاشق عنب الجسد
صلاة واحدة تعزفها الريحْ
مناديل الوداع الفضفاضه.

❁ ❁ ❁

عروش

أيتها المرأة : شفتاك من عنبٍ وكرز
قولي لي أيتها الحكيمة في الليل
لماذا يهرب القمر دائماً إلى عينيك
وكلما أراد أن يتخفف من عبء الجسد كله.

❁ ❁ ❁

اقتراحات

في صوتك دائماً ما تصرخ الرغبه
الرغبة التي تمتلئ بزهور السموات
وزنابق الأرض
جسدك يقترح إعادة ترتيب العالم.

❁ ❁ ❁

مدارج

في الطرق البعيدة وعلي مدارج الجبال والنمل
في الطرق الأكثر صحواً لمنحدراتنا الرحبة
سوف يتوقف طائر الراقوف الأزرق
ليحكي عن عنف الساعاتِ ومائها العنكبوتي الأسود.

❁ ❁ ❁

هموم

خصلة من شعرك
ونظرة ـ وحيدة ـ من عينك التي تتركينها علي الطرقات
مثل معصم يد أو ساعة استوائيه
رجل محمومٌ يحمل هموم جسدك.

❁ ❁ ❁

محاره

محارة فارغة وتسكن الشمس
إنها الهاجرة
سوف أحكي لك عن غربة الساعات التي تتوقف عن الدوران
لكي تتأمل غيوم شمسك.

❁ ❁ ❁

خوف

ثمة نافذة وبيت
وطائر يقف بالوصيد
ورجل يركن دراجته التي تصعد الهواء بعجلاتها الأربع
علي سقالةٍ من خوف.

❁ ❁ ❁

وسادة

تكشفين عن وسادة الزمنْ
أنت أيتها الرغبةْ التي تكتظُّ
مساكنك العاليه
زجاجة وشمس.

❁ ❁ ❁

شيخوخه

في سنوات الرغبة والجنون
كنت أخبئ كل هذه النجوم في جيبي
الآن وبعد أن تقدم بي العمر
أصبحت أطأ كل تلك السنوات بقدمي.

الطريق

علام يدلنا هذا الطريق
إن لم يكن علي عدد أنفاسك التي تخضرّ في السكك
مثل قمر جريحْ
فوق ساقيه من ألم.

❁ ❁ ❁

صداقه

الألم والمعرفة صديقان
ما إن نشرع في فتح كل تلك النوافذْ
إلا ويتشقق الجلد وتتساقط الأسنان
ولا يبقي هناك سوي الهاوية التي تجدّف.



أغنيه

كلُّكِ جميلة يا حبيبتي كلُّكِ جميلهْ
شفتاك تحت نقابك وعيناك حمامتان بريتان تهدلان في الأفق
خصرك عصير كواكب ووسوسة حلي مسبوك
جواهرك لا تشع سوي بالليل والناس نيام.

❁ ❁ ❁

شسوع

ليل الرب شاسع و لا حد له
مسكونة هي خطواتك بإيقاع الصحراوات
الزمن إناء فارغ ولا مقياس له سوي نظرتك
أنتِ وحدك من يسكن الغابه.

❁ ❁ ❁

عنكبوتات

في النفق المظلم للعالم
في الفضاء الذي يحتوي علي جسدك ويمتلئ بصناجات نعليك
يتأهب الفراغ بأجنحته العنكبوتية
لكي يقبض علي أسماكك التي تتقافز.

❁ ❁ ❁

متاهه

من أي مكان تنبع عين الماء
التي تتفجر خلفك وأنت تسيرين في السكك كالفراشات
وها أنتِ ذي مثل طائرٍ يأتي من الشرق
ولا أثر لخطواتك سوي المتاهة.

❁ ❁ ❁

فخذ

ترسمين علي فخذيك رأسي نهد بعدة فهود صغيرة
فيما عشبك البري ينمو وبغزارةٍ
علي منحدرات جسمك الجبليةِ
يا لهوائك الذي يكتظّ بالإثم والبراءة.

❁ ❁ ❁

ترميم

نحن الذين ولدنا فوق ضفات الأنهارْ
وتحت أسقف بيوتنا الواطئة كنا نقرأ عن العشبْ
كيف يرمم كل هذا النهارْ
وكيف يجعل من فم الليل أغنية جافة.



يرقه

حتي الشمس التي نصنعها بأنفسنا وتجلب لنا الدفء
تقف هي الأخري مصلوبة فوق جبل الألم المدنس
الذي يخرج من أفواهنا الجريحة
مثل يرقة تنفعص.

❁ ❁ ❁

رفرفه

هذه الطيور التي ترفرف فوق رأسي بالليل
وهي تحمل في مناقيرها الذهبية صلواتها الجامحه
وأغنياتها التي تستخلصها من التراب والعدمْ
أعرف كيف أهدهدها وهي ترقد بجانبي في انتظار لحظة المفارقة.

❁ ❁ ❁

أبراج

من يقول أن هذه القبره
كانت تسكن في أعلي برج من أبراج هذه الشجرة
التي ترقد مقطوعةً
علي شفا جرف هار.

❁ ❁ ❁

جدران

المرأة التي تحدّق ملياً إلى الجدرانْ
كثيراً ما يصيبها اليأس الرنان وهي تقف عارية أمام زجاجة اللذةِ
فيما تترك لجسدها الملئ بالحكايات أن يتذكر
كل أولئك الغزاة الذين مروا من تحت كل هذه الجسور.

❁ ❁ ❁

صورتها

نجمة طائشة بلا شك وبلا نوافذ
تلك التي تقف شاخصةً في كبد السماءْ
سوف تأتي الشمس هذه المهرة البرية
لتسترد صورتها من المرأة دائما .

❁ ❁ ❁

قارة

رمل في المحارة
يتذكر وعلي قلق كل تلك الأيام الجانحة
التي كان يرقد فيها في الأعماق
وهو ينتظر دمعةً أكيدة حتي تتشكل قارة اللؤلؤ.

❁ ❁ ❁

طنين

لم يعد أمامه في هذه الكأس
غير ذبابةٍ تطن
هكذا مضي أغلب الوقت
وهو يغرق السماء بين أصبعين من أصابعهْ



فريسه

شجرة واقفة تخربش الريح بأصابعها الخمس
علي سقالة من ريح
وها هي الأوراق تكتب تاريخ سقوطها علي الأرض
ولم يبق أمام تلك الشجرة الا أن تنام تحت حدقة النسيان.

❁ ❁ ❁

نقش

نحلة الموت
بمعاولها الصلبة
تهدم جدران الزمن
ولا تترك سوي نقش بارز علي فوهة قبر.

❁ ❁ ❁

سفر

أيتها السموات
كوني رحيمة بنا
فلا الموتي يريدون أن يناموا
ولا الأحياء يرغبون في السفر.

❁ ❁ ❁

جدل

هكذا
وجدت نفسي فجأة
أتأمل الحياة
من شرفة الموت.

❁ ❁ ❁

نزوه

في الليل كانت العصافير تهبط في السكك
والشمس تمسك بيديها الغرينيتين حجراً أحمرْ
وتحك به كعبيها البرونزيتين
لتمسك بشفتيها سمكة الماء التي تنزلق!!

❁ ❁ ❁

مراعي

بيتك الذي تحرسه الغزلان وترعي فيه الآيائل
برج بابلٍ الصاعد فيه كالنازل
والنازل إليه كالصاعد
وأنتِ غارقة في الغي.

❁ ❁ ❁

ربوة

كلما خرجت من غيمةٍ أهتف
صهٍ صهٍ أيها العبير
كلما دخلت في غيمة أهتف أيتها السواقي توقفي عن الألم
وجه حبيبي أحمر وأبيض ومعلّم بين ربوة.

❁ ❁ ❁

قضم

أقضم الفراغ
أرصص الزمن أمامي مثل تل من البطاطس
وأنكش الحوائط المجاورة لروحي تماماً
بعدة أعواد من السنط.

❁ ❁ ❁

شمعدانان

علي باب الكنيسة المجاوره
ثمة شمعدانان يشعلان الهواءْ
وإذ أفتح الباب كان السيد علي الجلجثة يقف متبوعاً بالفراشات
والمرأة التي تغسل القدمين تصنع من الدموع جوقة من العصافير .

❁ ❁ ❁

انعكاس

العالم مرآة
تعكسين عليها شمسك
فيما يبقي لظلي أن يقف في العراء الطلق ككناس وأعمي
وبعيداً عن نطاق الجاذبية.

❁ ❁ ❁

أنت

نظرة واحدة من امرأة غريبة
أججت مشاعري
ذكرتني بعينيك اللتين خبأتهما في ظل فراشة
علي شاطئ النهر تلك الظهيره.

❁ ❁ ❁

رغوه

من علي أصابعك تخرج الفراشات جائعة
من علي صدرك يخرج الربيع الذي يتجول في الحقول بأبهةٍ
من علي شفتيك الكرزيتين تكتسب الشمس رغوتها
فماذا لو كشفت عن بقية الينابيع.

❁ ❁ ❁

فقط فجر

لا أريدك لي
لا أريد جسمك الذي تزينينه بالشهوة
لا أريد بيتك الذي يمتلئ بالعصافير
فقط أريد شمسك التي تشع دائماً في الليل.

❁ ❁ ❁

الفأرة

ذات ليلةٍ كنت سكراناً
فأجلست القمر على ركبتي
وقلت للأرض : ها أنت ذي أيتها الفأرة العمياء
لم يعد غير فأسك التي ترنُّ أنا حطَّابٌ وأعمى.

❁ ❁ ❁

حياتي

حياتي مدببة مثل حجر مسنون
أحياناً أربطها في حبل غسيلٍ
مثل طائرة ورقية
وأقول لها حلقي حلقي في الأعالي ايتها الفقمة الورقية عبر اللاشئ.

❁ ❁ ❁

انفراد

كثيراً ما أقطع الليل بمفردي
حتى أصل إلى جزائره الغربية البعيدةِ
هناك حيث لا تقبل الشمس
ولا يمكن للقمر أن يدس أنفه.

❁ ❁ ❁

جسور

بين جزر ومد
تقع الأرض المشتركة التي تفصل ما بيننا
وكل منا يطيّر طيوره الجريحة
حتي تتقابل مسرعةً علي جسر الرغبة الهشِّ.

❁ ❁ ❁

بروده

انتظريني أيتها المرأة العاشقة
فسوف أجمع بعض الحطب و القليل من الزيت
لأصنع لك عشاءً من اللذةِ الساخنة
لا تمحوه برودة المواسم.

❁ ❁ ❁

مطره

أيتها المطرة كم مرةً أتيتِ إلى الأرض
وفي ثوب عاشقةٍ
أيها الزمن النقال
كم ركبت أحصنةمن خشب.

❁ ❁ ❁

نرد

عندما كنت ألعب النرد أنا والوحدة
كانت الجدران تلتف حولي وتلتصق بأصابعي وهي تصفق
وذات مرة اكتشفت أن الجدران نفسها أخذت تمارس اللعب
فيما أنا والوحدة في غرفةٍ جانبية نتجادل حول فلسفة الشك.

❁ ❁ ❁

الثلاث سمكات

الليلة ، الليلة فقط وبعد عدة ظهيراتٍ من الجوع
تناولت عشائي أخيراً ، كان عبارةً عن حصوةٍ من ملحٍ مجروش
وسمكةً من نشارةٍ وفحمْ
وعدة أرغفة من طحالب وفطرياتٍ فوق طاولةٍ من حصى.

❁ ❁ ❁

حرائق

أوقدوا البحر للسفن كي تمر في المضيقْ
فلم يعد على رصيف الميناء غير أغنيةٍ يتيمةٍ وقمرٍ ضرير
هذه الاسطوانة من الغاز ما نفعها
إن لم تكن لإشعال الحرائق الصغيرة في هذا العالم.

❁ ❁ ❁

غيث

وضعت يدي في جيب بنطالي الخالي من الهمومْ
كانت السحب الطليقة في السماء
تلعب الثلاث ورقات على أرض الطبيعة العتيقة
و هي تغني جادك الغيث.

❁ ❁ ❁

أمنيه

أهو كثير عليَّ أن أرى الشمس تنام إلى جواري
والقمر يسبح على طرف سريري
بينما النملة التي تقطع الجدران طولاً وعرضاً
تبحث عن حبه قمحٍ معلقةٍ تحت سقف الظهيرةٍ.



تناقض

بيدكَ يا موسى ينشق البحر ويغرق جنود فرعون
وبيدي ينشق الماء في الزجاجةِ
ولا أمسك سوى بالقواقع الفارغةِ وحصى الليل البردانِ
هلموا هلموا يا حرّاس الأساطير.

❁ ❁ ❁

تخطيط

بخاري يصعد إلى السماء
وأنا جالس إلى طاولتي أطارد الغيوم
ثمة طيورٌ ترفرف بأجنحةٍ من خشبْ
وأنا العق بقية الطبق ، طبق السمك الذي خططوا له.

❁ ❁ ❁

تزوُّد

سهر الرماد في المدفأه
وأخذت قافلةٌ من الحجيج تتزود للرحلةِ
ولم ينته الخزاف بعد من عمل يده
ولم يعد في الإبريق سوى ماءٍ جاف !!



سنابل

شجرة صحراوية وأغنية بردانهْ
يتعانقانِ – معاً – في الهواء الطلق
ربما جمعتهما الضرورة العمياء أو الصدفة المدوَّخة
وينتظرانِ بلهفةٍ أن تتفتح أزهارهما على سنابل الرَغبهْ.

❁ ❁ ❁

عزاء

أصابع صغيرة وتطلب العزاءْ
على أرضية الغرفةِ ذات الملاءاتِ الرثةِ
فيما كان يقف الغبار فارداً جناحيهِ الثعلبيتين
في محاولةٍ أخيرة لإصلاح الأسلاك الكهربائيةَ حتى تتسلل العتمه.

❁ ❁ ❁

استلهام

نفس البيانو في الغرفةِ المجاورة
نفس الأصابع التي تركتها السيدة ذاتُ الإيشاربْ على النغمةِ
نفس المعزوفةِ التي مازالت تحلق في سماءِ الغرفةِ
مثل طير يتـــيم ويُسْتَلْهَمْ !!

❁ ❁ ❁

ثرثره

في البار القديمْ جلس أصدقائي القدامى يفكرون في الكأس الفارغةِ
فيما أخذ كل منهم يبحث لنفسهِ عن سماءٍ أخرى
غير أن أحذية المارةِ في الشوارع المجاورةْ
أخذت تتسع لأرواحهم التي كانت تضيق.

❁ ❁ ❁

خزف

❁ ❁ ❁

يا له من منظرٍ عتيقْ
السماء تندلق في كوبِ ماء
وساعة الحائط التي تتكتك منذ سنواتْ
لا تزال تمارس نفس المهنةِ.

غثيان

انتظروني قليلاً أيها الرفاق !!
ريثما أجفف الزمن وأمسح له يديه المتسختين بالشهوةِ
وبعدها سـوف نخرج معاً إلى المقابر التي تقوم هناك على أطراف الصـحراوات حتى لا يفكر هؤلاء الموتى أبدًا في الشيخوخةِ أو يشعروا بالنسيان.

❁ ❁ ❁

حوارات

عند الظهيرة تجلس قبرةٌ على صاجِ مدخنه
وتفلي ريشها المنتفش واحدة فواحده
وفيما تنظر إليّ
يقف هواء الشجر عارياً.

❁ ❁ ❁

تغيّر

أمس زارتني المرأة التي كنت أحبها في المنام
والتي لم أرها منذ ما يقرب من عشرين سنةً على الأقل
كانت تقف ملفوفة بالضمادات وأنا أخوُّض في الوحل حتى الركبتينِ
لم يكن البيت بيتنا ولا السرير الذي مارسنا عليه الحب له نفس النكهةِ.

❁ ❁ ❁

ذكرى

لماذا أتذكر أمي الآن وبعد كل هذه السنوات
لماذا أقول لها الآن : صباح الخير يا أمي أيتها السنونوة الطيبة
وأنا أعرف أنها ترقد هناك في مقبرةِ القريةِ
بلا عظامٍ أو حتى فساتين جديدة.



بكاء

في موانئ عدة اشتغلت حمالاً بقرشين في اليوم
كنت أرفع الطوب من الصبح حتى أذان العِشاء
وأصعد سقالة لا يغني عليها سواي
في الميناء استثمرت رغبتي في البكاء حقاً.

❁ ❁ ❁

عطاله

عيناي معطلتانِ
ساعة اليد معطلة كذلك ، وكذلك أجراس الكنيسة المجاورة
والراديو معطل
واليوم أحد.

❁ ❁ ❁

حَجْله

لم يكن هناك أحد في الشوارع المجاورة
سحبت ظلي الذي كان يتبعني مثل كلبٍ
وجلست على صخرةٍ صغيرةٍ أمام بوابة النهار المخلعة
ورحت ألعب أنا والظل لعبة الحجلةِ.

❁ ❁ ❁

سلاسه

أريد أن أكتب الشعر مثلما أتكلم

ومثلما أصب الشاي في البرّاد الأحمر أو مثلما أتنفس الهواء وأمارس الجنس

ولم يكن ينقصني أي شيءٍ في هذا الصباح الرائق

سوى بيتٍ واحدٍ من الشعر.

❁ ❁ ❁

دون كيشوت

إنها ساعة الرمل

تلك التي يدون عليها الزمن أخطاءه

وندون عليها – نحن – كذلك لحظات السأم واليأس

ألم يكن دون كيشوت على صوابٍ دائماً ؟!

❁ ❁ ❁

اعتكاف

في لحظات الطفولةِ البعيدةِ كنت أقف أمام الجامع الكبير عصر كل يوم

لأتلقى حسنةً من يد الله التي تعمل في الخفاء دائماً

ورحت أمسح دورات المياه والميضاوات وأحرس أحذية المصلين وعكاكيزهم ولم يكن ينقصني إلا أن أصعد إلى السمواتِ بسلمٍ.

؟ ؟ ؟

في عصر البخار والحب كانت الآلات تعمل بالفحم

وفي عصر الذرةِ أصبحت القاطرات أسرع من الصوت

ما الذي سيعمله عصر المفاعلات النووية

في كرتنا الأرضيةِ المعلقةِ في الهواءِ كالشصِّ.

❁ ❁ ❁

اعتراف

تُرى
لماذا قال السيد وهو على الجلجثةِ إيلى إيلى لم شبقتنى
ألم يكن يعرف أن السماء مائدة من ورق
والأرض كرة من المسامير؟!

❁ ❁ ❁

غيظ

على رأسي وضعت قبعتيْ
ولبست معِطفي الواقي من المطر ورحت أتوكأ على عصاي
فجأة لم تمطر السماء
وطلعت الشمس.

❁ ❁ ❁

واقعية

رأيت صورتي في إحدى الجرائد اليومية مرميةً على الأرض
والمارة يدوسون عليها بالأقدام
فقلت أي جدوى من قراءة ماركس وهيجل والقديس أوغسطين
وماذا يفعل نيتشه في غيبوبة كهذه ؟!

❁ ❁ ❁

بلاده

في كل يومٍ أذهب لأفتش عنك في السكك
نفس السكك التي تعرف خطواتنا جيداً
والحانات التي سكرنا فيها حتى الصباح
حتى السرير الذي نمنا فيه لم يعد يتذكر أي شيء.

❃ ❃ ❃

ثامار

ثامار
هذه المرأة اللعوب
التي أشعلت النار في جسد يهوذا ووقفت على الطرقات تنتظر
ماذا يفعل الخاتم في إصبعين من الحليب لا يجيدان سوى حرق اللذة.

❃ ❃ ❃

رعشات

على الطرق الجبلية الصعبة وقفت تنتظر عاصفةً
هبت الريح وكنست ثيابها بأسنان قويةٍ
جسدها بمفردهِ
وقف يرتعش مثل صنارةٍ.



عطش

تعالَ !! انظر إليّ يا حبيبي
وأنا في الصيف
انا واقفة على الطرقات كنحلةٍ غريبةٍ
دخلت بستاناً من الزهور دون أن تبل ريقها.

❃ ❃ ❃

خزّاف

يداكَ صنعتاني وكورتا روحي
أنت صببتني على قالبك
يداكَ كورتاني بالليل والنهارْ مثل حبة حنطةٍ
متى تفرغ أيها الخزّاف من عمل يدك.

❃ ❃ ❃

صلصال

يدكِ مبلولة بعجين الأمس
وأنتِ في ثيابك الزرقاءْ
تنشفين اللذةَ بلسانك الأرجواني
ساعداكِ يرفعانِ عبء النهار.



مماحكه

أتجادل مع الهواء في المبردةِ
أتجادل مع الشمس في الظهيرةِ وأقول
هذا الصانع أبداً لا يتعبْ
ولا تتعطل ساعته الميكانيكية !!

❁ ❁ ❁

حليب

حين وقفتْ ثامار على الطرق أخذت تعجن الهواء في ضفائر
وتجلس على الأرصفةِ مثل نعجةٍ تثغو
في انتظار أن ينتفخ الهواء بالرغبةِ
وتضجّ الأرض بالحليب اللذةِ.

❁ ❁ ❁

سالومي

سالومي التي تخلع ثوبها الأزرق وتدخل إلى عرشها في الليل
لتتعرى بحريةٍ كاملةٍ أمام رأس يوحنا المعمدانْ
كانت تعرف أن تاريخ العالم يصنعه الجسد الإنساني
على طبقٍ من اللذة العتيقةِ.

❁ ❁ ❁

المجدليه

ماذا قالت المجدلية بعد ما غسَّلَتْ قدميْ المسيح الداميتين بدموعها الخضراء
وبعد أن شبعت تماماً من اللذةِ وإندلقت الخمرة على الأرض
هل كانت تفكر في الثالوث المقدس
أم في جدل التاريخ حول الآب والإبن.

❁ ❁ ❁

مصاهرة

دينه تسهر طوال الليل
ويعقوب في القفص
وسوائل اللذةِ آنية من زجاجْ
شكيم وحمور يرغبان في مصاهرة العدم.

❁ ❁ ❁

مراوده

خاتمك قالتْ
وعصابة رأسك
عصاك التي في يدك وخبزك الذي في مخلتك
حتى أخرج من ترملي وأصير معزتك !!



زهر

لمَ تجز غنمي ، لمَ تقطع عني مياه أنهارك
أنا ضريرة على السككْ
وأنت كأسي الفارغة التي لا يلعب فيها سوى الذباب الأحمرْ
سرتي ملآنة زهرا.

❁ ❁ ❁

صوى

لمْ نخرج من هذا الطريق ولا من سواه
لا توجد علامةٌ واحدة أو صوى
صحراء واسعة وبلا نهايةٍ
أهذا هو كل ما نملك في هذه الرحلةِ.

❁ ❁ ❁

وصف

حرة أنتِ كنجمةٍ على المحيط
صلبة كلؤلؤةٍ تخرج من الأعماق
لينة كطينةٍ من صلصالٍ
هكذا رأيت صورتك التي على السحبْ.

❁ ❁ ❁

امرأتان

دينه ، ثامار
شجرتانِ ضاربتانِ في اللذه
عصواهما اللتان تستخرجان الماء من الينابيع
تُسقيانِ من عين الرغبةِ.

❁ ❁ ❁

بقع

أشعلتُ شمعةً وحيدةً وجلست في الظلامِ كي أراكِ
ولم تكوني هنالك أبداً ، كانت ضحكتك التي ترنّ في الوحدةِ
وصدرك الذي يلعبُ النرد فوق طاولةِ جسدي العطشان
فيما يداكِ تتركانِ على قلبي بقع حبك الناشفهْ.

❁ ❁ ❁

أخبار

في البناية المقابلة
تقف امرأة وطفل
الطفل يلعب بالفراشاتِ
والمرأة نفسها فراشهْ.

❁ ❁ ❁

العذراء

أيتها العذراء المقدسهْ
ألا تتوقفين قليلاً عند ناصية الشارع
لأسألك فعلاً هل حدث ما حدث
ولماذا ابنك بالذات وماذا كان يفعل يوسف النجار أنئذ ؟!

❁ ❁ ❁

عوالم

تراكتورات ، كولوخزات ، رأسمالية ، امبريالية
فاشية ، اشتراكية ، حربان عالميتان
- ٧٠ مليون من القتلى ، ١٠٠ مليون من الجرحى -
فلماذا كل هذه الأساطير حول رجل واحد مات منذ ألفي عام ؟!

❁ ❁ ❁

أسطورة

سبع بقراتٍ ثمانٍ
وسبع بقرات عجاف ، زليخة ، المرأة المصرية اللبؤة
تلك هي الحكاية العبرانية القديمة ليوسف مع فوطيفار
ليت أن الإسمعيليين لم يبيعوه في برَّ مصر.

❁ ❁ ❁

نحّات

يستطيع أن يعمل نحاتاً
ولكن لا خشب لديه أو ملاطْ
فلماذا يحاول أن يصنع منحوتةً من الهواءِ المحضِ
لامرأة تتجول عاريةً في الحديقةِ ليلاً.



لهاث

على الرصيف المقابل جلست امرأة
وتعرت بكامل ثيابها
الفخذان ، والردفان ، والسرة
في المقهى كان ثمة كلب يلهث.

❁ ❁ ❁

حساسيه

تحسستْ راحة اليد
مررّت يدي على السرة والردفين والقمر المنشق
تفتحت عناقيد الشهوة على الجدران
حتى أورقت كافة النوافذ.

❁ ❁ ❁

أناي

أناي التي تنام إلى جواري
تستيقظ في الصبح مغتسلةً من الهموم
وتجلس قبالتي على المائدة لتقاسمني الخبز والملح
صانعةً على الدوام حواراً غير متكافئ.

❁ ❁ ❁

نيتشه

لماذا أحب نيتشه سالومي ، ولماذا هذا الإسم بالذات
هل كان نيتشه يكره يوحنا المعمدان إلى هذا الحد
أم أن سالومي التي تعرّت أمامه ليلةً بكاملها
لم تكن تجيد سوي العزف على آلة الكمان والجسد.

❁ ❁ ❁

شراع

في الحياة التي نحياها يوجد الكثير من الحب
والكثير من الجنون كذلك
أنا وحدي اقف في العاصفةِ
مثل شراعٍ مثقوبْ.

❁ ❁ ❁

تحديق

حدقت في اتجاه الريح
وفي اتجاه البحر
كانت الكلمات تخرج من الفم مثل الطيورِ الهاربة
والفراشات تأتي ميتةً إلي الشوارع.



خبز

لمَ لا يكون هذا النهار كسابقيه
الشروق ، الضحى والغروب
وأنتِ لا تأتين أبداً
في الطريق خبز يحترق.

❁ ❁ ❁

وقوف

لمْ تأت هذه الفراشة أبداً لتحطّ على بابي
غير ذلك اليوم
أعرف أنك التي أشارت إليها
أن تقف أمام منزلي.

❁ ❁ ❁

تململ

على قبرٍ بلا مشاهدةٍ
يحطّ غراب أسود
صبار على صبار
وفي الداخل عظام تتململ.

❁ ❁ ❁

إغواء

أركلي الباب بقدميكِ العاجيتينْ
خبئي في جيب بنطالك الرمادي قمرنا الأخير
اتركي ثدييك ينتفضانِ كرمانتين بريتينِ
بين راحتي يدي المعلقتين على عناقيدك المتشابكهْ.

❁ ❁ ❁

وداع

في النهار الأخير لعملية الصلبْ
لم يطلب المسيح أي شيءٍ سوى كأس صغيرةٍ من الماء
وطبطب على كفل المجدليةِ بيديه الحنونتين ولمس شعرها الأسود
ولم يلق نظرة واحدةً إلى أمه التى تحترق.

❁ ❁ ❁

أفلاطون

في كهفه كان أفلاطون يرى العالم مقلوباً
الأرض في السماء ، والسماء في الأرض
وعلى طاولته المستديرةِ وأمام رقائقهِ كان يعلم تلاميذه
أن نظرية المُثُل أسطورة مستعارة من فن النحت.

❁ ❁ ❁

حاله

شمعه
شمعتانِ ، ثلاث شمعاتْ
طاولة من خشبٍ وإردواز
والمغني الضرير يقف غريقاً في غرفةٍ من غبارْ.

❁ ❁ ❁

فجر

ذات فجر
أخذت أتجول في شوارع القريةِ بمفرديْ
كانت البيوت مقابر
ولا ضحكة واحدة ترن على الطرق.

❁ ❁ ❁

تجوال

صفصافة ماثلة على البحرْ
وبئر ماء يجف
وحدها الشمس تغسل ثدييها بيدين عارفتين
وتتجول عاريةً كسمكةٍ على السكك.

❁ ❁ ❁

استراتيجيات

من يقول إننا لم نلتق عصر ذلك اليوم
ألم أصنع من جسدك قارات وموانيء
ومن شفتيك العنابيتين غرفة لممارسة الحب
ومن صدرك الرحيم ملجأً للاستراتيجيات.

❁ ❁ ❁

ري

قبل أن تغسل المجدلية قدميْ المسيح الداميتين
كانت تعرف أن جسدها غرفة مؤجرة لكل عابر سبيل
وأن حقلها الواسع شسوع الصحراوات
غرفة صالحة للزهور واستنبات كافة الحكايا.

❁ ❁ ❁

١٨ / ١٠ / ٧٨

في ١٨ / ١٠ / ٧٨ ماتت أمي بسرطان الرئة
ورحت أمشي في السكك مثل كلبٍ أعمى
ومن يومها وأنا أصرخ إلى الربَ بملء فمي
لماذا أعطيتنا جرة معطوبة.

❁ ❁ ❁

فلاسفه

نيتشه ، أفلاطون ، شوبنهاور
سقراط ، هيدجر ، كيركجارد ، كانط
غزاة الشمال أولئك الذين حاولوا اكتشاف قارة السماء
أو إشعال النار فيها ، الم تكن هناك مكنسة في يد الله ؟!

❁ ❁ ❁

الما وراء

منذ أن تم صلب المسيح قبل ألفي عام والعالم هو العالم
والبشرية في كل يوم تفتش عن مسيح جديد
لكي تعلق عليه شماعة أخطائها
وكأن الزمن يمشي إلى الوراء دائماً أو ينام خارج المقهى فارداً ذراعيه.

❁ ❁ ❁

جيره

أمام الفرن في الدار الكبيرة
كانت أمي تشعل الحطب وتعد لنا الخبيز
ولم تكن تكلم أحداً
سوى جيرانها من عرائس النار واللهبْ.

❁ ❁ ❁

دأب

ذات يوم صنعت لي أمي دميةً من الخشبْ
ومن يومها وأنا أعمل نحاتاً للفراغ
وفي لحظات الألم والضوء
أبحث عن آلهةٍ مكسوره.

❁ ❁ ❁

دراجه

ركنت دراجة الهواءْ
ورحت أصعد سلالم البيت درجةً درجه
لم يكن هناك غير جدّي الذي يجلس أمام الدار مثل جذع نخلةٍ قديم
وفي يده مسبحته التي يحصي عليها سنوات عمره التي تساقطت كالأسنان.

❁ ❁ ❁

نشاره

تُرى أين أنتِ يا حبيبتي
وفي أي فراشٍ تنامين حاضنة طيورك الزرقاءْ
أنا أعرف أنك تقدَّمين جسدك ذبيحةً لكل عاشق
ألم تكوني في يومٍ مجدليتي.



حداثه

لعبة التواطؤات الدولية ، صابون الغسيل المبرمج ، تزييف العملات الورقية
ملايين الجوعى والمشردين ، الأصولية الجديدة ، والمحافظون الجدد
عمليات الإبادةِ الجماعيهْ ، والانتقام الرجعي للرأسماليةِ المتوحشة واقتصاد السوق
ألا يكفي أن نحمل عبء الجسد كله.

❁ ❁ ❁

إصرار

على الفخذ البرونزي المسبوك كشجرة اللوز
أخذت المرأة تدق الوشم للرجل الذي تحبه ولم تشأ أن تقول له الوداع
أو أن تمارس الجنس في صالة الجيمانيزم
فقط لكي يظل الجسد على حالةٍ من الوعي.

❁ ❁ ❁

صباحات

في صباح جميل كهذا لا أجد ما أفعله
سوى أن أجلس على الرصيف المقابل
وأمدّد رجلي في الفراغ الغويط وأتودَّد إلى الهواء المناوش
وأقول لنفسي : ها ، ها ، ها لا جديد تحت الشمس.



قأقأه

في الشوارع المقفرة
تكنس المصابيح العتمة من على جلابيب الليلْ
ولا يتبقى على الأرصفةِ سوى غربانٍ سود
تقأقيء على كل نأمةٍ.

❁ ❁ ❁

النوافذ

في إحدى كتبه قال العلاّمة محي الدين بن عربي العالم خيال
أدركت هذه الحقيقة وأنا أفتش في صندوق أمي القديم ، كان ثمة خلخال
وعقد من الكهرمان الحجازي ، وطرحة زفافها التي أكلتها العثة وبضعة أدعية
وخاتم الزواج وضحكتها التي تركتها على النوافذ وشالها الأخضر.

❁ ❁ ❁

مستوطنة

يا سيد كافكا ألا تجلس قليلاً معي
لنشرب الشاي في إحدى هذه المقاهي ، أو ندخن الشيشه حيثما اتفق
ولاتقلق بشأن العالم أو وحدة الوجود
ولنضحك قليلاً على الدودة الهائلة ومستوطنة العقاب هذه.



لعب

قطط الفراغ التي تلعب معي الدومينو على نفس الطاولةِ
وتشاركني الوحدة والأطباق والملاعق
الشَّوك والسكاكين ، الأغطية والشراشف
وفي آخر الليل تغلق كافة النوافذ وتبدأ في الغناء فجأة وهي تلعق أصابعي.



جميزه

هناك وعند الساقية المهجورة كانت تقف شجرة جميز راسخةْ
لطالما صعدنا فوقها وغنينا ، وأكلنا من ثمرها المعطوب وركعنا تحتها بامتنان
وكتبنا على جذعها الغليظ أجمل الأشعار لحبيباتنا الجميلات النائمات
الآن ، تقف هذه الشجرة مثل حارس أعمى قبالة فنار معدوم.



حيوات

في سنواتنا الناشبة كنا نجمع الحطب والقمامة من على الجسورْ
ونجفف القواقع النيئة حتى نأكل عظامها ، ونصطاد السمك بالشص من النهر
وننقِّي اللطع من علي أوراق القطن المصابة، وكنا نسخر من الموت المجاني
وهو يمشي في شوارع القرية كاللص ونحن نحتضن الحياة بمجرد النظر.



غناءات

كثيراً ما صنعنا من أعواد الحطب والبوص أغنياتنا البسيطة المجوفهْ
وصنعنا بأنفسنا هذه الموسيقى التى تتسق مع لون جلابيبنا
الموسيقى التى تخرج من الهواء لتصنع الهواء
وهي تخرج من أفواهنا كالذهب الحارِّ في حلقاتٍ ودوائر.

❁ ❁ ❁

استحالات

كم أتمنى أن يعود بي الزمن إلى الوراءْ
لأجلس قليلاً على العشب مثل ذئبٍ بري
وأتمرغ على الأرض العطشى ،وأشم رائحة الطين في الفجرْ
وأشرب من يد الليل البردانة القليل من الندى حتى تنتصف الظهيره.

❁ ❁ ❁

أميره

أميره !! يا أميره ، كحل عينيكِ أغراني بالذهاب خلفكِ في السكك
صوتك مازال يرنّ على شباكي في الليل
حتى تحولتِ إلى نجمةٍ لا تطلع إلا ليْ
حوِّلي عينيكِ عني فهما قد غلبتانيْ.

❁ ❁ ❁

أنثى

بيدين صلبتين وجسدٍ منهمر تقبض أنثى العنكبوت
على فراشاتِ الجسد الجامحهْ
وفيما يتفحم الجسد في حفرة الجسد
ولا يتبقى من غثاء الروح سوى الهيكل تخرج الوردةُ منزلقةً.

قلوع

هللوا يا ، هللوا يا
سوف يبحر الجسد من مرافئه الصغيرةِ المجهولة
ولا يلقي بقلوعه العملاقة ومراكبهِ إلا على سواحل اللذة
وذلك بعد أن ينقِّي شجرته العالقة من الأساطير.

❁ ❁ ❁

اندحار

صورتك نازلة على الدرج وفي يدكِ الكمان الذي
يتعطل أمام عينيّ
إليكِ تتطلع نفسي باشتياق فيما هي تصغي إلى موسيقى جسمك ذات الجلبةِ
وأنا أتلصص على ردفيكِ الكوكبيتينِ وألحس عرق إبطيكِ كالدرقهْ.

❁ ❁ ❁

منازله

أيها الموتُ الرنان فلتأتِ وقتما تشاء وعندما تريد
في شكل جعرانٍ أسود ، أو حتى سحليةٍ جبليةٍ
فلقد تركت لك – على المائدة – بيضتين فاسدتين
وأقل من ٧٠ كيلو جراماً من اللحم المخلوط بالنفايات.



تعليمات

أحبب قريبك، لا تشتهِ امرأة جاركْ
أدر خدك الأيمن ، لا تقتل ، لا تزنِ ، لا تسرق
اعطه الثوب كله ، ملكوت السماء أضيق من ثقب الإبرة ، طوبى للغرباء
هذه هي تعليمات المؤسسة ، ومن يومها والعالم مملوء بالخراء.

❁ ❁ ❁

اختراعات

أخترع وردةً ، وأخترع بيتاً وأصير خزافاً
أخترع نافورة حمراءْ
وأجلس إلى ظل الشمس
تنبهني إلى عمل الساعات.

❁ ❁ ❁

شرخ

في الزمن
تأتي الأشباح متراكضةً فيما تمسك بين أصابعها بمزامير الوحدةِ
وعلى طاولات المجاز والفحمْ
يقف النهار مصلوباً.



أناه

أنا من يختلس النظر إلى الظهيره
أنا من يحمل فوانيس العتمه ويمتليء بالشك
أنا من يرقب ولوج الليل في النهار ، وولوج النهار في الليل ودون أن ينتبه
ومع ذلك أظل أصفق لطيور العدم الهرمة وهي تعبر الأنفاق السرية لليلْ.

❁ ❁ ❁

ترنسندنتاليزم

ظهيرة الغد ، ظهيرة اليوم ، ظهيرة الأمس
كلها أوانٍ من النحاس المستطرق التي تعكس السماء بنافوراتها اللازورديةِ
فيما تكتب على حجر الصوان والملح ، جبالك أعلى من الموج
موجك أعلى من السماء ، سماؤك أعلى حتى من جبل الموسيقى.

❁ ❁ ❁

خرزه

إذ يقف النهار غريقاً على بابِ غرفتي أقول له أين هي امرأتي أيها المراوغ اللص
أين هي فراشاتي الليلية التي تقف مبلولةً على صخرةِ المدى
لا شك أنك تحمل في طيِّ جلابيبك خرزة الروح الهرمةِ
التي تفتح لطيور المحيط حدائق النسيانْ.



الظل

الظل يسمع وينحتْ
أما الأشجار
فتنام عاريةً
في إنتظار عمل المكانسْ.

❁ ❁ ❁

نحر

كثيرة هي الوطاويط التي تنحر في مؤخرة الرأسْ
وتنام على المخداتِ مثل عمل الطحالب
كثيرة هي المصائر المجهوله
التي تمسك بالفراشاتِ والضوء.

❁ ❁ ❁

خزفيات

بين الفخذين اللدنين يسكن قمر السماءْ
فيما تتناثر النجوم تحت نعليك أيها الطائر الخزفي
جسدك طاووس ويعشق العزلة
دعيني أتجول بمفردي بين حدائقك أيتها التفاحةُ.

❁ ❁ ❁

تغلغل

صغيرة هي أحجارك التي ترصِّعين بها صدرك الجميل هذا
أريد أن أظل في إحدى هذه الغابات
وأتغلغل في داخل المسام
حتى أشرب من عبير كرَّاساتك.

❁ ❁ ❁

أطياف

القواقع التي جمعتها هناك من أعلى الشاطيء ووضعتها على السلّمِ
كان هنالك الفراغ الذي ينصب شبكته الدمعية المجوفة
لاصطياد كل تلك الفراشات التي راحت تواصل الغناء بعينٍ منجرحة
بحثاً عن خيمةٍ هائلةٍ كانت تسكن هناك على شاطئ بحر.

❁ ❁ ❁

عجائز

أدعية العجائز
وهن يتذكرنَ رائحة الموتى
- قبل أن يصيح الديك ثلاث مراتٍ -
كن يتأملن رائحة الزمن بيدهِ الخشنهْ.

❁ ❁ ❁

أيتها النائمة

استيقظي أيتها النائمة تحت الفجر
فعلي فراشك الوثير جمعتنا الصدفة العمياء ذات ليلة
فاكتشفنا أن الجسد بحد ذاته بحر وما له من محيط
أوله كآخره وفيه كل السفن غرقى

في الطريق إلى دمشق

متاهة إبراهيم

ترى
لمَ كل هذا الليل
لمَ كل هذه الغيوم
أنا وحدى أسير فى السكك التى تختلط بالرمل
أقطع الليل فى النهار
وأقطع النهار فى الليل
لا نجوم لى فتلمع فى الأفق
أركض باتجاه البحر ولا أمسك بغيمة
أتوكأ على عصاى لأهش بها على خياناتى
أحياناً
يخيل إلى أن هذه العصا ثعبان
وأحياناً أهش بها على مخاوفى المتراصه مثل جبل
وتنمو على وجهى مثل فطر بثآليلْ
وجهى الذى خددته السنوات
وأهلكه الحر و القر
لمَ كتب على – وحدى – أن أواصل السير
فى السكك التى لا تنتهى
أما آن لهذا الحزن أن يتوقف
أما آن لكل تلك الغيوم أن تنقشع
أما آن لكل هذه الغربان التى تزعق فى أرض روحى
أن تبتعد
ليعود لى هدوئى
وتلمع شفتى مثل قصبة

لماذا خرجت من أرض أور
بلا كسرة واحدةٍ من خبز
أو جرة صغيرة من ماء
أخرج إلى هنا
إلى بلوطة ممرا
ومن بلوطة ممرا إلى أرض جاسان بمصر
ما هذه الأحلام التى تعشش فى الرأس كالوطاويط
والنمل
وتمشى على جدران خيمتى كالسحالى
ما الذى كان يتربص بى طيلة كل هذه السنوات
كان أبى آزر يحرث الأرض
ويزرع الشعير
والقمح
وفى الليل كان يضمنا إلى فِراشه
مثل دائرة من الحَب والنوى
وعندما يفرغ من عشائه
كان يحكى عن الزمن
وآلهته الرائجة
كان يضحك بملء فمه ويقول
أنا صانع الآلهة الوحيد
فى أرض نينوى
وأور !!
أمي كانت تحلب الأغنام والنوق
ولا شئ – يجمعنا فى آخر الليل – سوى الحكايات
والنبيذ

كانت أرض أور
تفيض باللبن والعسل
لم يكن ينقصنا أى شئ
وكانت الحياة تسير مثل عجلة إغريقيةٍ
ببطءٍ
ولكنها تسير
ولم نكن نخشى من الآلهة أى شر
كانت الآلهة قريبة منا
تنام تحت أسقف بيوتنا الواطئة
وترقد فى حظائرنا مع الماشية
وفوق أسرتنا المصنوعة من الطين والقش
لم تكن تكلفنا أى شئ
سوى قطع الأحجار
ومجموعة من المسنات
والمناشير
وفى ضوء النهار الجاف
كان يجلس آزر أبى لينحتها بعناية وحذق
فى فمه أراغيله
وبين شفتيه بضع أغنياته التى يطيرها
كاليماماتِ
والظل
ما الذى حدث يا إسحق
ما الذى حدث يا ساراى
أيتها الزهرة البرية الجميلة
وأين أنت يا هاجر

أما كنتِ تسكنين هناك فى وديان مصر
بلاهم واحدٍ
أو حتى منغصات
ما الذى جعلنى أتركك هناك
فى كل هذه الصحراوات عارية هكذا
بين الوحوش الضارية
والظمأ القاتل
عن أى شئ أبحث أنا الغائص فى المتاهة حتى النخاع
لم أعد أنام بالليل
وبالنهار أتصلب مثل قشةٍ
كم عانيت وأنا أقطع هذه البرية القاحلة
التى يضل فيها النجمْ
وتغرق فيها الشمس فى المجرة
هل يكون ما أراه وهماً
هل يكون ما أسمعه تهجيس شيطان
ما الذى حدث يا ساراى
ليس فى جعبتى سوى الصخر
والحصى
فى فمى تسكن الوطاويط
وتحت رأسى تنام الكوابيس
كالقطط والسحالي
أحياناً
وأنا أجتاز الصحراوات
أضيق من روحى فى الواقع
كانت صرخاتى تصّاعد إلى سقف السموات
فلا تصل إلى شئ

أريد أن أثقب جلد الأرض
أريد أن أمسك بكل هذه المتاهة من الرمل بين أسنانى
وأطوح بها إلى العدم
أن تكون لى القدرة اللازمة
لأكسر حجر السموات كالرحى
أريد أن أفرك النجوم بين أصابعى
لأ ذريها على المنحدرات
والأودية
أن أدشدش الجبال السامقة
فى بوتقةٍ
بقبضة من حجر
أن أطحنها تحت قدمى
مثل حبة من خردلٍ
وأتركها هناك فى المستنقعات
لتجف
لمَ هذا الهلاك
أريد أن أوقف حركة الأفلاك هذه
فلا تسمع أو ترى
لا تدور أو تهتز
أن أطفئ الشمس بيمينى وبنفخة من شفتى كالسراج
أدفن القمر
فى غيابةٍ
كثيراً ما راودتنى هذه الأفكار
أن أدفنكم فى قلب هذه الصحراوات

أنت يا إسحق
وساراى أمك
العاقر
العقيم
أتخلص من كل هذا الذى يشوش علىّ أيام حياتى
ويجعلها كالبصل
واللفتِ
ويعوق مسيرتى نحو التحرر الكامل
والخلاص
خلاص روحى
وخلاص نفسى التى تتآكل بلا يقين واحد
أتقدم لكن إلى أين
فكرت أن أتخلص من كل ما أملك
لأعود إلى العدم مثلما جئت
أتخلص من أغنامى وإبلى
وأجلس على صخرة اليأس الرّنان هذه
لأنتظر قدرى
ومصيرى
قدرى الذى يتربص بى مثل شص
وينتظرنى هناك على أعلى المنحدر مثل هاويةٍ
وذلك
بدلاً من أن أقودكم هكذا
وعبر برية الهلاك والمر هذه
وفى كل مرة
كنت أصاب بالجزع والنسيان
مثل أعواد الخروع الناشفةِ

وأكياس الملح والندم
كيف يمكننى يا إسحق
وبعد كل هذه السنوات
أن أقطع شعرة واحدة من رأسك أنت
أنت الذى انتظرتك لسنوات
وسنوات
مثل كبش أطلس
أو غيمة تمطر
كلت عينى من النظر
وأذنى من السمعْ
وتقلقلت صخرة روحى
نحو المنحدر
وها أنذا أقبض على اللا شئ
لا أسمع سوى وسوسة العدم تملأ روحىْ
قلبى مثل حجرْ
وروحى حقل أشواك
وغيوم
لمَ كل هذا يا إسحق
وماذا أمثل أنا فى هذا العالم يا بنى
لم يكن يشغلنى أي شئ
سوى أن أنتظرك أنت
مثل فراشة بريةٍ
أنت يا إسحق
كنت أتشقق مثل رملةٍ بائسةٍ
وأطارد كوابيسى الليلية بأسىً بالغٍ
وصُراخات

وكانت أمك مثل هذه الفجاج
عذبة
وحارقهْ
هل يطرح الحسك عنباً
هل تتفجر الأنهار من الصخر
هل تخرج فراشات الضحى من العدم
رحماك أيتها الآلهة الكسلى
أين غلبتك يا موت
أين شوكتك يا جحيمْ
أحياناً
كنت أضحك وأقول
أنتِ يا ساراى أرض ممحلة
وبلا شجرة خضراء
أو حتى خبيزة
ناشفة!!
لم أكن أبصر فى كل هذه الصحراوات الكليلة غير الظمأ
والموت الذى يطاردنى كالخفافيش
أرض حيات
وسحالى
وحين يَجِنّ الليل كنت أقارن بين أمك
وهذه الصحراوات يا إسحق
ثم أجلس أمام باب خيمتى مثل عاطل عن العمل
أنظر إلى تماثيل آزر
أبى
بأيديها الضارعة
وشفاهها اليابسة

أقدم لها الخبز فلا تأكل
أقرب منها الماء فلا تشربْ
وباحترافاتٍ
وتعزيةٍ
كنت أصلى لها صلواتى التامة
فلا يستجاب لىْ
ما هذه التماثيل يا أبى؟؟
لم تكن تبصر أى شئ
ولم تكن تسمع أى نداء لىْ
هل أنا ذرة من الغبار يا إسحق
هل أنا ورقة ناشفة
وعُصافة
تحملها الريح حيث تشاء !!
كنت أبكى
وأبكى
إلى أن تخضر لحيتى مثل قرد
وأشعر أننى مثل نافورة تغلى
فلا يغمض لى جفن
وفيما ساراى أمك تغطّ فى النوم
مثل عظاءة موحلة
كانت تستجمع الأحلام بين فخديها
كالياقوتةِ
إلى أن يطلع الليل من الليل
والنهار الأبيض من الفجِرِ
وكنت أنكش الرمل بأصابعى
إلى أن يجف حلقى

ومن فرط اليأس يا إسحق
كنت آكل الرمل كالنقانق
وأمضغ الحصى تحت لسانىْ
كأجنحة الجرادِ
والقش
إلى أن تنطبخ غابات من الفطر
والطحالب الوارفة
فوق شفتى
أحييك أيتها الصحراوات المتقشعة
أيتها الأيدى العبثية للفراغ اللانهائى
أيتها الصلوات المقدمة إلى العدم
واللا شئ
أنتِ
أيتها الطرق الملتوية
والمتاهة الضارية
لمدخل الجحيم حقاً
أرفع يدى لأحييك بقسوةٍ
فى الوحدةِ
ومنذ سنوات
وأنا لا أبصر سوى طائر العدم الرجيم هذا
وهو يخيم علىّ بأجنحته الهائلة
ومناقيره اللا تعدّ
وهو ينقر أرواح آبائى
وأجدادى
تلك التى تظهر وتختفى مثل قططٍ مقوسةٍ
فى الفراغ اللانهائى

لم أسمع سوى أغنية واحدةٍ
ومن فم امرأةٍ بشهواتٍ تتردد
عبر الأودية
والمنافى
وعلى مصبات الأنهار ومجارى المياه
كنت أرى الموت جاثماً
وهو يرقص بخفة
طائرٍ
أعمى
كنت أبصر الضوء وهو يطير فى السماء كالمنافير
القمر فى انبزاغه
وهو يتلصص على الأرض
بخياناتٍ
وحصى
النهار وهو يتلكأ على قفا الليلْ
بشموعه التي لا تنطفئ إلا تحت قدميّ
مثل نمل باردٍ
ماذا أفعل فى رحلة الجوع والنسيان هذه
تلك الليالى الطويلات التى أكلتنى فيها الحمى
بفمها العنكبوتىْ
وأرجلها المخاطية السيالة
ماذا أفعل فى دوامة البحث المتواصل عن القوت
والجراد
تحت الأشجار الناشفةِ
والمستنقعات؟!

ما الذى أفعله هنا وفى أرض الكنعانيين القاحله هذه
لقد تركت أور بأبنيتها الشامخة
ومجراتها
بآلهتها المنحوتة من الحجر والصخر
بنسائها الأسطوريات المغسولات باللبن والعطر
على أرضها الموشومة بحليب العصافير
والنواقيس
لقد تركت ذكريات طفولتى
وأحلام سنواتى الضالةِ
ماذا أفعل أنا
بأشجارى العالقة فى الذاكرةِ كالشهيق والزفير
بأيامى التى أحملها فوق رأسى كالبقجةِ
أور الكلدانيين
بشوارعها المسقوفة باللذة
والتضرعات
ونسائها المتشحات بالشهوةِ
كالجنس
ويتلاعبن بالظل
والشمس
كإناث الخيل
والسمك
أين ذهبت كل هذه الصلوات التى كنت أمارسها
عبر الألم
واللذة
مربعات الكسلِ
والظل

ساعات الضحك

والنسيان

لم أفكر لمرةٍ واحدةٍ فى كل هذا الهلاك الذى يحيط بىْ

كالثعابين

والغىّ

وأنا أعبر من مفازةٍ إلى مفازةٍ

ومن بئر ماءٍ

إلى بئر ماءْ

كنت أحمل جرتى كل صباح

وأنا أعمل فى بيت أبى كالدواليب

إزميلى على كتفى

وطعم الملح البارد

فوق شفتى

كالنشارةِ

وعبر برية السماوة المهلكة بما يكفى

كنت أحمل حربتى

وقوسى

لقاء ما يجود به على الحظّ

فمرةً أصطادُ أرنباً برياً

ومرةً

ألف شبكتى حول رقبة وعل

أو ظبى

لم أكن لأنكسر أبداً

فى جعبتى

كانت ترقد الأحلام إلى مالا نهايةٍ
لم يكن شغل رأسى أى شئٍ
سواكِ أنتِ
أنت يا ساراى الجميلةِ
وكنتِ
مثل ثمرةٍ ناضجة
ومحرمةٍ فى نفس الوقت
إلى أن يجمعنا سرير واحد فى آخر الليل
لنجف
أو تهدأ عربات الرغبة التى لا تتوقف عن الدوران أبداً
كنت أرى أمك يا إسحق
وأتطلع إلى ساقيها الرائعتين مثل بحرٍ
ساقيها اللتين تشبهان حديقة الخمر
وذراعيها المنحوتتين
من الماس
أتطلع إلى فخذيها اللدنينِ اللذين يأخذان باللب
إلى صدرها المنحوت بعنايةِ صناعٍ ماهرٍ
من الرخام
فيتشتت العقل
ورغم كل ذلك كنت أسأل
ماهى الحكمة فى كل هذا يا ساراى
ولماذا أنت عاقر وعقيم إلى هذا الحد
ولماذا تشبهين فى نومك
كل تلك الصحراوات اللعينة
أيتها الإوزة الجميلة

هل هى لعنة آزر الذى تمردت عليه
وتركته هناك يعانى الشيخوخة
والعجز
تركتُ له آلهته المنحوتة من الحجر
والنحاس
وهربت إلى الصحراوات مثل جرذ
ساراى
لماذا تحولتِ إلى تمثالٍ من رخام وإردوازٍ
وبلا حس
لماذا أصبحت أرضك خربة وخاوية
حتى بلا شجرة لبخٍ
ما هذه اللعنة التى أصابتنى هنا
وفوق هذه الصحراوات الناشفة إلى أن تشققت
فلتذهب إلى الجحيم كل هذه الأحلام
والرؤى
إسحق
ساعدنى على النسيانِ
ساعدنى على أن أقف على قدمى مثل حصوة
متآكلةٍ
بين أطلال نينوى
وزقّورات بابلْ
ساعدنى على أن أكون نغمة أخيرة
فوق قيثارات أور
وعلى بوابات بعل
ما الذى حدث

ولماذا تركت هاجر فى الصحراء مثل بطةٍ بريةٍ
بين غابة الوحوش
والضوارى
أأنا صنعت هذا بيدى يا إسحق
كيف استطعت أن أفعل كل هذا الخراب
الذى يزلزل جدران نفسى
ويهد بنيان روحىْ
أية خيانة لامرأة تعلقت بىْ
لأتركها هناك فى الفضاء الطلق بلا شفقةٍ واحدةٍ
أو حتى رحمة بولدها الرضيع
إسماعيل
أين إسماعيل الآن يا إسحق
روحى تحجرتْ
ونفسى ملآنة مُرا
كيف استسلمت وطاوعت أمك يابنى
وتركت ولدى البكرْ
ليحبوَ هناك على الرمل
مثل صبارةٍ
بلا حبة واحدة من قمح
أو قربة من ماء
أنا
ما تركت لهم سوى جزازات من ردّةٍ
وبقايا ما فى جعبتى من آلهةٍ
لا تغنى ولا تسمن من جوع
أي كائن أنا

إسماعيل ولدى وقرة عينى
ياقوتة القلب
وماء النظر
هل هى الغيرة القاتلة يا بنى بين ساراى العبرانية الشرسة
وهاجر المصرية المطيعةِ
أهو عمى البصر
أم تلك خيانة البصيرة
إسماعيل ولدى الذى تبللت به شفتاى للمرة الأولى
لحظة أن أحسست أن العالم حى
مثل شجرة توت
وأرجوانةٍ
للمرة الأولى يا إسحق
كنت أحس معنى الأرض
والشجرْ
والنبات
معنى النهر والقمرْ
معنى الماء
والظلّ معنى الليل والنهارْ
كيف يمكن لهذه الطبيعة الصامتة أن تنطق
وأن تتكلم
كيف يولد الشئ من اللاشئ
للمرة الأولى أحسست أن أرضى تنتفخ بالماء
أن جراب أيامى لم يعد خاوياً أو خرباً
غنيت ورقصت وطربتْ
أمسكت بقصبة غنائى وغنيت

كان يمكن لى من أجل إسماعيل أن أواصل التعب
والكدح المرّ إلى أن أجعل الصخر يخضرّ
أن أحمل الفأس فوق كتفى
لأشق زند الأرض
بحثا عن الخبز
والملح
وها هى هاجر!!
هاجر التى تركت كل شئ من أجلى يا إسحق
أرضها وأهلها
ناسها ولغتها
حكاياتها وشوارعها
ذكرياتها التى داست عليها
وجاءت معى هنا
لتجف على الرمل
لتواجه الصمت
وقسوة الواقعِ
لا
لم أكن أحمل فى جعبتى أى شئ
رأسى كانت معبأة بالأساطير
والخيالات
قلبى كان مليئاً بالأفكار والخرافاتِ
التى تبيض وتفقس فى الأرحام
كالفراشات
والبراغل
كانت كل هذه الأفكار تعمل فى رأسى كالمسامير والشوك
وكنت أسأل نفسى يا إسحق
من أين أتينا

وإلى أين نذهب فى نهاية الرحلة
الرحلة التى تبدأ من الميلاد وتنتهي بالموت
وما هو النهر الكبير الذى يضمنا فى النهاية
أهو العماء الذى يبلع فى جوفه كل شئ
وما هو المصير المشترك لكل هذه الكائنات
وأين تختفى العوالم
التى تظهر لتختفى وتختفى لتظهر
استنجدت بكل شئ
استنجدت بالسراب والأحلام
كلمت الحصى
وناديت الترابْ
توسلت إلى كل الآلهة المقدسة
من عشتار إلى بعل
آلهة نينوى
وكهان بابل العظام
ولم يحدث أى شئ
ماهى نهاية الرحلة يا إسحق
أهو الموت يا بنى
تلك الحشرة اللعينة التى تقف فى الحلق كالشوكةِ
وتنام فى المخيلةِ
وتطأطئ الرأس
وترقد تحت أرنبة أنفى كالبراغيث
والنمل !!
لمَ كل هذا القدر يا إسحق
هناك أرض تنبت العسل
والدهن

وهناك أرض تنبت الحسك
والشوك
أهو القدر بالضرورة يا إسحق
أم هى البصيرة العمياء
لكل هذا الكون
وأين تكمن المشيئة التى لا تفهم
ولا تبرر
أحياناً
كنت أتطلع إلى النجوم فى الليل
وهناك أمام باب خيمتى
أرى القمر بازغاً
والسموات تتلألأ بالشهب والضوء
تأخذنى الرعدة
وأتغشّى
أسهر إلى أن تطلع الشمس وتضئ الأفق
صدى كل هذه المجرات لم يكن ليصل إلى
إسحاق
ماذا وراء كل هذه الأكمةِ
وماذا يحجب الأفق؟!
من بئر إلى بئر
كنت أقفز مثل طائر الحجل
ومن فلاةٍ إلى فلاةٍ
كنت أهرّ كعظاءةٍ
فى يوم من الأيام نفد الماء منى يا إسحق
وتطلعت إلى السماء ذات الحجبْ
وتحت قدمىّ

كانت الشمس حارقةً
وتلمعُ
والصحراوات تغلى تحت قدمى كالمهلّ
ولا من طريق آخر لأسلكه
لا أعرف أين يكمن الماء لأصل إليه
أيقنت أنى هالك
لا محاله
اشتد الظمأ بأمك يابنى
توسلت إلى عشتار
وبعل
لم يحدث أى شئ
بكت هاجر طويلا وتمرغت على الرمل
ولم تقل أى شئ
كان الموت يفتح أفواهه الألف
ولم نكن نملك أى شئ
سوى سفّ الرمل
والصمت
لماذا أقصيتنا يا إبراهيم من أرض أور
كنا نعمل كالمجاديف
ونأكل خبزنا
كفافنا
بلا خوف أو مجسات
لماذا أتيت بنا إلى هذه الصحراوات المخوفة يا إبراهيم
والفلوات التى لا تنتهى يا ابن آزر
هل أتيت بنا لتغرقنا فى كل هذا السراب
الذى يبتلع كل هذه القفار

أم أتيت بنا لتقتلنا هنا وفى قلب هذه المتاهة
هل أتيت بنا لتجففنا كالبصل
والطماطم
وماذا يدور فى رأسك أيها السيد الطفل
لقد كان هناك الفرات الذي يسيل بالسمك
والعسل
وكانت هناك كل تلك الأرض
التى تمتلىء بالشعير والحنطة
وكان هناك ذلك الضحك
الذى يكلل حياتنا بالنسيان
ألم تكن كل تلك الآلهه التي يصنعها آزر
أجدى ألف مرة من كل أفكارك المجدبة هذه
ورؤاك التى تشبه السراب
والعدم
ذلك السراب الذى يملأ الصحراوات كالرمل
وأحمله تحت إبطى
كالخرزة
عن أى عزاء أبحث لنفسى أنا إلى جوارك
أيها السيد القاحل
وعن أى شىء تفتش أنت أيها الفقمة
لقد تزوجتك لأنك أبن آرز صانع الآلهة
والتماثيل
قلت لى
سوف تزهر حياتنا مثل أرض بسوسنات
ونخيل

وسوف تجدين فى عينى نعمةً وبرا
والآن
هأنذا أموت كالفئران
والسحالى
وسط هذه الصحراوات الموحشة بلا أنيس
أو رفيق
بلا عزاء واحد
أو حتى أمل
أمشى وراء رجل آفل
ولا يعرف أين تقوده أقدامه
فى كل يوم يحدثنى عن أحلام كالمسامير
والقش
ماذا فعلت أنا
لكي أمشى وراءك فى كل هذه السكك
وعلام تبحث أنت طيلة كل هذه السنوات
أنت جديب ومملح
يا إبراهيم
خذ من خشخاش الذاكرة ما تروى به ظمأ نفسك
آه
من روحك الغليظة كالصخر
والحنطية مثل حميض
وقروحات
اجعل كل هذه الصحراوات تنبت لك المن
والسلوى
امش فوق كل هذه الأرض
إلى أن تنبت لك السماء عنباً وزهراً

سوف يجف حلقك
وتتورم قدماك
ولن تصل إلى شىء
أيها الخالد فى الوهم
هل تكون حياتنا يا إبراهيم بجحيم كل هذا السراب
الذى يتراءى من بعيد
اللعنة !!
لا
ليس هذا فحسب
لقد نسيتنى من أجل هاجر
تلك المرآه الـ ...
هاجر
جاريتي التى زوجتها لك
ورحت تلتصق بجلدها مثل علقة
وتعمل على جسدها مثل طاحونة
مخددة
وبكلابات
لم ينفصل جسدك عن جسدها قط
كأنما كانت – هى – البئر لك
وأنت النبع دائماً لجسدها العطشان
وتركتنى
نعم تركتنى فى قلب هذه الصحراوات إلى أن تعفنت
هاجر
أمتى المطيعة
وجاريتى الشفافة
لقد أعطاها لى الفرعون

ومنذ أن أعجب بسوسنات جسدى
ورأى أزهار بشرتى
وشعرى
ولمس بيديه المبصرتين فستقات نهدى
وشرب من حليب أنهارى
وراح يعمل فى مثل فرن
بآلته المجوفة
ووتره المشدود
كالصلب
ألم تقل له أننى أختك يا إبراهيم
وأنا فراشتك البرية
وناقتك الغراء
شمسك الخضراء أنا يا إبراهيم
وسقيفة نفسك
لماذا قبلت أن تقدمنى إليه كالذبيحة
ليشرب من خمر شفتى
وليرتوى من ماء صدرى
فى كل ليلة كان يركبنى مثل عربة مطهمة
وأنا أصهل تحت قدميه
مثل فراشة تجار
ألم تقل له أننى أختك يا إبراهيم
وأنا فرستك النبوية التى حملتها من هناك
من أرض آور
وعبر برارى الكنعانيين تبعتك
وأعطيتك نفسى مثل أرض بمواثيق
كنت لك الظل

والندى
كيف طاوعك قلبك يا إبراهيم
وكيف جرؤت على استحلال جسدى هكذا
وتركت أرضك
وبئرك
لفرعون مصر
يشرب منها كيف يشاء
ويزرعها وقتما يريد
لم فعلت ما فعلت يا شقيق نفسى
آه
لقد كان لى ملك مصر
وهذه الآنهار تجرى من تحتى
أكداس الذهب والفضة تتحرك بإشارة واحدة من يدى
ألف وصيفة ووصيفة تحت أمرى
وطوع بنانى
أصبحت عشيقة الفرعون
وأميرة نفسه المفضله
صار الفرعون كالخاتم بين إصبعى
وأنت
لم تكن تعبأ أو تهتم
كل ما كان يشغلك إبلك وأغنامك
حنطتك
ومحصولك الوافي من الشعير والنخل
ذهب مصر الذى سرقته لك
لتكدسه فى خزائنك

شاهدنى الفرعون وأنا أسبح هناك فى النهر
كنت مثل سمكة برية
وجسدى يلمع كالفضة
شفتاى تستطلعان الشمس
وشعر رأسى يسبح على الماء
مثل زهرة اللوتس
ساراى
لو شئت لجعلتك ملكة وإلهه لكل هذا الشعب
هكذا قال الفرعون لى يا إبراهيم
لو أردت لأجلستك إلى جوارى على العرش
وأطعمتك بيدى
من جرة مائى أسقيك
ومن خمرة أرضي أروى حدائقك باللبن والسكر
هذه الشمس التى تشرق
أنت
والنجوم التى تلتهب فى الليل لى
يا فضتى وذهبى
يا فراشتى البحرية
أبداً
لا توجد امرأة فى كل أرض مصر تضاهيك أنت
أيتها المعجونة بأصابع الآلهه السومرية
وصلوات بابل المقدسة
يا أجمل بنات آور
من خلال شفتيك تنبجس أنهار خمر وعسل
على شراشف جسدك الفذ تنطلق مزامير بشهوة
وكمانات

وفى الليل تهتف فراشات بأغنياتك
يا أرجوحة القمر والشمس
الاقتراب منك جنة بأنهار من عسل مصفى
والابتعاد عنك
جحيم بأفاع
وضواري
حين ألمسك بيدى هاتين
يقف شعر رأسى على كالمسامير
وينتفض جذعى
مثل غابة من ليف
يا لك من طاغية
إذا أراك أهتف
لا أقدر على السكون أيتها الموجة
وإذ تبتعدين عنى ترتبك مفاصلي
وتتخلع عظام نفسى
وأقع فى الخلط
يا شفرة الجنون والنعمة
أنت أيتها الحورية
على عرش نفسى لم تجلس امرأة مثلك قط
لو شئت
لصنعت عرشك على الماء
وأجلستك على مراكب الشمس
بين مركبات فرعون
أيتها المزهرة أبدًا بين النجوم
يا ابنه عشتار
ويا أخت جلجامش العظيم

لم يا رجلى الحبيب فعلت ما فعلت
كنت أحبك أنت
أيها الصحراوى المتلفح بالرمل
والعقبان
كنت أسرق من خزائن الفرعون وأعطيك أنت
من غلال مصر
كانت خزائنك دائماً ملأى
ومن قطعان الماشية أعطيتك فوق ما تريد
يا شقيق نفسى
من غنم الفرعون كثرت لك قطعانك
وأعطيتك المزيد
والمزيد
من أرض جاسان أقطعتك أجود الأرض
إلى أن أصبحت السيد الأجل
والرجل المطاع
وبالليل
كنت آتيك حفية لأتلصص عليك
ولأجلس تحت قدميك
كالنبتة
كنت أشتاق إلى حليب جسدك المر
يا إبراهيم
كما تشتاق كل هذه الصحراوات
إلى الندى
كنت رجلى وسيدى
فى رحلة السنوات الصعبة
والصحراوات المهلكة

كنت أدرك أن كل ذرة من جسدى
تنطبق على كل خلية من جسدك أنت
وفى الليل
كنت أناديك بأعلى صوتى
أيها الحبيب باللذات أين أنت
وما هو مكانك فنطلع إليك
أين هى شمسك لأشمر عن ساعدى
وأقطف خيوطها بيدى
ساعدنى أيها الأمير الصحراوى أنا أسيرة وعبدة
على أى صخرة تجلس أيها السماوى
مثل حبق
وعلى أية مزامير تعزف أغنياتك
شجرك يظلل على
يا غصن زيتونى الأخضر
ولا عزاء لى سوى الطلح
أين أنت
يا صانع الحب والنوى !!
حتى عندما كان الفرعون يقلبنى بين يديه كالعجينة
ويطوى جسدى تحت فخذيه
كالإسفنجة ، حتى
عندما كنت أتاوه من اللذة
وأصرخ بأعلى فمى
مثل فراشة ضالة
فوق أرض مراوغة
كانت روحى كل روحى ترفرف حولك أنت
أنت يا ثلتى ومجدى

كنت أنظر إليك فى سقف الغرفة مثل فراشة تحترق
وأنت تحدق فى بعينيك
العسليتين
الجهنميتين
وشفتيك المشقوقتين بالرماد
والرمل
كلما كان يدعك جسمى بأصابعه الخمس
وأتوجع من الرغبة
كنت أشعر بأصابعك تكلمنى
شفتك تلتف حول سرتى وتهبط إلى قاع روحى
كانت بطنى مثل لؤلؤة تلمع
وجسدى يتشمم رائحة جسدك كالصندل
وأنفاسك علامة على المداومة
ماذا فعلت بك يا رجلى الحبيب
لتفعل بى ما فعلت
قلت لى
إن الفرعون
سوف يمنحك أشجاراً
بدلاً من حدائقى الناشفه
سوف يزرع جسدك يا ساراى بالشعير
والحنطة بدلاً من الحسك
والشوك
أنا رجل بلا بذور
ولا فاكهة
أرض روحى خراب
ونفسى ملآنه تعبا

أعرف أنك سوف تثمرين كما تثمر الأرض الصالحة
أنا رجل معطوب
فقط تحتاجين أنت إلى الدفء
والكلأ
أرضك لينه وخصبة ولا تحتاج سوى بضع حنانات و قطرات
فى جرابى لم يعد هناك أي شئ
ولا حتي عشبة ناشفة
أنا قارة غارقة و بلا سموات أو حتى سحب
كافة قربى مثقوبة ومركونة على الطرق
ليس فى مقدورى أن أمنح جسدى ما يريد يا ساراى
طوال ستين سنة
وأنا أكدح حول جسمك مثل فلاح بابلى
بلا محاريث أو حتى أدوات صيد وقنص
كنت أعمل على بئر خربة
وساقية معطلة !!
ولم تكن بطنك تريد أن تنتفخ أبداً يا ساراى
أنا بئر جافة
وأنت صحراوات قاتلة
وعطشى !!
مطرى لم ينزل على صحراوتك قط
فلماذا لا يأخذك غيرى
لم لا يزرع بساتينك سواى
أنت
أيتها الأجمة
والدغل _
بفأسه

ومحراثه
بأدوات صيده
وقنصه
إن كان ذا يدين مدربتين
وعود صلب
يستطيع أن يشق تريتك الصخرية هذه
أن ينحت هذه القشرة الجافة التى تعلو وجه أرضك
وأنهارك
أن يغرس قمحه وكواكبه في نفس الوقت
فقط عليه
أن يفترعك بمحراثه القوى
ليحيى كل هذه الأرض
حتى تنتفخ التربة
ويخرج الحب والنوي
أرض جسمك التى تشققت
وكان أن فكرت فى إله الآلهه
فرعون مصر
وها أنذا يا سارايتى الجميله أعيش فوق هذه الأرض
كالملك
أخذت كفايتى وفوق ما أردت
وأنت
ترفلين فى الحرير والقز
متوجه تجلسين على عرشك وجسمك
كأسطورة
وحورية
ببضاعة مزجاة
وثروة

تذكرى يا ساراى أيام الجوع والموت
تذكرى تلك الصحراوات الملتهبة التى أتينا منها
ضائعين
ضالين
كانت الأرض تغلى تحت أقدامنا كالمراجل والمهل
وتلتهم سنواتنا الرثه
كالحبق
الصحراوات
التى كانت تنخل عظامنا كالمناخل
تذكرى
تذكرى
أيامنا التى أطلقنا فيها العنان للشهوة والحب
كانت أرضنا مالحة
ومياه آبارنا
جافة
وقائظة
أنت أعطيت جسدك وأيامك للفرعون
وأنا أعطيتك عرش مصر
تخلصنا من قسوة الرمل
ووعورة الزمن
تخلصنا من طائر العزلة اللعين
وسراب الصحراوات المر
تخلصنا من بندول القدر المكفهر
وأحلامنا الجافة
كالزلط
والحصى

وكما أصبحت سيداً ولى أرض
أصبحت أنت ملكة
بتواريخ
وترجمانات
ساراى
ماذا تريدين أبعد من ذلك
أى أحلام لك لم تتحقق يا ساراى
صورك
منحوته فوق معابد أور
وعلى بوابات طيبه
ومنف
لك يسجد كل من فوق هذه الأرض
باعتبارك ابنة الآلهة
وكهنة مصر
تحت إمرتك عجلات بدروع وألوية
من مدينة أون
وحتى قلب طيبه
تذكرى يا ساراى
أنك ما جئت من أرض أور
وسط الصحراوات المرعبة
والوحوش الفراسة
إلا من أجل أن أزرعك فى أرض مصر
أرض الفراعين
والسحر
بماذا نفعتنا كل آلهه آزر

وتماثيل كنعان

ونوارس نينوى

وزقورات بابل

ماذا أعطتنا أساطير جلجامش

وحانات سيدورى

آلهه السومريين

والبابلين العظام

بماذا نفعتنا عجائب نينوى

ذات الألواح

والكتابات المسمارية

هنا فى أرض مصر كأنما يولد العالم للمرة الأولى

كان من الممكن أن نظل هكذا إلى الأبد يا ساراى

عريانين

جائعين

بلا ثروة

أو مجد

الآن

كل هذه الأرض رهن إشارتك أنت

كهنة فرعون

ومعابد أون

وصوامع آمون

لك

أنت وحدك يقدمون الصلوات والأدعية

باسمك ترفع القرابين

وجهك على كل عملة

وصك

كل كاهن فى أون لا يفتتح صلاته إلا باسمك
أنت
أيتها النرجسة الفريدة
يا كنزى الحبيب
ويا لؤلؤة العالم
كل وصيفة لا تنال بركتها إلا إذا ركعت تحت قدميك
وقبلت أطراف أصابعك
ماذا تريدين بعد كل هذا من رجل عاجز
كهل
لا فعل لى أو قوة إلا الخرافات والسحر
أحياناً
ما يتراءى لى عالم غير هذا العالم
وأرض غير كل تلك الأرض
وسموات أخرى
غير كل تلك السموات
أنا أبحث عن روحى
وسط كل هذا الركام
والفوضى
كفى
كفى يا ساراى الجميلة
أنا ضائع بين آلهة آزر وآلهة المصريين
الأفكار تعمل في رأسي كالجواميس الهائجة
والجعارين
النطاطة
أنا الباحث عن شيء ولا أعرف ما هو
أفتش عن الحقيقة وراء كل هذه الظواهر

الظاهر لا يعنى الباطن أبدًا
والباطن لا يكون شكل الظاهر كذلك
الحيرة تأكل روحى
والشك يملأ قلبى
أنا ضائع وأهوى فى الفراغ
لا يقين تحت قدمى لأمشى عليه
ربما
أعود ثانية إلى الصحراوات التى تمثل خيال الظل
وظهيرة المغترب
ترى
أين أنت الآن يا هاجر
هاجر التى لم أطأها سوى مرة واحدة فقط
وأخذت بطنها تنبعج
مثل الكمثرى
وتتقشر مثل تينة
إسحق
إسحق
ساعدنى يا بنى
لساعات فى الليل وأنا أجلس على فراشى
أقضم الفراغ مثل ثمرة حامضة
روحي تتفحم
ونفسى تتقشر كسرطان جلد
وثآليل
على العاصفة أتوكأ

وفى فمى لا تسكن سوى الضغينة
والمرارات
فى رأسى تدور مدن بطواحين
وتنتقل أفكار
وتتقلب جنازات
على باب خيمتى تنطفىء سموات بكواكب
وتزلزل أرض برواسي
وأعمدة
ثمة صلوات تختلط فى قارورة نفسى
وتملأ خراب
أيامى
كيف أضع السكين على رأسك أنت يا إسحق
لم هذا الحلم الذى يتكرر ويتكرر إلى ما لانهاية
أن أذبحك بسكين
أى شيطان يعبث بى
ويضللنى فى السكك
إسحق
يا زهرتى البرية
ويأكل تعب أيامى الغليظة
إسحق
كيف أرى دمك وهو يسير على الطرقات
وبالأودية يختلط
هل يمكن لدمك أن يتجلط تحت قدمى
كالأغربة
والوطاويط

ثمة ثعابين تزحف على أرض روحى
فوق منحنيات طائرة
ودروب منفكة
ووحوش بأنياب وأظافر
تزأر بضراوة
فى المناطق الأكثر نأياً لإنسانيتى المنسحقة
أرى أشجاراً تتقصف
لم أكن نائماً إذ ذاك
رأيت النجوم تهوى فى البئر
وتتعلق بعمود خيمتى
قمرى يسقط فى المحاق وشمسى تتكسر
إلى آلاف الشظايا
كلاباً تنهش عظم روحى الصخابة
ألف أسد يزأر على بعد شبر
من نفسى الضالة
ما هذا الذى أراه يقف متربعاً على قاع جمجمتى
هل أخطأت يا إسحق حين تركت أرض أور
وتهت فى البرية مثل ندم
بأنياب
وكلابات
أتكون هذه النهاية يا إسحق
أم لعنة آلهة أبى آزر
لماذا تركت ورائى كل شىء وهربت إلى الصحراء
عن أى شىء أفتش
وعلام أبحث وسط هذا الركام من الذكريات والقصص
أى هاجس شرير جعلنى أضيع فوق تلك الأرض

كلما أحاول النوم يا إسحق
يلمع النصل تحت جفنى كالوتر والقشة فوق الماء
أسمع صدى الموت
يرن
فى قاع حنجرتى
ألحس دمك بشفتى
وألمس صدى السنوات كالشفرة
أشباحك تطاردنى فوق مخداتى
كالقطط الشرسة
وأمسك بيدى سكينى مثل فأرة نادمة
وتتنطط
ثانية يلمع الصوت
اذبح إسحق
اذبح إسحق
هل يكون ذلك جزاء ما صنعت بإسماعيل أخيك
هاجر
فلذة كبدى وسقيفة روحى
أهى لعنة تلك المرأة تتساقط على
مثل طائر أعمى
لماذا تركت هاجر فى العراء هناك
فى أرض كنعان
بلا عائل واحد
أو حتي رفيق
لم فعلت ما فعلت وطاوعت أمك يا إسحق
أنا ورقة ساقطة

وغصن شجرة منكسر
أنا متاهة الرمل
ولا جذر لى
وأشم الوجع بأنيابى
أسند اليأس بقامتى لئلا يتراجع
وأطارد المتاهة مثل بقة
لم كل هذه الرؤيا الآن يا إسحق
وبعد أن كبرت
وعجزت
بعد أن رأيتك بأم رأسى
وتشممت أنفاسك التى تشبه ورقة الحياة
قل لى
ماذا أعمل هنا فى قلب هذه المتاهة الشريرة يا إسحق
عين واحدة تترصدنى
عين آزر
شمس واحدة تنطفىء تحت قدمى
شمس أمك
كلمة واحدة أحفظها عن ظهر قلب
الموت
شجرة واحدة أغرسها أمام شباك بيتى
الحرية
لم أملك فأساً واحدة لأعمل حطاباً عند أحد
ولم أشرب من جرة جيرانى قط
أين جوهرتك يا صحراء
أين كلماتك يا رمل
أين شوكتك يا جحيم

وأين غلبتك يا موت
أسأل لم تغرب الشمس كل يوم
ولم يشرق القمر كل ليلة
ألا يتعبا أبداً
ألا يتوقفا لحظة
لم تتوارى النجوم والأحلام خلف السحب والدجنة
وبالليل
أتكوم أمام خيمتى كالنسانيس والبوم
بعمل يدى غرست وأكلت
وها أنذا فى شيخوختى لا أجد غير الرمل
والدم
أحياناً
كنت أقهقه مثل حشرة
وأتلوى على الرمل مثل قنفذ
أجفف أوجاعى بالضحك
والنسيان
إلى أين نحن ذاهبان يا إسحق
ألكل ذلك نهاية
وما هى نهاية القصة ؟؟
فى أرض أور
كانت هناك الخمر والنساء
كانت هناك الضحكات الرنانة
والأماسى التى تمتلىء باللذة
فى الأعالى ليس ثمت شىء
من الجالس هناك خلف كل هذه الأشياء
الشجر والرمل الجبال والأفلاك

الحياة والموت
الحشرات والحيات الطيور والأزهار
السحب والكواكب
كل شيء يذهب ليعود من جديد
ولا جديد تحت الشمس
وهنا
وفوق هذه الأرض
لا أجد سوى اليأس والموت
وفئران الحقل
فى أوقاتي الكثيرة
وحين كان يشقنى الضجر إلى نصفين
كنت أكلم الحجر والصخر
ولا يتردد فى حنجرتي سوى الشوك
وأزهار العصافات
حين نزلت من أرض أور إلى أرض مصر
ساومت
وساومت
عملت مهرجاً فى حاشية الفرعون
قدمت أمك وليمة لأعشاب البحر
أطعمت جسدها للكهنة
وكل أصحاب السلطة فى مصر
قلت لهم : هاكم خبزى فكلوه
وهذا زرعي فا حصدوه
حديقتي مشاع لكم
وحسدها
لكل راغب

لم فعلت ما فعلت يا إسحق

والآن انظر

ها انذا وفي نهاية الرحلة أري أني أذبحك

وبعد أن كبرت

واستويت

أأذبحك أنت يا إسحق

أى قدر شرير هذا الذى يتربص بي مثل لص

ويعبث بمصيرى مثل ورقة

و تتدحرج على الأرض

حلم واحد يتكرر كل ليلة

أمام عينى

فى يدى سكينى

وأنت ترقد تحت قدمى مثل نبتة

وأنا أحز رقبتك

مثل كبش

دمك يسيل على الأرض

كالبرك

والوحل

وأنت ابنى

فلذه كبدى

لا تفعل شيئاً أو تقاوم

ترقد مستسلماً لكل تلك القسوة اللا مبررة

وكل هذا الشر

لم أفعل أنا بيدي هاتين ما لم يفعله أحد من آبائي أو أجدادي

لم كل هذا الشر الذى يسكن فى الدم

ويعشش على الأرض
مثل حوت بأنياب
ومخالب
ومن أجل أى شيء قطعت تلك الرحلة اللعينة
من قلب أور العاصية
إلى أرض كنعان الشريرة
بلا ربح واحد أمضى حياتى
خساراتى هائلة وبلا حد
لقد جئت فى الوقت الخطأ يا إسحق
وما جنيت أى شيء
الميلاد مثل الموت
والبداية تعنى النهاية دائماً
ولا جديد تحت كل هذه الشمس
باطل الأباطيل
الكل فى العتمة
والظلمة جاثية
شمس تجنح إلى الزوال
وأخرى تتأهب للطلوع
الليل نفس الليل
والنهار نفس النهار
لعبة واحدة ومتكررة إلى ما لا نهاية
أى هدف
وأى غاية لجهد الإنسان الضائع
تحت عجلة الموت
قبلى قرون مضت
وبعدنا

قرون أخرى سوف تأتى لتخضر من جديد
يا لها من مسرحية باليه ....
وخالية من الهدف
والهاوية تتربص
هل ثمة شيطان يتربص بى عند كل منحني
وتحت كل قنطرة
وجسد
يتلمظ
فى النهاية
لماذا روحي ضائقة يا إسحق
وتشعر بالسأم واليأس
أنا ما اخترت هذه الحياة بيدى
ولا جئت إلى هذا العالم بمحض إداردة منى
فقط
الحياة هى التى اقتادتنى يا بنى مثل كلب
كان من الممكن أن يكون أبى حداداً
فأكون حداداً بدورى
كان من الممكن أن يكون خزافاً
فأكون خزافاً بدورى
لم كتب على أن أكون ابن صانع آلهة
وتماثيل
لمَ تظهر هذه الصورة أمام عينى وتترسب فى المخيلة
أن أذبحك
كيف أسلمك إلى الموت يا إسحق
وأنت

لمَ تعرف عن العالم أى شىء
ولم تر العالم بعد
أنا ممزق يا إسحق
قلبى يتكسر مثل طبق من الخزف
إلى ألف قطعة
وقطعة
هاجر تموت فى الصحراء
ولا أعرف أين هى
ولا ما هو مصير إسماعيل ولدى البكر
ربما يكون الآن جثة
أو فى بطن ذئب
لمَ طاوعت ساراى أمك وفعلت بها ما فعلت
أتكون تلك النهاية يا إسحق
أم هى لعبة آلهة آزر
اهدأ
اهدأ يا أبى
فلكل شىء تحت السموات وقت
للحب وقت
وللموت وقت آخر
للضحك وقت
وللبكاء وقت آخر
للتذكر وقت
وللنسيان وقت آخر
الكل فى المتاهة
والهاوية تتربص بالعالم
أين غلبتك يا موت
أين شوكتك يا جحيم

(يناير / ديسمبر ٢٠٠٨) - المقطم

فهرس المحتوى